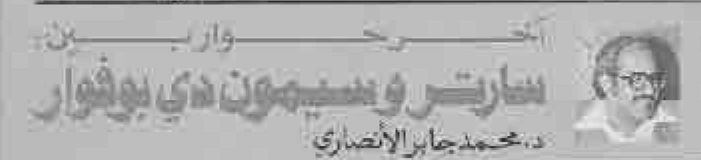











أكبر مكتبة في العالم
٢٠ مليون كتاب منها ١٥٠ ألف كتاب عربي



إلى الذين لا يقرأون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه!

مأساة "المعلم يعقوب" الذي انتمى إلى الغرب أكثر مما انتمى إلى وطنه، ثم انتهى به المصير إلى الموت وحيدا "في برميل من الخمر" فوق باخرة إنجليزية

بقلم: رجاء النقاش

الذين لا يقراون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه يكررون الأخطاء الكبيرة والأخطاء الصغيرة ، ولا يدركون ان القول الشهير بأن التاريخ يعيد نفسه ، هو قول صادق فى كثير من الحالات ، إذا تشابهت الظروف ، وهذه القصة التى اقدمها على هذه الصفحات وقعت فى أول القرن الماضى ، ولكنها تتكرر فى هذه الأيام تكرارا مثيرا للدهشة ، وإذا كانت قصة الماضى قد انتهت وسجلت خاتمتها المؤسفة ، فان القصص المشابهة التى تقع فى وطننا العربى مازالت تنتظر نهايتها الموعودة ، وهى نهاية لن تختلف فى احسن الأحوال عن نهاية « المِعَلِّمْ يعقوب » بطل هذه الصفحة التاريخية ، والتى يمكن أن نخرج منها بعبرة واضحة ونتيجة محددة ، وهى أن التعاون مع الأجنبى على حساب المصلحة الوطنية لا يمكن ان يؤدى إلا إلى مأساة عنيفة لهؤلاء المتعاونين مع الأجنبى ، بالاضافة إلى ما يتركه هذا التعاون من آثار بالغة السوء والخطر على مصير الوطن نفسه .



المعَلّم يعقوب
وطنى أم خائن ؟



سعد حداد
صورة عصرية من المعَلّم يعقوب



مذبحة تاريخية فى الصعيد
ارتكبت بمساعدة المعَلّم يعقوب

● تبدأ قصة « المعَلّم يعقوب » فى مصر فى اواخر القرن الثامن عشر ، فقد ولد « المعَلّم يعقوب » سنة ١٧٤٥ فى ملوى بالصعيد ، وعندما أصبح شاباً انضم إلى الجهاز الادارى للمماليك الذين كانوا يحكمون مصر فى ذلك الحين ، وكان اول عمل تولاه هو إدارة الشئون المالية لأحد المماليك واسمه « سليمان اغا » وكان « سليمان اغا » أحد كبار القادة العسكريين فى عصر « علي بك الكبير » الذى حكم مصر من سنة ١٧٦٣ إلى سنة ١٧٧٣ ، وحاول أن يستقل بمصر ، ويخلصها من الحكم العثمانى ، كما حاول ان يحقق نوعاً من الوحدة العربية بين مصر وجيرانها من الاقطار « فى جزيرة العرب والشام » ، وقد كاد مشروع علي بك الكبير ان ينجح ، فانتصر على العثمانيين وقام بتوحيد مصر والشام ، واتسع نفوذه حتى شمل معظم جزيرة العرب .

الحلم الضائع

وكاد عصر جديد ان يشرق بشمسه المضيئة على مصر والوطن العربى كله ، ولكن هذا الحلم العظيم الذى بدأ يتحقق تعرض للفشل والانهيار ، بسبب من تلك الأسباب التى تظهر فجأة على مسرح التاريخ ، فتغير مجرى الأحداث ، وتقلب كل الحسابات رأساً على عقب ، وهذا السبب هو « الخيانة » فقد ذهب « علي بك الكبير » ضحية لاحدى ابشع الخيانات التاريخية ، حيث تحالف « محمد أبو الذهب » قائد الجيش مع العثمانيين ، وهدم كل ما حققه « علي بك الكبير » من انجازات ، بل وقام هذا الخائن الكبير ، بمحاربة علي بك الكبير وقتله ، رغم انه كان بالنسبة لعلى بك بمثابة الابن والرجل الثانى وكان زوج ابنته . وهكذا انهار الحلم الحضارى ، الذى يعتبر اول حلم من نوعه فى العصر الحديث ، وهو حلم النهضة العربية القائمة على الاستقلال من ناحية والوحدة بين العرب من ناحية اخرى .. انهار هذا الحلم الحضارى بسبب خيانة « ابى الذهب » الذى لم يستفد كثيراً من خيانته ، فلم ينعم اكثر من سنتين بولاية مصر ، التى اعادها بغدره وضعف احلامه وطموحه الشخصى المحدود إلى سلطة العثمانيين . فقد مات بالحمى ، وكان يوم موته كما سجله المؤرخون مناسباً لرجل خان الامانة والرسالة وباع استقلال بلاده ووحدة وطنه بالأموال ، ويصف لنا الأستاذ محمود الشرقاوى فى كتابه « دراسات فى تاريخ الجبرتى » لحظة موته فيقول « إن أبا الذهب شعر بدبيب الحمى فدخل خيمته ـ بعد أن انتصر فى عكا على حلفاء علي بك الكبير ـ واستكان ابو الذهب فى الخيمة تحت تأثير الحمى ، واخفى المماليك من اعوانه وخاصة ذلك الامر عن الجيش ، ولكن الجنود ـ بعد ثلاثة ايام ـ استيقظوا فى الصباح ليجدوا خيمته قد تهدم ركنها ، ثم وجدوا رجاله وخاصته يرفع بعضهم السيوف فى وجه بعض ، يتقاتلون على ماله . فعرفوا انه مات . وتقدم احد زعماء المماليك وهو ابراهيم بك فكف بعضهم عن بعض واتفقوا على ان يعودوا من عكا إلى مصر ، وارادوا ان يدفنوه فى الشام ، ولكنهم عرفوا انهم إذا دفنوه فيها ، فمهما يخفون مقبرته ، فسينبش أهلها قبره ليحرقوه جزاء ما فعل بهم وباهل يافا خاصة ، فحملوه إلى مصر حيث وصلوا القاهرة بعد ستة عشر يوماً ، ودفن فى مسجده المواجه للأزهر » .

وهكذا انتهى « الخائن » أبى الذهب الذى لم يحكم اكثر من سنتين بعد ان اضاع كل ما بناه سلفه من انجازات سياسية وحضارية .

وبعد وفاة أبى الذهب حكم المملوكان « مراد بك » و « وابراهيم بك » لمدة تقرب من

إلى الذيـــن لا يقــرأون التـاريــخ ولا يستفيدون من دروســه !

ربع قرن ، وكان حكمهما متسما بالجمود والتهافت على المال والبعد عن التفكير فى النهوض بالشعب والبلاد . وكان عصر ابراهيم ومراد ، هو العصر الذى ظهر فيه « المِعَلِّمْ يعقوب » بطل حديثنا اليوم ، وفى هذا المناخ شب ونما وتعلم وثبتت اقدامه ،

الفرنسيون والفستق

ولم تمض سنوات طويلة حتى كـان « ضعف » مصر بسبب خيانة أبى الذهب ، وتفاهة مراد بك وابراهيم بك وحكمهما الفاسد للبلاد ، وانهيار البناء الذى اقامه « علي بك الكبير » ... لم تمض هذه السنوات حتى كان ضعف مصر قد اثمر ثمرته الرئيسية فقد جاءت الحملة الفرنسية إلى مصر سنة ١٧٩٨ بقيادة نابليون . وكانت مصر « جاهزة » للسقوط ، بعد الذى لحق بها على ايدى ورثة أبى الذهب ، وعندما علم « مراد بك » احـــد هؤلاء الورثة بنبأ الحملة الفرنسية على مصر . وكان شديد الجهل والغرور ، وضعيف العلم بأحوال الدنيا وما يجرى حوله من أحداث وصراعات كبرى ... عندما علم مراد بنبأ الحملة قال للقنصل النمسوى فى مصر : « .. كيف نخاف هؤلاء الرعاع « أى الفرنسيين » وهم لا فرق بينهم وبين الواقفين على بابنا ... إن الفرنسيين هؤلاء ليسوا إلا « فستق » خلق للاكل لا للحرب ، وسنقضى عليهم بقوة حرسنا الخاص » .

وهذا ما تصوره « مراد بك » عندمـــا سمع بحملة نابليون على مصر ، وقد وصف المؤرخ العظيم عبد الرحمن الجبرتى « مراد بك » هذا ، وكان معاصرا له ، وصفا يفسر لنا هذا الموقف « الاخرق » الذى وقفه هذا المملوك ، حيث قال الجبرتى فى صدق وامانة « ... إن مراد بك يغلب على طبيعته الخوف والجبن ، مع التهور والطيش ، والتورط فى الاقدام مع عدم الشجاعة » . ووصف الجبرتى لمراد بك ، ينطبق على الـكثيرين ممن يعملون فى دنيا السياسة والوطنية بغير خطة دقيقة وبغير فهم سليم لواجبات العمل الوطنى والعسكرى ولحقيقة ما يجرى فى العالم من احداث ووقائع ، وما يتطلبه حماية استقلال الأوطان من جهد وفهم وبعد نظر واصالة فى التمسك بالمبادىء والقيم والمعرفة الصحيحة بالأمور دون اوهام أو خيالات .

لقد واجه مراد فى معركة امبابة « ٢١ يوليو ١٧٩٨ » جيش نابليون ، وانتهت هذه المعركة فى اقل من ساعتين وخسر فيها جيش مراد المكون من ثلاثين الفا « بينهم عشرون الفا من المصريين » سبعة الاف قتيل ، بينما فقد الفرنسيون تسعة وعشرين قتيلا من قواتهم التى كانت تبلغ ٢٥ الفا . وكان لابد للجيش الذى يقوده المماليك ان ينهزم لا لجهله العسكرى ، وتخلفه فى التسليح المتقدم فقط ، بل لأن الروح التى كانت تسيطر على المماليك كانت روحا انهزامية ونفعية . فمنذ ان عرف المماليك ان نابليون قد نزل الاسكندرية ، اخذوا فى نقل متاعهم من بيوتهم فى القاهرة واخفوها فى بيوت اتباعهم او نقلوها خارج المدينة ، وكانوا لا يستحون من فعل ذلك امام الناس . وبعد الهزيمة مباشرة ، ترك مراد بك « امبابة » ، موقع المعركة ، إلى بيته فى الجيزة ، فبقى فيه خمس عشرة دقيقة ، اخذ فيها ما استطاع ان يأخذ من امواله وجواهره وفر إلى الصعيد » .

وفى اثناء المعركة حدثت وقائع تثبت ان الروح الأساسية لدى المماليك فى هذه الحرب كانت هى الروح الانتهازية النفعية التى أشرنا إليها ، فاحد المماليك الذين قتلوا فى المعركة وجد الفرنسيون على راسه « عمامة صفراء مصنوعة من الكشمير واكثر من خمسمائة قطعة نقود ذهبية مخيطة فى طربوش عمامته ، وسيف رائع رصع غمده وطرف مقبضه بالذهب ، ومقبضه مصنوع من قرن الخرتيت ، وسلاحه من الصلب الدمشقى الأسود » هكذا كان المماليك المغامرون ، وهم قادة المعركة يتصرفون ، أما المواطنون العاديون من ابناء البلاد ، والذين دفعوا أكبر الثمن من دمائهم فى مواجهة الغزو الفرنسي ، فقد عاد من بقى منهم ليقتل من صادفه من المماليك وهو يصرخ فى وجه هؤلاء المماليك الهاربين من أرض المعركة « .. يا ظالمين انتم سبب هذه الداهية » .

فى هذه المدرسة المملوكية « الانتهازية النفعية » تربى بطل حديثنا « المِعَلِّمْ يعقوب » وفى خدمة هؤلاء المماليك قضى شبابه الأول ثم فاجاته الحملة الفرنسية فماذا يفعل وكيف يتصرف ؟!

من المماليك إلى الفرنسيين

لقد سارع « المِعَلِّمْ يعقوب » بتقديم نفسه إلى الفرنسيين ، واعلن استعداده لخدمتهم ، وقد وجـــد فيـه المحتلون الفرنسيون عنصرا اساسيا يساعدهم فى تثبيت احتلالهم للبلاد بسبب معرفته بمصر واهلها ، باعتباره ابنا من ابنائها ، وواحدا من الذين عملوا بالحياة العامة فيها فعرفوا الكثير مما يتصل بها ، فهو يعرف خريطة البلاد ، ويعرف طبائع السكان ، ويعرف الواقع الاقتصادى معرفة كاملة ، بحكم اشتغاله بالأمور الادارية فى خدمة المماليك الذين كانوا يحكمون البلاد قبل الحملة الفرنسية .

حجة واهيـــة

ومنذ ان ظهر « المِعَلِّمْ يعقوب » على مسرح الأحداث بقوة فى ظل الحملة الفرنسية وإلى اليوم ، وهناك حجة استخدمها المِعَلِّمْ يعقوب ، واستخدمها بعده المدافعون عنه والعاطفون عليه من المؤرخين والباحثين وعلى راسهم المؤرخ الكبير الدكتور محمد شفيق غربال والكاتب المعروف الدكتور لويس عوض . هذه الحجة هى أن « المِعَلِّمْ يعقوب » كان يعمل مع الحملة الفرنسية بهمة ونشاط وإخلاص « من أجل تحرير مصر من العثمانيين والمماليك » ومن أجل تحقيق استقلال مصر وحرية شعبها . وهى نفس الحجة التى تستخدمها الشخصيات المعاصرة ، التى تشبه « المِعَلِّمْ يعقوب » فى الساحة العربية الراهنة ، واوضح شخصية من هذا النوع هى شخصية « الرائد اللبنانى سعد حداد » والذى يكاد يكون تجسيدا حيا « للمِعَلِّمْ يعقوب » فى مواقفه وتصرفاته وادعاءاته التى يبنى عليها عمله وسياسته ، ومثل هذه الحجة الواهية وهى الدفاع عن الاستقلال بالتعاون مع الأجنبى ، ليست إلا وهما من الاوهام ولويا لعنق التاريخ ، لأن نتائج التعاون مع الأجنبى تنتهى دائما بتهديم استقلال البلاد ، والعدوان على مصالح الشعوب ، وليس لها نتيجة إلا تعطيل التطور والنهوض والاستقرار والرخاء فى تلك البلاد التى نكبت بتعاون بعض ابنائها مع

القوى الاجنبية كما سوف يتضح لنا من سيرة المعلم يعقوب فى القرن الماضى ومن نتائج عمله ، وهى نتائج كانت كلها كارثة عليه وعلى وطنه .

مذبحة الصعيد

نعود إلى « المِعَلِّمْ يعقوب » نفسه لنسأل ماذا فعل ، وكيف انتهى به الأمر فى اخــــر المطاف .

العمل الأول الذى قام به « المِعَـــلِّمْ يعقوب » هو مصاحبة القـــائد الفرنسى « ديزيه » فى حملته على الصعيد . ذلك أن المماليك بعد دخول نابليون إلى القاهرة ، قد هربوا بما بقى من جيوشهم إلى الصعيد فأوفد نابليون قائده النابغ « ديزيه » ليخضع الصعيد لسلطة الاحتلال الفرنسى وخاض « ديزيه » بحورا من الدم فى الصعيد ، ويحدثنا المؤرخ الامــــريكى « كريستوفر هيرولد » فى كتابه « نابليون فى مصر ـ ترجمة فؤاد اندراوس » عن دور المعلم يعقوب فى حملة « ديزيه » على الصعيد فيقول :

« وكان يركب إلى جوار "ديزيه" رجل لولا لباقته وكفايته وشجاعته لما استطاع ديزيه ـ فى اغلب الظن ـ أن ينال ما نال من أمجاد النصر رغم عبقريته كلها ، وذلك هو المِعَلِّمْ يعقوب القبطى ، الذى كان من الناحية الرسمية مسئولا عن جميع الضرائب فى مصر العليا « الصعيد » ولكنه كان فى الواقع شريكا لديزيه فى قيادة حملته ، وكان المِعَلِّمْ يعقوب ، بن يوحنا ومارية غزال ، الذى كان إذ ذاك فى مستهل الاربعينات من عمره ، اصلح مستشار لحملة الصعيد هذه ، فقد كان يعقوب خبيرا بطبيعة البلاد وباهلها وله فى كل مكان صلات ، وفيه دهاء وحسن سياسة لاتجد لهما نظيرا . وكان يتسم بصفة نادرة بين قومه هى الشجاعة والكفاية الحربيتان . وكان اهل الصعيد يسمون فرقة ديزيه : « جيش المِعَـــلِّمْ يعقوب » ، ولو وقع هذا لقائد غير ديزيه لبرم به ، ولكن ديزيه . المغرم بالتخفى ، رأى ما فى هذا الخطأ من فوائد . ولم يفعل شيئا ليثنى الناس عنه ، والواقع انه ما من قرار اتخذه « ديزيه » خلال حملته كلها دون أن يستشير « المِعَلِّمْ يعقوب » .

وهنا لابد ان نسارع بتسجيل ملاحظة أساسية ، وهى ان « المِعَلِّمْ يعقوب » رغم انه كان من اقباط مصر ، إلا ان كثيرين جدا من الأقباط كانوا ضده وكانوا على خلاف معه فى موقفه ، بل لقد هاجموه بسبب موقفه هذا هجوما عنيفا ، ومعظم المؤرخين الأقباط المعاصرين ـ باستثناء الدكتور لويس عوض ـ يدينون « المِعَلِّمْ يعقوب » إدانة كاملة ، كما سترى بعد قليل ... فلا مجال هنا للقول او للاستنتاج ، بان المِعَلِّمْ يعقوب كان يمثل الأقباط فى موقفه ، فالحقيقة انه كان يمثل نفسه وفكره واجتهاده الخاص ، ولا علاقة له بالأقباط الذين وقفوا ـ فى معظمهم ـ ضــــد الحملة الفرنسية نفس موقف المسلمين .

ولنواصل الحديث عن انجازات « المِعَلِّمْ يعقوب » فى خدمة الفرنسيين فنقول ، إنه فى حملة ديزيه ضد الصعيد ، قام بعمليات إبادة واسعة وشارك بل وقاد مذبحة قاسية ضد ابناء مصر من أهل الصعيد . لقد كانت حملة « ديزيه » على الصعيد موجهة فى « شكلها » ضد المماليك ، ولكنها كانت موجهة فى حقيقتها ضد الفلاحين من ابناء الصعيد مسلمين واقباطا وعربا جاءوا إلى الجهاد مع اشقائهم فى صعيد مصر عن طريق « القصير » الواقعة على البحر الأحمر وافدين من مكة لمساعدة إخوانهم فى مصر ضد العدوان الفرنسى وقد حارب هؤلاء العرب القادمون من الجزيرة العربية بقوة وبسالة إلى جانب الفلاحين من ابناء مصر .

ولكى نتصور ما فعله الفرنسيون بقيادة « ديزيه » ، ومساعدة « المِعَلِّمْ يعقوب » ضد ابناء مصر يكفى ان نذكر هذه العبارات من كتاب المؤرخ الامريكى « هيرولد » ، فمثل هذا المؤرخ الامريكى لا يمكن اتهامه بالتحيز للفلاحين المصريين والعرب الذين وقفوا إلى جانبهم ضد الفرنسيين .

يقول هيرولد :

١ ـ « فى اول مايو ١٨٩٩ قتـــــل الفرنســــــيون الفين من الفـــلاحين المسلحين فى بنى سويف ، وكانت خسائر الفرنسيين ثمانية رجال وهو عمل مجيد بلا ريب » !!

٢ ـ الفلاحون الذين تركوا قراهم عند اقتراب الفرنسيين منها « ثم عادوا إليها لم يجدوا فيها سوى الطين الذى بنيت به حيطانهم ، فادواتهم ومحاريثهم ، وابوابهم وسقوف بيوتهم كانت تستعمل وقودا لطهو حساء الفرنسيين ، وقدورهم تكسر ، وقمحهم يؤكل ، ودجاجهم وحمامهــــم يشوى .. » .

٣ ـ « ... أما احتلال الفرنسيين لأسوان فقد بدا فى الأسبوعين الأولين نزهة يتخللها الطريف القليل من القتال واغتصاب النساء » .

٤ ـ بالنسبة لبدو الصعيد « كان الفرنسيون يستولون كل يوم على غنيمة منهم ، فتارة يأخذون نساءهم على غرة ويحملوهن رهائن ، وتارة يستولون على ماشيتهم وخيولهم وإبلهم » .

٥ ـ « وبينما كان القائد الفرنسى ـ فى أسوان ـ يسمح لجنوده باغتصاب النساء ليرفع معنوياتهم ، ويامر باتلاف المحاصيل ليهبط بمعنويات « المصريين » وصلت الانباء إلى الجنرال « ديزيه » و « المِعَلِّمْ يعقوب » بوجود مراكز لتجمع الجنود الوافدين من مكة فى قنا ، وبنزول الفين اخرين من المتطوعين المكيين فى «القصير» ولوصف القوة التى حارب المتطوعون المكيون بها يقول « هيرولد » على لسان احد القادة الفرنسيين « لقد توقفنا امام منزل فى قرية ابنود ، وأصدرت أمرى باقتحام البيت وافلحنا فى شق طريقنا الى الحوش واشعال النار فى البناء ، ونزل المكيون عدوا إلى الحوش يمسك كل منهم سيفا بيد وبندقية بالاخرى ، وهم يطلقون النار على الجنود الفرنسيين ويقفزون كالمجانين إلى

لويس عوض
هل يمكن ان نلوى عنق التاريخ ؟

الفريد فرج
مؤلف «سليمان الحلبى» وهى إحدى روائع المسرح العربى فى تصوير الكفاح ضــــد الفرنسيين

إلى الذين لا يقرأون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه!

اللهب محاولين اطفاء الحرائق باقدامهم ، وراحوا يخوضون النيران باجسامهم ، واحسست وانا اشهدهم بكثير من الرعب والاعجاب ، وتخللت المشهد فترات من السكون كنا نسمع فيها صوتا واحدا يصلي ونسمع رد الجماعة بالاناشيد الدينية وصيحات الحرب ، ثم يلقون بانفسهم علينا رغم يقينهم من انهم ملاقون فى ذلك حتفهم » .

هذه صور متفرقة من الكفاح العنيف بين شعب مصر واشقائه العرب من جانب وبين الفرنسيين يساعدهم «المِعَلِّمْ يعقوب» من جانب اخر . وقد حضر « المِعَلِّمْ يعقوب » هذه المشاهد ـ فى معظمها ـ وشارك فيها بنفسه وباعوانه إلى جانب الفرنسيين ، وهو بذلك يعتبر مسئولا عن مذبحة الصعيد التى انتهت بمقتل الالاف وإبادة قرى باكملها واحراق الأراضى والمواشي والمحاصيل بحيث كانت هذه « المذبحة » جريمة فى حق الانسان والحضارة ارتكبها الفرنسيون عن عمد وشاركهم فى التخطيط لها وتنفيذها ذلك « المِعَلِّمْ يعقوب » الذى يتحدث عنه البعض على انه كان يحاول انقاذ مصر من العثمانيين بمساعدة الفرنسيين والحق انه كان يشترك فى عملية إبادة واسعة للشعب الذى ينتمى إليه .

الجريمة الثانية

بعد « مذبحة الصعيد » شارك « المِعَلِّمْ يعقوب » فى إخماد ثورة القاهرة الثانية فى ابريل ١٨٠٠ ، وقد احرق الفرنسيون بمساعدة « المِعَلِّمْ يعقوب » احياء باكملها ، ومنها حي بولاق الذى انهدمت فيه البيوت على ساكنيها ، ومات الآلاف من سكان القاهرة فى مجزرة اخرى بالغة العنف ، وقال مؤرخ فرنسى هو المسيو « جالان » يصف نتائج ثورة القاهرة الثانية ، وما فعله الفرنسيون بالمدينة « لقد لاحظت ان الحصار الفرنسى اضر بالمدينة اكثر مما كنت اتصور ، فقد عم الخراب احياء باكملها ، وتمثل لنا شبحه المخيف فى الأزبكية ، واثرت فى نفسى صورته المفزعة ، فلم يكن بالامكان إلا ان نخطو كل خطوة لنا على كثبان من الخرائب والاتربة ، وكانت رائحة العفونة تنبعث من الرمم المدفونة تحت الردم ، وزاد هذا المنظر فظاعة ان الجنود الفرنسيين مدفوعين بفكرة النهب كانوا ينبشون الجثث من تحت الانقاض والخرائب ، فكلما اظهروا جثة زاد المنظر هولا وفظاعة » .

وفى ثورة القاهرة الثانية هذه انشا المِعَلِّمْ يعقوب « فيلقا عسكريا خاصا » جمعه من بين بعض المرتزقة المصريين وجعله فى خدمة الفرنسيين حيث ساهم هذا الفيلق العسكرى مع جنود فرنسا فى كل الضربات التى تم توجيهها إلى سكان القاهرة .

هذه هى « الانجازات » الفرنسية فى مصر خلال ثلاث سنوات « ١٧٩٨ ـ ١٨٠١» وقد كان للمِعَلِّمْ يعقوب فى هذه الانجازات « التدميرية » دور اساسى حيث وقف الى جانب الفرنسيين يمدهم بكل ما يطلبونه ، بل ويحارب نيابة عنهم كلما امكن ذلك .

مناضل أم خائن ؟

هذه الصفحات التاريخية كانت تكفى لإدانة المِعَلِّمْ يعقوب إدانة نهائية . بعد ان وقف إلى جانب الفرنسيين ضد شعبه وانشا فيلقه العسكرى الخاص للحرب إلى جانب المحتلين ... ولكن عددا من المؤرخين اراد ان ينفى اى اتهام للمِعَلِّمْ يعقوب بل واعتبره البعض ـ كما اشرنا ـ « مناضلا قوميا » ، وكانت حجتهم فى ذلك ان «المِعَلِّمْ يعقوب» كان يحارب العثمانيين والمماليك ، ويريد تحرير مصر منهم بمساعدة الفرنسيين . وهى الحجة التى تتكرر كما هى اليوم دفاعا عن بعض الذين يقفون صراحة إلى جانب القوى الأجنبية الغربية ويعتمدون عليها بحجة تحرير بلادهم وحماية استقلالها ... وقد أشرت إلى نموذج « سعد حداد » كواحد من اصحاب هذه الفلسفة ودعاتها والعاملين على « تطبيقها » بصورة واقعية فى لبنان ... ولكن سعد حداد ليس هو الوحيد فى هذا المجال ، فهناك كثيرون ممن تعاونوا ويتعاونون مع القوى الاجنبية ، وهم يحملون « علم » سعد حداد سرا او علنا ، وهو نفسه « العلم » الذى رفعه « المِعَلِّمْ يعقوب » من قبل فى القرن الماضى ، واستند عليه فى الدفاع عن نفسه وتبرير مواقفه الخاطئة وغير المقبولة .

والذى يتابع حياة « المِعَلِّمْ يعقوب » ونهايته ، يدرك تماما ان هذه الفلسفة السياسية التى تدعو إلى تحقيق الحرية عن طريق التعاون مع القوى الاجنبية هى فلسفة لا يمكن لها ان تنجح ، ولا يمكن إلا ان تكون بابا مفتوحا ينتهى بماساة وطنية بل وماساة شخصية لمن يحملون مثل هذه النظرة ويعملون على اساسها ، حتى ولو افترضنا احسن الفروض وهو ان اصحاب هذه المدرسة ـ وهو امر يصعب تصديقه ـ هم من اصحاب النية الحسنة والقصد الطيب ، والغاية السليمة .

لقد فشلت الحملة الفرنسية على مصر ، وتم توقيع معاهدة الجلاء عن مصر فى يونيو ١٨٠١ ، وتضمنت المعاهد نصا يبيح « لأى مصرى أن يرافق الجيش الفرنسى فى الجلاء دون أن تصادر املاكه أو تضطهد عائلته وذوو قرباه ، ولا يجوز إيذاء اى مصرى بما اظهره من الولاء للجيش الفرنسى مدة احتلاله للبلاد » وذلك هو ما جاء فى نص المادة ١٢ من اتفاقية الجلاء عن مصر .

وسافر « المِعَلِّمْ يعقوب » على السفينة الانجليزية « بالاس » متجها إلى فرنسا ويلخص لنا الاستاذ محمود الشرقاوى نهاية « المِعَلِّمْ يعقوب » كما رواها الجبرتى فقال :

« وقد كافا الفرنسيون المِعَلِّمْ يعقوب على إخلاصه لهم ، فانعموا عليه بسيف ، وجعلوه مستشارا لهم ومديرا للشئون المالية والضرائب . ثم انعموا عليه بلقب جنرال . واظهر هو محبة صادقة لهم فى مدى السنوات التى اقاموها فى مصر ، وبعد خروجهم منها ، فقد عرض تبرعه بثلث النفقات مهما بلغ مقدارها ، لاقامة تمثال لصديقه الجنرال « ديزيه » قائد حملة الصعيد ، عندما علم بموته ، وعندما حضره الموت كان إلى جواره الجنرال الفرنسى بليار ، فقال له يعقوب وهو يحتضر ارجو أن ادفن إلى جوار ديزيه . وقد مات المِعَلِّمْ يعقوب على البارجة الانجليزية « بالاس » فى ١٦ اغسطس ١٨٠١ ، ولم تلق جثته فى البحر ، كما هى العادة فى مثل هذه الاحوال ، بل وضعت فى برميل من النبيذ حتى وصلت البارجة إلى مرسليا ، فدفن المِعَلِّمْ يعقوب هناك بعد ان شيعت جنازته فى احتفال عسكرى فرنسى مهيب » .

استقلال وهمى

على ان الأيام الأربعة التى قضاها المِعَلِّمْ يعقوب على البارجة الانجليزية فى

طريقه إلى فرنسا قد حملت فصلا اخر من الفصول الغريبة فى قصة هذا الرجل ، فقد تحدث « المِعَلِّمْ يعقوب » مع قائد السفينة الانجليزية « ادموندز » ، وكان « المِعَلِّمْ يعقوب » يتحدث معقائد السفينة الانجليزى عن طريق شخص اســــمه « لاسكاريس » حيث ان يعقوب لم يكن يعرف الانجليزية ، وكتب « ادموندز » قائد السفينة إلى المسئولين الانجليز مذكرة يكشف فيها اراء « المِعَلِّمْ يعقوب » التى افضى بها إليه ولم يتم الكشف عن هذه المذكرة إلا فى سنة ١٩٢٤ ، وفى هذه المذكرة يطالب « المِعَلِّمْ يعقوب » بمساعدة الانجليز لتحقيق انفصال مصر عن تركيا ، ويعرض تشكيل « قوة اجنبية » من ١٢ الف جندي إلى ١٥ الف جندى لحماية الاستقلال المصرى الذى يدعو إليه « المِعَلِّمْ يعقوب » ، وتقول المذكرة على لســـان « المِعَلِّمْ يعقوب » « إنه يجب الا يفوتنا ان نذكر أن مصر مقسمة إلى طوائف متعددة وتتوفر بها الوسائل اليسيرة لاقامة التعارض فيما بين هذه الطوائف بقصد حفظ التوازن بينها » !

وهذه الفقرة تدعو بصراحة إلى إقامة تقسيم طائفى لم تعرفه مصر ابدا ولم تفكر فيه اى حركة وطنية على الاطلاق ، وكانت هذه الفكرة الطائفية من الافكار والخطط الاستعمارية على الدوام .

تلك هى الخطوط العريضــــة لمشروع « المِعَلِّمْ يعقوب » الذى املاه على قائد السفينة « بالاس » وهو المشروع الذى اسماه الدكتور لويس عوض باسم « مشروع الاستقلال الاول فى مصر » .

والحقيقة ان هذا المشروع من الناحية النظرية ، لا يختلف عن المواقف العملية للمِعَلِّمْ يعقوب الذى كان فى صف الاجانب دائما ، حيث ساعد المماليك قبل الحملة الفرنسية ، ثم ساعد الفرنسيين اقتصاديا وعسكريا خلال السنوات الثلاث للحملة الفرنسية على مصر ، بحجة أن الحملة الفرنسية كانت موجهة اصلا إلى المماليك ، وكان فى ذلك مخالفة للحقيقة ، لأن المماليك انفسهم سرعان ما تحالفوا مع الفرنسيين وتعاونوا معهم ، وبقيت أطراف الصراع هى : الفرنسيون واعوانهم فى جانب ، والمصريون واشقاؤهم العرب في جانب اخـــر .

التاريخ لا يرحم

ولا يمكن لمؤرخ منصف ـ فى نهـــاية الأمر ـ إلا ان يخالف الدكتور لويس عوض والذين يرون رايه ، فى أن « المِعَلِّمْ يعقوب » كان يمثل « الوطنية المصرية فى وجه الأتراك » وكان يستعين فى تحقيق وجهة نظره بالفرنسيين ثم بالانجليز .

فلا المِعَلِّمْ يعقوب ، ولا سعد حداد ، ولا اى شخص اخر من هذا النمط يمكن ان يحقق استقلالا او يخدم حركة وطنية ، فالاستقلال والوطنية لا يتحققان بالتعاون مع الأجنبى والثقة به والاعتماد عليه وتقديم الخدمات له وحمل السلاح فى وجه المواطنين ـ ابناء البلاد ـ من اجل تحقيق افكار هذا الاجنبى .

ولاشك ان نهاية « المِعَلِّمْ يعقوب » وهى الموت وحيدا فى برميل من النبيذ على ظهر السفينة « بالاس » هى النهاية الطبيعية لمثل هذا الموقف الذى وقفه المعلم يعقوب ، ويقفه امثاله فى تاريخ العرب المعاصر ، فالمِعَلِّمْ يعقوب هو درس وعبرة لهؤلاء الذين لا يقراون التاريخ ولا يستفيدون من دروسه ، وهو درس جدير بان يتعلمه الكثيرون فى المرحلة الراهنة التى يمر بها الوطن العربى ، لان « يعقوب » فى حد ذاته قد يكون قليل الاهمية والشان ، ولكن اهميته الحقيقية تعود إلى انه يجسد « رمزا كاملا » لهؤلاء الذين يتوهمون ـ عامدين او غير عامدين ـ أن بالامكان الاعتماد على القوة الاجنبية فى تحرير الاوطان ، فلا يتحرر الوطن إلا باهله ، ولا يتحقق الاستقلال إلا بالشعب نفسه وبمن ينتسبون إليه ويرتبطون به من قيادات سياسية وفكرية وعسكرية تلتزم بالوطنية اولا وقبل كل شىء .

نقطة حساسة

ولا ينبغى ان ننهى هذه الصفحة من تاريخنا دون ان نشير إلى تلك النقطة الحساسة فى القضية كلها ، وهى أن يعقوب كان قبطيا ولم يكن مسلما ، ويكفى هنا ان نقول إن كثيرين من مفكرى الاقباط قد دانوه إدانة كاملة ، بل لقد ادانه اقباط عصره وتبراوا منه ، واشير هنا إلى ان المسرحية العربية الوحيدة المعاصرة ، والتى ادانت الحملة الفرنسية على مصر واعوانها وعلى راسهم « المِعَلِّمْ يعقوب » كـــانت مسرحيـــــة لقبطى مصرى ، والمسرحية هى « سليمان الحلبى » لالفريد فرج ، وتعتبر إحدى روائع المسرح العربى المعاصر ، فنيا ووطنيا ، كما انقل فى ختام هذه الدراسة فقرات لمفكر عربى قبطى اخر هو « الدكتور وليم سليمان » قال فيها عن المِعَلِّمْ يعقوب ما نصه :

« إن كتب التاريخ القبطى تسجل تبرؤ الكنيسة المصرية من الشخص الذى ينحرف عن تقليد عريق للاقباط هو ولاؤهم لوطنهم مصر . فمثلا بالنسبة للجنرال يعقوب الذى عاش ايام الحملة الفرنسية نقرا فى كتاب « تاريخ الامة القبطية » الذى طبعه عام ١٨٩٨ « نخله روفيله » ان يعقوب هذا سار فى خطةتخالف ما كان عليه ابناء جنسه فانه فضلا عن مخالفتهم فى الزى والحركات اتخذ له امراة من غير جنسه بطريقة غير شرعية . كما ان رجال الدين ولا سيما البطريرك لم يكونوا راضــين عن تصرفاته واحواله . وسمعت من بعض الاقباط المسنين ان البطريرك نصحه مرات عديدة بالعدول عن هذه الخطة فلم يقبل ... وعاوده النصح مرة اخرى ، فجاوبه جوابا عنيفا فسخط عليه وسمعت من اخر ان ما كان بينه وبين البطريرك من المنازعة والمشاحنة دفعه إلى التجرؤ على دخول الكنيسة راكبا جواده رافعا سلاحه » .

هذا ماكتبه الدكتور وليم سليمان ، معتمدا على رايه وراى الاقباط حتى فى عصر المعلم يعقوب نفسه .

وهكذا فقد المِعَلِّمْ يعقوب كل شىء ... فقد احترام مواطنيه ، مسلمين ومسيحيين ، وفقد حياته فضاعت فى اخر الامر داخل برميل من الخمر .

إنها ماساة يجب ان يستوعبها الذين يظنون أن بيع الوطن للاجنبى فيه الخير والسلامة .

فالحقيقة ان هذا الموقف لا خير فيه ولا سلامة للوطن .. ولا حتى لهؤلاء الذين ينحرفون عن الواجب الوطنى طلبا لمكاسب شخصية ، او تحقيقا لافكار « وهمية » عن الاستقلال والحرية ، ذلك أن هذا الطريق لابد ان ينتهى بضياع كل شىء .. حتى المكاسب الشخصية نفسها .. ولا يبقى إلا الأصل وهو الوطن والوطنية والمبادىء الصحيحة المخلصة .

رجـــاء النقاش

● الناس مجبولون على هذا : إنهم يكذبون أحياناً أعينهم ، ويصدقون مايقوله الآخرون ، ولاسيما إذا كان لهؤلاء الآخرين شهرة بالعلم والمعرفة

الأرصـــــاد .. والأرصـــدة

بقـــلم
الدكتور عبد السلام العجيـــلي

فى حلقة الاصحاب ، فى النادى ، كان أحمد مستغرقا فى قراءة مجلة اجنبية . ساله سليم عما يشغله فى تلك المجلة عن مشاركة الرفاق فى حديثهم فاجاب :

ـ إنه مقال عن الأرصاد الجوية . وعلى التعيين عن مركز التنبؤ عن حالة الطقس ، مقره فى انكلترا وتشترك فيه سبع عشرة دولة اوروبية . تحت تصرف هذا المركز عقل اليكترونى فى وسعه ان يقوم بخمسين مليون عملية حسابية فى ثانية واحدة ... كل ذلك لناخذ علما بحالة الجو فى غد ، وهل نرتدى له ملابس الربيع ام نتلفح بالصوف ونحمل له مظلتنا . وهذا المركز نفسه ...

قال سليم مقاطعاً صاحبه : وهل تؤمن انت بما تبثه لنا فى كل صباح نشرة الاخبار عن درجات الحرارة المرتقبة ، وعن اتجاه الريح وارتفاع موج البحر . ؟

اجابه أحمد : ولماذا لا ؟ الملايين من الناس يؤمنون بذلك مثلى ، ويخططون لاعمالهم واسفارهم ونزهاتهم على ما تتنبا به لهم تلك النشرة من حالة الجو .

قال سليم : لو كانت بين يدى جريدة أمس الأول لقرات للرفاق خبراً طريفاً ورد فيها : ارملة صياد بحرى تطالب مديرية الأرصاد الجوية فى بلدها بمبلغ كبير تعويضا عن غرق زوجها ، مدعية بان نشرة تلك المديرية هى التى اغرقته ...

قال أحد أفراد الحلقة : النشرة اغرقته . ؟ ... كيف . ؟

قال سليم : هكذا ادعت الزوجة . سمع زوجها النشرة فى الصباح تعلمه بان البحر هادىء والرؤية فيه حسنة . فخرج بزورقه يبحث عن رزق العيال . وحين اصبح فى عرض البحر هبت العاصفة فارتفع الموج وانعدمت الرؤية وهطلت الامطار بغزارة ، فكانت النتيجة ان ابتلع البحر الصياد وزورقه ، وأن ترملت تلك البائسة ...

قال أحمد : قد يحدث هذا بين الحين والحين . انه الشذوذ الذى يؤكد القاعدة .

وهنا تدخل الدكتور عبد الله ، وكان ضيفاً على الجلسة ، فى الحديث قائلا :

ـ اسمحوا لى ان اروى عن الأرصدة الجوية واقعة ضاحكة . تعرفون انى ، فى إحدى المرات ، تركت بلدتى الصغيرة لاتولى فى العاصمة منصبا كان لى فيه الأمر والنهى فى قضايا كثيرة ، منها الموافقة على سفر من توفده الدولة الى الخارج فى مهمة او ترسله الى مؤتمر . فى ذلك الزمن جاءنى مدير الأرصاد الجوية يرجونى الموافقة على حضوره موتمرا دوليا يعقد فى اوتاوا ، فى كندا . قلت لذلك المدير بلهجة حاسمة لا . لا اوافق على سفرك ! سالنى مندهشا : ولماذا ياسيدى . ؟ قلت : لانكم فى مناصبكم العالية لا تحسبون حسابا لبلدائنا الصغيرة ، وكانها ليست من أرض الوطن . قال مستغربا : ارجوك ... كيف ؟ قلت : نشرتكم اليومية عن حالة الطقس المرتقبة ... لم اسمع فيها مرة ذكرا لبلدتى ، مع ان فيها مركزاً لتسجيل المعطيات الجوية مثل المدن الكبيرة التى تذكرونها صباح مساء . تنفس المدير عند هذا ارتياحاً لمعرفته سبب نقمتى وقال : اهذا كل ما فى الأمر ياسيدى . ؟ .... من الآن وصاعداً سنذكر فى نشرتنا كل المعلومات عن طقس بلدتكم الكريمة ... استمعوا اليها هذا المساء ، وكل صباح ومساء بعده ...

واحـــدة بواحـــدة

قال أحد الجلساء متسائلا وهو يبتسم وهل بر المدير بوعده . ؟

أجاب الدكتور عبد الله : بلا شك ، ما دمت قد وافقت انا على حضوره ذلك المؤتمر ... حضوره على نفقة الدولة بالطبع ! واحدة بواحدة . وفوق ذلك ... لاحظت طيلة الفترة التى كنت فيها فى منصبى ذاك امر وانهى ان درجة الحرارة التى تذيعها نشرته عن بلدتى ، وهى تقع كما تعلمون فى وسط البادية ، كانت تماثل درجة حرارة العاصمة او تقل عنها بدرجة او درجتين . كان المدير يخفض هذه الدرجة مبالغة منه فى ارضائى ...

قال أحمد وهو يضحك : ذلك مقبول منه . الرحلة الى اوتاوا ، على حساب الدولة ، تستحق تخفيضاً مثل هذا فى درجة الحرارة ...

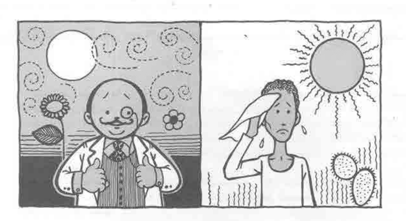
اما الدكتور عبد الله فاستمر فى حديثه ، قال : ولا استطيع ان اصف لكم الغبطة التى داخلت نفوس أهل بلدتى المتواضعة لسماعهم اسم بلدتهم يتكرر فى كل يوم اكثر من مرة فى نهاية نشرة الأخبار فى الاذاعة . وبينما تتفصد جباههم عرقاً من حرارة صيفهم التى تشوى الجلود ، كان السرور يملأ صدورهم إذ يسمعون من المذياع ان الجو عندهم ، وهم فى وسط الصحراء ، الطف من جو العاصمة التى تتدفق فى جنباتها المياه وتملأها الحدائق والبساتين ...

قال أحد الحضور معلقا : الناس مجبولون على هذا ... يكذبون أحيانا أعينهم ويصدقون ما يقوله الآخرون لاسيما إذا كان لهؤلاء الآخرون شهرة بالعلم والمعرفة ...

الهبة الملكية

وهنا عاد احمد الى الحديث عن محتوى مجلته الأجنبية ، قال :

ـ إذا سمحتم فانى اعرفكم بكل ما ورد فى المقال عن مركز الأرصاد الجوية الذى يسمونه



ريدنغ . الميزانية السنوية لهذا المركز تتعدى مبلغ اثنى عشر مليون دولار ، ومقره بجانب لندن يقع فى ارض بعيدة ، مشجرة مساحتها بضعة هكتارات . هذه الأرض تخص الملكة إليزابيث ، ملكة انكلترا ، وقد تنازلت عنها لمركز ريدنغ ورضيت ان يشغلها مجانا لمدة تسعمائة وتسعة وتسعين سنة فقط ...

فاعترض سليم ، كعادته ، مقاطعا الحديث بقوله : ولماذا هذا العدد من السنين بالضبط ؟

قال احمد : الواقع ، كما تقول المجلة ، ان الملكة ارادت ان تكون اكرم من هذا ... ولكن القانون البريطانى يمنع التنازل عن ارض ملكية لمدة تزيد عن الف عام . وعلى كل فانى ارى ان عمل الملكة يستوجب الشكر ولو كانت هبتها محدودة بهذا العدد القليل من السنين : تسعمائة وتسعة وتسعين عاما !

قال سليم فى جد مصطنع لا شكر على واجب . لعل الملكة لم تفعل هذا إلا لتزيد من شعبيتها . ربما كان عليها ان تشكر مركز الأرصاد لقبوله هبتها .

فتدخل الدكتور عبد الله مرة اخرى فى الحديث بقوله : اخونا الاستاذ سليم يقول ما يقوله مازحا كما يبدو من لهجته . ومع ذلك فان هذا هو منطق عامة الناس فى هذه الأمور فى ايامنا الحاضرة . ذكرتنى هبة ملكة انكلترا التى وردت فى مجلة احمد بهبة شاهانية اخرى ... هى هبة امبراطورة اليابان .

فائدة مفيدة

وحين استفهم الحضور عن هبـــــة الامبراطورة بعد هبة الملكة فصلها الدكتور عبد الله بقوله :

ـ التقيت فى جنيف ، فى العام الفائت بصديقى السيد « لوك » الذى يشغل مركزا مرموقا فى الصليب الاحمر السويسرى ، وذلك فى فندق دو رون المشهور . اخبرنى صديقى ذاك انه فرغ لتوه من معاملة تحويل سيارة مرسلة الى احد فروع الهلال الاحمر فى بلادنا . سألته عن تلك السيارة فقال انها سيارة اسعاف كاملة التجهيزات ، وانها واحدة من جملة سيارات تبرعت بها امبراطورة اليابان لمنظمة الصليب الاحمر الدولية ..

ـ اراد ، كشأنه ، ان يعترض فقال له الدكتور عبد الله : اعرف ما تريد ان تعلق به .. تريد ان تقول : كرم ملوكي غير مستغرب ، مال الرعية يرد إلى الرعيـــة ! الأمر ليس هنا . اخبرني السيد « لوك » ان الهبة كل عام ، بشكل سيارات إسعاف او باشكال اخرى ، وان نفقات تلك الهبة المكررة تدفع من حصيلة فوائد اموال الامبراطورية ففى نهاية كل عام تحسب الامبراطورة فائدة ودائعها فى البنوك ، فلا تسجل تلك الفائدة فى حسابها الشخصي بل تحولها إلى اعمال الخير فى العالم .. تدفعها الى المنظمات الانسانية على المستوى الدولى .

قال سليم مصرا على الاعتراض : اسمح لى هنا بكلمة .

قال الدكتور عبد الله : بل دعنى اكمل . بينما كان صاحبى يحدثنى بهذا فى بهو الفندق الكبير مر امامنا واحد من اثرياء العرب . قال لى صديقى انه راى ذلك السيد البارحة فى متجر من متاجر الفندق الفاخرة يتأمل فى حقيبة مصنوعة من جلد التمساح سعرها ستة آلاف فرنك سويسرى ، وانه سمع البائعة ترغب السيد العربى بشراء الحقيبة بقولها إن بامكانها ان تحسم له نسبة مئوية من الثمن ، فرد السيد عليها قائلا : لست اسأل عن الثمن ، وانما احب ان اعرف إذا كان فى متجرك غير هذه الحقيبة .. فانا اريد ان اشترى لابنائى وبعض اصدقائى عددا منها .. عشرين مثلا !

وهنا صفر احد الجلوس بفمه ، متعجبا ، قبل ان يقول : عشرون فى ستة ... مائة وعشرون الفا !

قال الدكتور عبد الله : حسابك صحيح .. مائة وعشرون الف فرنك سويسرى . وقال صاحبى السويسرى معقبا : لاتظنني انتقد هذا السيد .. انه يملك مالا يريد ان يتمتع به وان يمتع به ابناءه واصدقاءه ، وهذا فيما ارى حق له .. ولكنى سمعت انه وامثاله لا يستحلون اخذ فائدة على ارصـــــدتهم المودعة فى مؤسساتنا المصرفية .. لمـــاذا لا يفعلون مثل إمبراطورة اليابان ، فيهبون منظمتنا الانسانية تلك الفائدة لتشترى بها سيارات الاسعاف والادوية والاغذية ؟ !

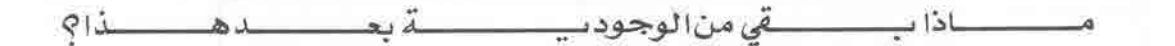
قال سليم ، الذى نسي اعتراضـــــات الماحكة ، فالقى على المتحدث سؤالا جادا :

ـ وبماذا اجبته انت ؟

قال الدكتور عبد الله : لم يكن السؤال موجها الى . الصحيح انه خطر لي ان الحق بذلك الثرى ، ابن جلدتي ، لاطرح عليه سؤال السيد « لوك » ، ولكنه كان قـــد خرج من الفندق . على اني ما كنت واثقا ، حتى لو ادركته قبل خروجه ، من قدرتى على توجيه ذلك السؤال إليه . قد يراه تدخــلا مني فى ما لا يعنيني .. ومن تدخل فى ما لا يعنيه لقي مالا يرضيه .

وعند هذه الكلمة المأثورة قام الدكتـــور عبد الله من مقعده متهيئا للانصراف ، فانفضت بذلك حلقة الاصـــدقاء فى ذاك المســاء .

د . عبد السلام العجيلي



نشرت فى باريس مؤخراً نصوص المحاورة الفكرية الأدبية الأخيرة بين الفيلسوف الفرنسى الوجودى جون بول سارتر ، وصديقته الأديبة سيمون دوبوفوار . وقد جرت هذه المحاورة ، التى تم تسجيلها حية ، قبل وفاة سارتر بوقت قصير ولكن لم يتم نشرها إلا الآن . وقد اخترنا المقاطع الأساسية التالية منها ، والتى تتضمن رأى سارتر فى فلسفته وموقفه الحقيقى من الفلسفة ومن صفته هو باعتباره فيلسوفاً ذاع صيته وانتشرت فلسفته بين الكثيرين ، (من بينهم أعداد كبيرة من المثقفين العرب فى الخمسينات والستينات) .

أما لماذا اخترنا هذه المقاطع التى تكشف موقف سارتر فى نهاية حياته من فلسفته ، فنتركه للتعقيب الذى يجده القارىء فى ختام هذه المحاورة ، وذلك كى لا نستبق النصوص الأصلية للمحاورة وندعها تتحدث أولا عن نفسها .

المترجم





سارتر وسيمون : فى سن الشباب

جان بول سارتر وسيمون دى بوفوار
رحلة عمر وساعة حقيقة



الفلسفة كانت وسيلة .. لا غاية

ـ دوبوفوار : علام اعتمدت فى تحقيق خلودك الأدبى : على الأدب أم الفلسفة ؟ وكيف كان شعورك تجاه كل منهما ؟ وهل تفضل أن يحب الناس فلسفتك ام يحبوا ادبك ، ام تتمنى ان يفضلوا الاثنين معاً ؟

ـ سارتر : بطبيعة الحال ساجيب أن يحبوا الاثنين معاً . ولكن ثمة اولولية لدى تضع الفلسفة فى المرتبة الثانية وتضع الأدب فى المرتبة الأولى . فانا اتمنى ان احقق الخلود الأدبى عن طريق الأدب . اما الفلسفة فليست سوى وسيلة توصلنى الى ذلك . ولكنها فى نظرى ليست بذات قيمة مطلقة فى حد ذاتها لان الظروف (التاريخية) تتغير وتؤدى الى تغييرات فى الفلسفة .

إن أية فلسفة كانت لا تلبى مطالب اللحظة الحاضرة ، وليست بالشىء الذى يكتبه المرء لمعاصريه ، لانها تعالج الحقائق الأزلية ؛ ولذا فان فلسفة أخرى ستاتى وتتخطاها بالتاكيد لأن هذه تنظر الى الأزل ايضاً وتتحدث عن أمور بعيدة جداً عن وجهة نظرنا الشخصية فى اللحظة الماثلة . أما الأدب فعلى النقيض من ذلك ، يمثل سجلا للعالم الماثل امامنا ، للعالم الذى نكتشفه من خلال القراءات ، والمناقشات ، والانفعالات والرحلات . اما الفلسفةفتذهب بعيداً ، وهى تعتبر ، على سبيل المثال ، المشاعر الراهنة ليست بذات بال لانها لم تكن موجودة منذ القدم ؛ والحب ...

ـ دوبوفوار : تريد القول ان الأدب بالنسبة لك له طبيعة اكثر إطلاقا ، بينما الفلسفة تعتمد اكثر على متغيرات التاريخ ولذا فانها خاضعة بصورة اكبر لعملية المراجعة والتنقيح ؟

ـ سارتر : انها تستدعى بالضرورة المراجعة والتنقيح لأنها تتخطى دائماً اللحظة الماثلة .

ـ دوبوفوار : حسناً ، ولكن الا ترى معنى مطلقاً فى وجود الفيلسوف «ديكارت» او الفيلسوف «كانت» ، حتى ولو تم تجاوز فلسفتيهما بشكل أو باخر ؟ ولنقل انه تم تجاوزهما ، ولكن أليس الرجوع الى ما ابدعاه يحمل معنى مطلقاً ؟

ـ سارتر : لا انكر ذلك . ولكن هذا لا يحدث فى الأدب . فالناس الذين يحبون «رابليه» من كل قلوبهم يقرؤونه كما لو انه فرغ من كتاباته لتوه !

ـ دوبوفوار : وبصورة مباشرة تماماً وبلا واسطة ..

ـ سارتر : وسرفانتس ، وشكسبير نقرؤهما كما لو كانا حاضرين معنا ... و «روميو وجولييت» و «هاملت» من الاعمال التى تحمل دوماً صبغة الجدة كما لو كتبت للتو ..

ـ دوبوفوار : إذن فانت تعطى الاولوية فى نتاجك للأدب ، ومع هذا فان الفلسفة تلعب دوراً هائلا فى مجمل قراءاتك وفى تكوينك (الثقافى) كله .

ـ سارتر : نعم لأنى اعتبرها افضل معين على الكتابة ، فهى التى اعطتنى الأبعاد الضرورية لخلق عالمى القصصى .

ـ دوبوفوار : لكنا لا نستطيع القول مع هذا ان الفلسفة لم تكن سوى وسيلة بالنسبة لك .

ـ سارتر : فى نقطة البداية ، كانت كذلك ..

ـ دوبوفوار : فى البداية نعم ، ولكن فيما بعد عندما جاء الوقت الذى كتبت منه كتاب «الوجود والعدم» وكتابك الآخر : «نقد العقل الجدلى» ، لا يمكننا القول ببساطة إن ذلك كان وسيلة للتوصل الى كتابة أعمال ادبية،فالكتابان فلسفة قائمة بذاتها وهى التى دفعتك للكتابة تعبيراً عنها .

ـ سارتر : نعم لقد اثارت اهتمامى ، هذا اكيد .

المحاورة الأخيرة
بين سارتر ودي بوفوار

فقد اردت التعبير عن نظرتى للعالم فلسفيا ، مثلما كنت أعبر عنها بالشخصيات الحية فى أعمالى الادبية ، وفى مقالاتى . وكان هدفى وصف هذه الرؤية لمعاصرى . (اى انه لم يقدم فلسفته كحقيقة وكايمان دائم للاجيال ـ المترجم)

ـ دوبوفوار : باختصار ، إذا قال لك أحد : «انت اديب عظيم ، ولكنك كفيلسوف لا تقنعنى» ، فانت تفضله على من يقول لك : «فلسفتك رائعة ، ولكنك كاديب لا تثير اهتمامى ..»

ـ سارتر : نعم انا افضل القول الاول . (الذى يلغى قيمته كفيلسوف) .

ـ دوبوفوار : ربما لانك تشعر بان فلسفتك لا تخصك وحدك بشكل حصرى . وان غيرك يمكن ان يتوصل الى افكارها ، وهذا يحدث ايضا للعلماء الذى يبتكرون الجديد لكن غيرهم يتوصل للشىء ذاته فيما بعد ، فلا يبقى ملكا خاصا لمبتكريه . من ناحية اخرى ، الا يمكننا القول ايضا بان العمل الادبى مطلق فى تفرده وخصوصيته لكنه مغلق ومتوقف بينما الفلسفة ، وان تجاوزناها ، فهى مفتوحة للاخذ والرد ، فمثلا الفيلسوف «ديكارت» يعيش فى ذاتك ، وان يكن بطريقة اخرى تختلف عن حضور شكسبير لديك الذى تقرؤه بمتعة عظيمة والذى يؤثر عليك بالايحاء الحى المباشر ؛ بينما «ديكارت» ينطوى فى تركيبة افكارك . فلماذا تفضل ما هو مطلق قائم بذاته ، لكنه منغلق (تقصد العمل الأدبى) ؟

ـ سارتر : عندما كنت صغيرا ، ذلك ما كنت احياه . فقد اردت ان اكتب رواية مثل «نوتردام باريس» او «البؤساء» ، عملا سيحظى بالاعتراف فى العصور التالية ، مطلقا لا شىء يمكن ان يبدل منه . اما الفلسفة ، فانت تعلمين ، بانها دخلت حياتى بطريقة غير مباشرة نوعا ما .

لماذا الفلسفة اذن ؟

ـ دوبوفوار : لماذا دخلت الفلسفة فى حياتك كمبدع (لها) ؟

ـ سارتر : كنت مبدعا للروايات فى خيالى ، عندما بدأت التعاطى مع الفلسفة .. وكان لدى قريب يدرس فى قسم الرياضيات ، ويتعلم الفلسفة كبقية تلاميذ الرياضيات . ولكنه كان يرفض التحدث عن الفلسفة امامى . لذلك داخلنى الشعور بانه يعرف اشياء لا اعرفها ، وهذا ما اثار فضولى ، ودفعنى للفلسفة . ولكن كانت الافكار الروائية والادبية متمكنة من نفسى بحيث لم تستطع الفلسفة ان تزحزحها منى .

ـ دوبوفوار : لماذا اصبحت مؤلفا فى الفلسفة إذن ؟

ـ سارتر : هذه حذاقة غريبة ، لانى لم ارغب ان اكون مؤلفا فى الفلسفة ولم ارد ان اكون فيلسوفا فقد كنت اعتبر ذلك مضيعة للوقت . حقا لقد رغبت فى دراسة الفلسفة ، ولكنى لم ارغب فى التفلسف . واعتبرت ذلك عبثا . ومع مرور الوقت بدات ابتكر فلسفيا وانا اكتب ، وإن كان ذلك يصعب شرحه . ووجدت متعة فى قدرتى على التاليف الفلسفى . غير ان الفلسفة هى بمثابة تواصل مع الحقيقة (البعيدة) ومع العلوم (المنهجية) ، وهذا ما ضايقنى ، ثم إن الوقت كان مبكرا ..

ـ دوبوفوار : ولكن الفلسفة مع هذا اثارت اهتمامك الى حد الشغف وذهبت الى المانيا لتقضى سنة للتعمق فى فلسفة «هوسرل» ولتتعرف الى «هايدغر» .

ـ سارتر : قضيت وقتى فى المانيا على النحو التالى : من الصبح وحتى الثانية بعد الظهر فلسفة . ثم اتوقف للغداء . واعود فى الخامسة مساء لاكتب رواية «الغثيان» ، اى لاقوم بعمل ادبى .

ـ دوبوفوار : ولكن يبقى للفلسفة دورها الكبير . واذكر انك عندما قرات كتاب «لوفيناس» حول «هوسرل» مرت بك لحظة ارتباك كامل وقلت لنفسك : «اه .. لقد اكتشف كل افكارى !» . إذن فافكارك الفلسفية تبقى لها اهميتها الفائقة .

ـ سارتر : نعم ، ولكنى كنت مخطئا عندما قلت بانه قد اكتشف (قبلى) كل افكارى .

ـ دوبوفوار : كان لديك حدس فلسفى معين ولم يرق لك ان يسبقك احد للتعبير عنه . إذن ، باختصار ، فقد راهنت على الخلق الفلسفى ايضا .. واردت ان تصبح الفيلسوف سبينوزا والاديب ستاندال فى نفس الوقت ، اى علما من اعلام عصرك والعصور التالية . اهذا ما حلمت به وانت فى العشرين ؟

ـ سارتر : نعم ذلك ما طمحت اليه وانا فى العشرين عندما تعرفت اليك .

ـ دوبوفوار : وبصورة عامة ، كنت مغرورا الى حد كبير . وكنت تكرر هذه الكلمات : «لم اقابل ابدا الرجل الذى يساوينى !» .

ـ سارتر : نعم لقد كتبت ذلك فى احد دفاترى .

ـ دوبوفوار : ومع ذلك شعرت بخيبة مرة عندما اعتقدت ان كتابك «الغثيان» قد تعرض للرفض فى البداية .. لقد هزك ذلك تماما .. واود العودة الان لهذا الاخفاق الاول لـ «الغثيان» .. هل اعتقدت عندها انك عبقرية لم تجد الوسيلة لتحقيق الاعتراف بها ؟

ـ سارتر : اعتقدت ان «الغثيان» كتاب جيد ، وانه تم رفضه (فى البداية) كما يحدث للكتب الجيدة غالبا فى تاريخ الادب . قلت لنفسى : لقد كتبت كتابا ، وقدمته ، وسيتم الاعتراف به متاخرا كرائعة ادبية !

ـ دوبوفوار : ما هى علاقتك الذاتية مع اعمالك الان فى هذه السن ؟ .

ـ سارتر : لست راضيا عنها تماما . فى الرواية لا اظننى بلغت الكمال ..

ـ دوبوفوار : إنها لم تبلغ منتهاها لكنها لم تخفق

ـ سارتر : لقد تم تقييمها باقل مما هى واعتقد ان الناس على حق . ثم تاتى اعمالى الفلسفية ..

ـ دوبوفوار : هذه رائعة بشكل مدهش .

ـ سارتر : نعم ، لكن إلام تؤدى (اى ما قيمتها المطلقة ؟)

ـ دوبوفوار : أجد ان كتاب «نقد العقل الجدلى» قد ساهم بشكل مدهش فى تقدم الفكر !

ـ سارتر : اليس ذلك مثاليا ؟

ـ دوبوفوار : لا اعتقد . وارى انه يمكن ان يبقى لامد طويل . (وسؤال اخر) .. لقد قلت من ناحية انك شعرت بنبوغك منذ الصغر ، ومن ناحية اخرى كنت تؤكد بان الناس متساوون : فهل بسبب هذا الايمان بالمساواة ، رفضت دائما كل ما يميزك عن الاخرين ؟

ـ سارتر : لهذا صلة بذاك حتما . لكنه متصل ايضا بايمانى بان حقيقتى العميقة فوق كل تشريف او تكريم (بالاوسمة والجوائز) . فهذه التشريفات معطاة من اناس لاخرين . والذين يقدمون هذه التشريفات ، سواء كانت وسام الشرف او جائزة نوبل ، لا يمتلكون صلاحية اعطائها (ادبيا) . فمن له الحق يا ترى ليعطى «كانت» او «ديكارت» او «جوته» جائزة تكريمية ؟ ثم إن هذا يؤدى الى خلق طبقات هرمية فى عالم الأدب ..

ـ دوبوفوار : هذا يفسر لماذا رفضت جائزة نوبل .

ـ سارتر : جائزة نوبل ؟ .. اننى على تضاد مطلق معها ، لأنها تنطوى على تقسيم طبقى للأدباء ، ولو كانت موجودة فى القرون الماضية لما حصل عليها اعظم العباقرة ولنالها اواسط الكتاب .. وهذا سخف لا طائل منه .

• • •

تعقيب المترجم

ماذا بقي من فلسفة سارتر بعد هذا الاعتراف ؟

يهمنا ان نلاحظ بان سيمون دى بوفوار كانت حريصة طول الوقت على تذكير سارتر بالفلسفة وحبه لها ودوره هو كفيلسوف وصاحب مدرسة فلسفية وصاحب مؤلفات فى الفلسفة النظرية الخالصة تضعه فوق مصاف الأدباء والروائيين .

لكنه كان طول الوقت ايضا يتهرب من تاكيد نفسه كفيلسوف وصاحب اهتمام اصيل فى الفلسفة وصاحب إسهام حقيقى فيها ويرد مؤكدا بالمقابل عبقريته الأدبية وتفضيله للادب كفن متفوق على الفلسفة . وكان «دوبوفوار» تريد من «سارتر» أن يقول للاجيال الجديدة : هذه فلسفتى الوجودية مازالت حية قابلة للاستمرار فخذوها واحملوا رايتها ؛ بينما الرجل فى نهاية العمر وساعة الحقيقة لا يجد من الايمان فى قلبه ما يدفعه الى حمل هذه الدعوة وتاكيدها ، علماً أن المؤمنين بافكارهم وفلسفاتهم يصبحون اشد اقتناعا بها وميلا الى نشرها فى سنواتهم الاخيرة . ولكن الرجل صادق مع نفسه وهو يرى أن فلسفته

ومؤلفاته الفلسفية ، التى أحدثت دويا وقت صدورها ، واجتذبت اتباعاً كثيرين ، لم تعد تساوى فى نظره شيئا يذكر ، بل ويرد على اعجاب صديقته بكتبه الفلسفية قائلا : ولكن الى أين تؤدى بنا ؟!

ولو كان سارتر مؤمنا بفلسفته حقا لما تحدث عنها بمثل هذا التردد ولما قلل من شان فكره الفلسفى بهذه الصورة ؛ ولما قال عن الفلسفة ككل بانها عبث ومضيعة للوقت ، وانه قد نظر اليها كوسيلة لا غاية ، وانها قد دخلت حياته بدافع الفضول والمنافسة بينه وبين قريبه الذى ميز نفسه عنه بدرس الفلسفة والتظاهر بحفظ أسرارها ..

اما لماذا استمر سارتر فى التاليف الفلسفى



سارتر قبل وفاته بعامين

بعد ذلك فانه يجيب بأن الأمر كله «حذاقة غريبة» وشعور «بالمتعة للقدرة على التاليف» أى بعبارة اخرى لأظهار الحذق والاستمتاع بالقدرة على التفلسف الذى يعجز عنه الكثيرون . أما ايمانه العميق بالأفكار الفلسفية ذاتها فان سارتر يشككنا فيه كثيرا عندما يضيف الى هذا كله عبارته الصريحة : «... ولكنى لم ارغب فى التفلسف واعتبرت ذلك عبثا» !!

(وليس مستغربا ان يشك «سارتر» فى قيمة فلسفته التى لم تقم على غير الشك والعبث كمنطلق فلسفى - رغم تاكيدها الالتزام والمسئولية والحرية كقيم انسانية فردية) .

فالانسان فى النهاية ، حتى لو كان «سارترا» ، يبحث عما يعطيه الايمان واليقين ويشعره بالمعنى العميق للوجود ، لا المعنى التبعى له . وذلك ما يدفع سارتر فى نظرنا للتعتيم على الجانب الفلسفى من حياته .

وسيندهش العارفون بالحاد سارتر المعلن عندما يقرؤون اعترافه الأخير التالى الذى قاله بالحرف الواحد لسيمون دى بوفوار ، فى موضع اخر من محاورته الطويلة معها ، لم تشمله ترجمتنا ، ولكنا نرى من الضرورى ان يطلع على نصه القراء هنا ، خاصة الذين علقت باذهانهم اثار من إلحاد الفيلسوف الوجودى الفرنسى :

● يقول سارتر : «أنا لا اشعر بأنى مجرد ذرة غبار ظهرت فى هذا الكون ، وإنما ككائن حساس تم التحضير لظهوره واحسن تكوينه ، اى بايجاز ككائن لم يستطع المجيء إلا من خالق» .

وهذه العبارة تنسف فلسفة «سارتر» الالحادية من الأساس !

وبعد .. فهذا هو موقف «سارتر» فى ساعة الحقيقة من الفلسفة ومن فلسفته الوجودية وكتبه الفلسفية التى كانت غذاء فكريا هاما لبعض مثقفينا قبل هزيمة حزيران ، والتى مايزال البعض يكتب حتى الآن تحت تاثير منطلقاتها العبثية .

مع تحياتنا لكل من ساهم فى نشر الوجودية ..
ودعا اليها ..
وصدقها !!

دكتور محمد جابر الانصارى
باريس

عثمان

الخليفة المفترى عليه



بقلم: خالد محمد خالد

عثمان بن عفان رضى الله عنه واحد من الرجال الذين دعتهم الاقدار ليأخذوا مكانهم مبكرين مع الرسول الذى جاء بالهدى ودين الحق .. من الرجال الذين تركوا مباهج الحياة ومناعمها فى الاوليات من أيام الاسلام إلى حياة تموج بالخطر وتفرض التضحيات ! !

ومن عليائه وثرائه . ومن جاهه العريض ودنياه الحافلة خرج إلى دعوة الله ورسوله مخبتاً اواباً يشد أزر الدين ، ثم يتقبل بطيب خاطر ان يغادر اهله ووطنه مهاجراً إلى الحبشة مع المهاجرين الأوائل امتثالا لأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم ـ مؤثراً ذلك على الرجوع إلى جاهلية قريش الباطلة وأوثانها الزائفة .

ولقد كان من الطبيعى والقدر يختار الرعيل الاول للاسلام ، ويصطفى المؤمنين الذين سيواجهون مع رسولهم الاعزل كل ما فى الدنيا من زيف وكذب وجهالة وغرور .

اقول : كان من الطبيعى ان يختار هؤلاء الرجال من طراز متفوق قادر على ان يكون قدوة لكل ما ينقص الحياة من حق وخير وفضيلة وجمال .. طراز قادر على ان يهب حياته فى سماح نادر المثال لنصرة الرسالة التى جاءت على فترة من الرسل ومن الرسالات .. لتنفخ من روحها المقتدر الغلاب فى حياة ذلك الرشد الوهنان الذى كانت ذؤابته توشك على الانطفاء ، لا فى مكة وحدها ، بل فى الأرض جميعا .

وهنا نلتقى باولى خصائص « عثمان » . فهو لم يكن رجلا من نافلة الرجال . بل كان صحابيا وحواريا اختاره الله واصطفاه ـ فيمن اختار واصطفى ـ ليكون بين الكتيبة الاولى التى ستقوم بتبليغ كلمات الله ونشر نور الاسلام .

وهو بهذه المثابة لن يكون ذلك المفرط فى حق من حقوق الله ، لا عن عصمة . بل عن تشبع عميق لصبغة الله التى صبغ بها وفطر عليها ذلك الرعيل الأمثـــل من الأصحاب .

اجل ـ فى اعلى مستويات الاصطفاء ، تقدمت مقادير الاسلام لتختار له الجديرين بحمل رايته فى فجره الغض وايامـــه الباكرة .. !!

ومن هؤلاء المصطفين ، كان « عثمان » .. خرج أو قولوا بزغ بزوغ الأهلة حاملا اعباء نوره الجديد ، باذلا التضحيات المجيدة فى سبيل الله ورسوله والمؤمنين .. !

ولقد جاء اسلامه « تنازلا » كاملا عن حياة مترعة بالنعيم والراحة إلى حياة كلها كد وبذل وتضحية وعناء .

وحين احتوى قريشا النزق ، وراحت تدمدم بجبروتها الجهول حتى على الذين هم

من صفوة رجالها ـ أمر الرسول « عثمان » بالهجرة ومعه زوجه « رقيـة » بنت رســول الله عليه الصلاة والسلام ، وقال عنــه : « عثمان أول المهاجرين إلى الله بعد نبى الله لوط » .

● ●

ساعة أسلم كانت سماحته وحياؤه يقودان خطاه الوديعة الواثقة إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فى صحبة ابى بكر رضى الله عنه حيث وضع يمينه فى يمين الرسول وعطرها ببيعة مؤمنة وصادقة .. وكان اسلامه غضا كانفاس الزهر فى فجر الربيع .. !!

كان مع الراشدين من قومه ينتظر ظهور « المنقذ » الذى سيخرج الناس من الظلمات إلى النور . فلما جاء المنقذ المنتظر منعه حياؤه من أن يهرب . ومنعته سماحته من ان يتردد او يرجىء .

وعلق الرسول على صدره هذا الوسام : « أصدق امتى حياء عثمان . اللهم ارض عن عثمان فانى عنه راض ، وان الملائكة لتستحى من عثمان » !!

وساعة هاجر كانت سماحته وحياؤه يدفعانه إلى الهجرة امتثالا لأمر الرسول الذى عز عليه أن يرى « عثمان » يهان فى قوم هو سيدهم .. وعز عليه أن يراه موثقا بالحبال والسلاسل ، والحكم بن ابى العاص عمه يصرخ فيه : « اترغب عن ملة ابائك إلى دين محدث ؟ والله لا افك وثاقك أبدا حتى تدع ما انت عليه من هذا الدين » .. !! ويجيبـــه « عثمـان » فى إصرار المؤمن

الذى عرف طريق الله ، وثبت فوق مشارفه خطاه : « والله لا ادع دين الله أبدا ولا افارقه » ..

كانت هجرته هجرة روح لا هجرة مكان ، وكان يرى فى هجرته خطوات إلى الله على طريق الله .. ولقد تنازل لاسلامه ولهجرته عن جاهه وماله ، وأخيرا عن حياته فى سماح منقطع النظير !!

ولقد بقى حريصا على الا تزايله صفة المهاجر ـ فعندما هاجمه الثوار وهو خليفه ، يريدون عزله او اغتياله تقدم إليه « المغيرة ابن شعبة » بمشورته قائلا له : « يا امير المؤمنين . لقد نزل بك ما ترى ، وإنى اشير عليك بثلاث : لتختار واحدة منها ـ إما ان تخرج فتقاتلهم فان معك قوة وعددا ، وانت على الحق ، وهم على الباطل .. وإما ان تفتح لك من خلف الدار بابا تخرج منه فى غفلة منهم حيث تحملك رواحلك إلى مكة ، فانهم لن يستحلوا دمك وانت بها .. وإما ان تلحق بالشام ، فان بها معاوية » ..

ويجيب المهاجر العظيم قائلا : « اما ان اخرج فاقاتلهم ، فوالله لن أكون اول من يخلف رسول الله فى أمته بسفك الدماء .. واما خروجى إلى مكة ، فانى سمعت رسول الله صلى عليه وسلم يقول : يلحد رجل من قريش فى مكة يكون عليه نصف العذاب ، ولن اكون هذا الرجل . واما خروجى إلى الشام ، لأن فيها معاوية فلاوالله . ولن افارق دار هجرتى وثوابها ومجاورة رسول الله ما حييت » ..

رجل يحيط به ثوار مسلحون ، يريدون راسه ، وبين يديه الفرصة للنجاة والخلاص ثم يرفضها لانها ستنال من كرامة هجرته وثوابها .. !!

ولو اردنا ان نتعرف إلى مسلم هاجر من دنياه وامواله وثرائه إلى البذل العريض ، والعطـــاء المفيض فى ســبيل الله ودينــه لانطلقت البنان مشيرة إلى عثمان ..

● اشترى بالمدينة « بئر رومة » ، وكانت ملك يهودى يتحكم عن طريقها فى المسلمين ويبيعهم الماء بثمن باهظ ، فاشتراها الجواد السمح « عثمان » باربعة وعشرين الف درهم وجعلها للمسلمين بغير ثمن وبلا حساب ..

● واشترى بخمسة وعشرين الفا مكانا بجوار مسجد الرسول الذى ضاق باعداد المسلمين وجعل منه توسعة للمسجد الشريف ..

● وعندما رأى الرسول أن يوسع فى المسجد الحرام بمكة اشترى عثمان الدور المجاورة بعشرة آلاف دينار ..

● وفى غزوة « تبوك » وقفت صفوف المهاجرين طويلة عريضة بغير سلاح كاف . واستعرض الرسول وجوه اصحابه قائلا : « من يجهز هؤلاء ويغفر الله له ؟ » وفورا وجدت العسرة « عثمانها » المعطاء ، فقام بتجهيز الجيش كله حتى لم يتركه بحاجة إلى خطام او عقال . وتبرع من خالص ماله بتسعمائة وأربعين بعيرا ، وستين فرسا ، وعشرة الاف دينار ، وسبعمائة اوقية ذهبا ، اخذ الرسول عليه السلام يقلبها بكفيه وهو يقول : « غفر الله لك يا عثمان ما أسررت وما أعلنت ، وما هو كائن إلى يوم القيامة .. ما ضر عثمان ما فعل بعد اليوم » ..

● ويحدثنا عبد الله بن عباس فيقول : « قحط الناس فى زمان ابى بكر ، وقدمت المدينة قافلة لعثمان ، فغـدا عليه التجار ، فخرج إليهم وسالوه ان يبيعهم قافلته . فسالهم : كم تربحوننى ؟ قالوا : العشرة اثنا عشر ، قال : قد زادنى .. قالوا فالعشرة خمسة عشر .. قال : قد زادنى ..

قالوا : من الذى زادك ونحن تجار المدينة؟ قال : الله .. زادنى بكل درهم عشرا ، فهل لديكم من مزيد ؟ ؟ فانصرف التجار عنه وهو ينادى : « اللهم انى وهبتها فقراء المدينة بلا ثمن وبلا حساب » !!

افهذا رجل تهفو نفسه إلى المال الحرام وهو خليفة فى سن الثمانين ؟ !!

او هذا رجل يشوه إيمانه بممالاة الظالمين ؟ !!

سنرى ، وفى صدق تاريخى سنواجه الحقيقة فى موقف « عثمان » ..

● ●

ولى « عثمان » الخلافة بعد امير المؤمنين « عمر » رضى الله عنهما ، وحمل مسئولياته الجسيمة فى فترة من الزمان ، كانت ختاما لعصر « نبوى » بكل ما فيه من ورع وصمود وإخبات ، وبداية لعصر « امبراطورى » بكل ما يحمل من فتن ومغريات ..

كان « عمر » شديدا على المسلمين ، حريصا عليهم ، محاذرا أن تفتنهم الفتوحات التى أسقطت تحت سنابل الخيل تيجان كسرى وقيصر ، وأموال فارس والروم .. وكان كلما رأى أمائر الثراء على احد قال لــه : « أبت الدراهم إلا أن تطل باعناقها . فمن اين لك هذا » ؟ ! وكان حريصا على أن يظل عصر النبوة والوحى قائما بكل ورعه وزهده وتقشفه متوسلا بذلك القمع « الرهبانى » الذى فطم به الانفس ومنعها هواها ..

وما كان من طبائع الأشياء ان يدوم هذا النسك .. فالفتوحات جاءت معها بالكثير من التناقضات .. والاموال كثرت ، والدنيا اتسعت ، ورياح التغيير المحتوم تسوق مجتمع المسلمين إلى مطالع جديدة ، وتزدحم حياة المسلمين بتقاليد طارئة ومشكلات وافدة ، وتطلع متوائب إلى المزيد من طيبات الدنيا ومباهج الحياة ..

وفى هذه الفترة الحرجة والسنوات الصعبة ، قدر لعثمان ان يحمل المسئولية الرهيبة ـ مسئولية الابقاء على روح « عصر النبوة » والتفاعل مع « عصر الامبراطورية »

والبلاد المفتوحة تنطوى دائما على مشكلات تؤرق الفاتحين .. وعلى الرغم من ان الاسلام حرر شعوب تلك البلاد من قاهريها المستعمرين .. وعلى الرغم من انه نشر العدل والسلام إلا ان ذلك لم يمنع طبائع الاشياء من أن تبلغ مداها .

فحين مالت شمس « عمر » للمغيب وجدت المؤامرات الضارية المسمومة لنفسها منفذا عريضا ، فكانت الحروب التى واجهت الدولة المسلمة فى بقاع كثيرة .. بيد ان المنهزمين منهم وقد القوا سلاحهم ، لم يلقوا ما فى صدورهم من حقد مكظوم وضغن مسموم فلجاوا إلى أسلوب الائتمار بالدولة والتسلل بالفتنة . لا سيما بين صفوف المسلمين الجدد فى اقاليم الدولة الشاسعة نافخين فى نار العصبية والقبلية والشعوبية .. لقد كثرت القوى المعادية للاسلام والمؤتمرة به فى خفاء تارة وفى علانية تارة اخرى .. وشحذت هذه القوى انيابها فى عهد الخليفة « عثمان » . مركزة على تغـــذية الشكوك وتوهين الولاء للدولة وتصعيد الأزمات . ولقد وضع احد قادة الفتنة دستورا لاتباعه فى هذه الكلمـــــات : « تظاهروا بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر تستميلوا الناس إليكم .. وابدأوا بالطعن فى امرائكم .. وقولوا للناس إن « عثمان » اخذ الخلافة بغير حق » .. !!! ولم يكن هؤلاء هم المسيئين وحدهم للدولة وللخليفـة ، فقد كان لبعض ولاة الاقاليم دور فى إذكاء المعارضة . ومن هؤلاء مثلا سعيد بن العاص الذى كان يتوسط الناس وقد اسكرته السلطة ويلوح بيمناه صوب أرض العراق جميعا ويقول : « إنما هذا السواد بستان لقريش » .. !!

مضت الفتنة تلهث كالنار فى الحطب ، واطمع الناس فى الخليفة حلمه ، حتى ان احد المتمردين ليجابهه فى تهور وسفالة امام جمع من اصحابه قائلا : « والله لاقتلنك يا نعثل ، ولاحملنك على قلوص جرباء !! » أو عثمان الذى قال عنه الرسول « رفيقى فى الجنة عثمان » يصبح نعثلا على لسان هذا الغبى الجهول .؟؟!

لقد صار سلطان الخلافة والدولة وكرامتهما فى خطر يتطلب الكثير من الحزم ومع ذلك لم يستخدم الخليفة من الحزم إلا قله .. لقد كان هناك مؤامرة ضد الاسلام ودولته ، واستغل المتامرون تلك المعارضة الشريفة التى كان يقوم بها نفر من الصحابة على راسهم الامام « علي بن ابى طالب » وراحوا يفتنون المسلمين لا سيما فى الاقاليم عن ولائهم للدولة وولائهم للخليفة ..

وحتى لا يستدرجنا الحديث إلى الاطالة نقول : إن الماخذ التى اخذت على الخليفة « عثمان » والتى راح المتمردون ينفخون بها فى ابواق الفتنة تتلخص فى اربعة ماخذ ..

اولها ـ عن الولاة .. فقد اخذ على الخليفة انه عزل نفرا من الصحابة ووضع مكانهم نفرا من اقربائه ..

ثانيها ـ عن الأموال العامة ، فقد قيل إن الخليفة استغل بعضها فى اغراض شخصية وان الامويين استغلوا قرابتهم من الخليفة واستحوذوا على ما ليس لهم بحق ..

ثالثها ـ عن موقفه من بعض فضلاء الصحابة وما اتسم به من عنف ..

رابعها ـ عن موقفه من بعض مسائل دينية كان له فيها اجتهاد خاص ..

● ●

فاما عن الماخذ الاول الخاص بالولاة ، فقد استخدم « عثمان » حقه كخليفة يختار الذين يرى انهم سيعاونونه فى تصريف شئون الدولة ، ماداموا صالحين لتبوا هذه المناصب .. على ان الخليفة رضي الله عنه لم يغير ولاة الأقاليم او بعضهم إلا تحت ضغط وإلحاح سكان تلك الاقاليم . فعزل « المغيرة بن شعبة » عن الكوفة تحقيقا لرغبة اهلها ، وولى مكانه « سعد بن ابى وقاص » ..

ثم عزل « سعدا » حين شجر الخلاف بينه وبين « عبد الله بن مسعود » الذى كان خازنا لبيت مال الكوفة ، وولى الوليد بن عقبة ..

ثم عزل الوليد رغم بلائه الكبير فى فتح اذربيجان وارمينية حين علم انه يشرب الخمر ، فاستدعاه إلى المدينة ، واقام عليه الحد رغم قرابته منه ثم عزله ، وولى مكانه « سعيد بن العاص » ..

وعزل ابا موسى الأشعرى عن البصرة حين ارسل اهلها إليه وفدا كبيرا يطلب عزله وولى مكانه عبد الله بن عامر ..

ونحى « عمرو بن العاص » عن ولاية مصر حين طلب اهلها ذلك ، وابقاه على الصلاة ، وولى مكانه « عبد الله بن سعد بن ابى سرح » ..

واتهم الخليفة بانه فى الولاية قد تخطى الصالحين من اصحاب الرسول إلى غيرهم من ذوى قرباه .. فعبد الله بن سعد بن أبى سرح ، هو أخوه من الرضاعة .. وعبد الله ابن عامر الذى ولاه البصرة هو ابن خاله .. ومعاوية الذى استبقاه على الشام ابن عمه .. ومروان بن الحكم الذى اعطاه رياسة الديوان ابن عمه ..

فاما تخطيه الصالحين من الصحابة فقد اجاب عن ذلك بان امير المؤمنين « عمر » كان يصنع ذلك التماسا للكفاءه ، واستدل على هذا بانه ـ اى عمر ـ ولى « معاوية » الشام رغم انه كان هناك من الصحابة من هو افضل منه واورع وأما ايثاره أهله الأقربين . فمن راينا انه كان من الخير للخليفة الا يفعل .. تجنبا للشبهة التى امر الرسول بتجنبها قائلا : « فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه .. »

ولكن من الانصاف ان نعرف تماما ان الخليفة لم يكن يصنع ذلك على حســاب الاسلام وتحديا لتعاليمه .. وإن الفتنة التى راحت ترسل فحيحها كالأفاعى هى التى صعدت هذا الموضوع ، وصاغت منه اتهاما عريضا .

وهذه الفتنة التى نجحت يومذاك فى زلزلة الثقة المتبادلة بين المسلمين وخليفتهم وضعت الخليفة فى « مناخ نفسى » حمله على التماس دفء الثقة والود المفقودين عند اقرب الناس إليه واحناهم عليه .. ثم إنه كان هناك كفاءة أولئك الامراء من اقربائه ـ إذ تحت قيادتهم سارت جيوش المسلمين لتقهر التمرد الذى انتشر فجاة فى انحاء الدولة وعادت البلاد الهاربة إلى الاسلام ودولته ، وتحطمت جيوش بيزنطة وجيوش فارس ـ فمن حق الخليفة ان يعتز ببلائهم ، ومن حقه الا يجعلهم مضغة فى افواه المخربين .

وعلى اية حال ، فعندما كثر الحديث حول اولئك الولاة الجدد قام الخليفة من فوره باجراء تناهى فى العدالة والرشد . إذ شكل لجنة من الصحابة على راسها « محمد بن مسلمة » و « عبد الله بن عمر » و « عمار بن ياسر » و « أسامة بن زيد » وعهد إليهم بالسفر إلى الأقاليم والتحقق من مسلك كل وال .

وعادوا جميعا من مهمتهم ـ ماعدا عمار ابن ياسر » وقدموا للخليفة تقريرهم ، فما كان هناك خطا واحد يستوجب عزل امير !! .

يضاف إلى هذا أن المتامرين وقد استمراوا المطالبة بعزل الامراء راى الخليفة ان عزل ولاته تحت ضغط أولئك الخبثاء امر يمكن ان يذهب بكرامة الدولة ويعرضها للخذلان .

ولقد كتب إلى المسلمين فى جميع الاقاليم منشورا قال فيه : « بلغنى ان اقواما منكم يشتمون ، وآخرون يضربون ، فمن كانت له مظلمة ، فلياتنا فى الموسم ولياخذ بحقه منى أو من عمالى عليكم » ..

وأما عن المآخذ الثـــاني الخاص بالاموال العامة للأمة ، فقد كانت طهارة ذمة « عثمان » وعظمة نفسه ، وطهر اخلاقه موضع يقين لا يتطرق إليه شك ، ولا يناله مغمز .

لقد قيل يومئذ إن الخليفة اختص ذوى قرباه باعطيات كثيرة من بيت المال . وسرح الخيال السقيم بنفر من زعماء المؤامرة إلى القول بأن الخليفة اقطع مروان بن الحكم وحده خمس افريقية .. !!

وعندما زوج الخليفة ابنه وبنته ، وجهزهما من صالح ماله الذى كان وفيرا قبل الاسلام وبعده اذاع المرجفون انه جهزهما من بيت مال المسلمين .. !! وحين اقترض عبد الله بن خالد بن اسد بضعة الاف من بيت المال ، وكان هذا حقا لاى مسلم ، قالوا : إن الخليفة منحه إياها بغير حق ..

وحين توسع الخليفة فى المراعى التى كانت الدولة من عهد عمر بن الخطاب تتعهدها وتحميها لأجل الصدقة وتنمية الثروة الحيوانية قالوا : إنما فعل ذلك لتسمين إبله وماشيته !!

كذلك شهروا بالخليفة الحَيِيّ الاواب حين راح واليه على سوق المدينة ـ الحارث ابن الحكم ـ يستغل وظيفته فيشترى النوى ، ويحتكره ولم يشفع لديهم صنيع الخليفة بهذا الوالى إذ استدعاه إليه وسفهه وعزله ..

وكان أمير بيت المال «عبد الله بن الارقم» قد وافى ذروة عمره ، وحدث خلاف هادىء بينه وبين الخليفة عثمان ، فولى الخليفة مكانه « زيد بن ثابت » الصحابى الجليل ، فارجف المتامرون بالاسلام وبدولته وخلافته أن « عثمان » عزله لانه عارض إسرافه وتصرفاته !!

ولو كان ذلك كذلك ، لا اختار الخليفة رجلا اخر غير «زيد بن ثابت» الذى لا يقل ورعا ولا نزاهة ولا امانة عن سلفه ، والذى ائتمنه ابو بكر الصديق وعمر الفاروق على جمع القرآن ، والذى كان له فى نفوس أصحاب الرسول كلهم كل الاحترام والثقة والتوقير .

لقد اســتغل المتامرون تلك المعارضة الهادئة الصادقة التى كان ينقد بها بعض الصحابة وعلى راسهم الامام علي بعض الاخطاء والتى كان الخليفة يصغى اليها فى تقدير .. استغلوا هذه المعارضة فى تجسيم ما كان يمكن ان يقع من خطا كما استغلوها فى شن حملة من التشهير المجرم بالخليفة وبتصرفاته.. ونحن لا نستبعد وقوع اخطاء ، إنما نستبعد ان يكون هناك خطأ واحد نجم عن ادنى قصور فى ذمة الخليفة العظيم وامانته ..

كل الذى حدث يومئذ ، وشكل مناخا مناسبا لتفريخ الأراجيف ان الأموال قد درت لقاحها ، وكثرت فى ايدى الناس الذين راحوا يستمتعون بها معوضين ما فاتهم فى ايام «عمر» الذى كان يحملهم على التقشف فى غير هوادة ، وكان الخليفة عثمان لا يرى باسا فى ان يستمتع المسلمون بطيبات الحياة الدنيا ما داموا يكسبون حلالا وينفقون فى حلال .

وما كان باستطاعته ـ فيما نحسب ـ ان يحمل المسلمين على منهج عمر فى الزهد والتقشف . فرياح التعبير هبت على المجتمع الاسلامى حاملة امما مختلفة وجنسيات شتى ، وحاملة عادات وتقاليد واساليب حياة تصطخب فى موج كالجبال !!

● ●

وثالث المآخذ نجم عن موقف اتسم بشيء من العنف من الخليفة تجاه الثلاثة الأجلاء ـ ابى ذر الغفاري ، وعمار بن ياسر ، وعبد الله بن مسعود

وهذا العنف الذى يولغ فيه يمكن ان يحدث مثله فى كل زمان ومكان .. لقد غطى المتامرون ضوء النهار بفتنة مظلمة سوداء ، تذر الحليم حيران !! واستغلوا اى خلاف يحدث بين الخليفة وبعض الصحابة فى تاريث نارهم التى يوقدون !! ..

وكان من الطبيعى ان تضيق نفس الخليفة وتتوتر اعصابه حيث ينعكس هذا كله على علاقاته ببعض الصحابة الذين كان ينتظر منهم المناصرة ضد اولئك المخربين .

ولقد كاد الخلاف بينه وبين الأصحاب الثلاثة يكون خلافا بين زملاء فى الدعوة وإخوان فى الله لولا النفخ فى النار الذى لم يكف عنه المتامرون لحظة .. ولقد اختار «ابو ذر» ان يعيش فى الربذة بعيدا عن المجتمع الذى لم يعد عنه راضيا .. وحين لحق به نفر من زعماء الفتنة ليحملوه على تزعم تمردهم صرفهم بكلمات تغنى عن كل مقال .

لقد قال لهم : «والله لو ان عثمان صلبنى على اطول خشبة او اطول جبل لسمعت واطعت ، وصبرت واحتسبت ، ورايت ذلك خيرا لي .. ولو سيرنى ما بين الأفق الى الأفق لسمعت واطعت ، وصبرت واحتسبت ، ورايت ذلك خيرا لي .. ولو ردنى الى منزلى لسمعت واطعت وصبرت واحتسبت ورايت ذلك خيرا لي» !!

هذا ابو ذر .. اما «عمار بن ياسر» ، فقد كان من المعارضين للخليفة ، واقول : المعارضين لا المتمردين ـ فلابد من التفرقة بين الفريقين ..

ورغم معارضته الخليفة فى بعض قراراته فقد رأينا الخليفة يختاره فى لجنة تقصى الحقائق والتفتيش على الولاة ..

وعن واقعة الاعتداء على عمار يقول الخليفة فى صدق : «جاء عمار وسعد بن ابى وقاص الى المسجد ، وارسلا الى ان ائتنا فانا نريد ان نذاكرك فى اشياء فعلتها ، فارسلت اليهما : إنى عنكما اليوم مشغول فعودا إلي فى يوم آخر .. فانصرف سعد ، وابى عمار ان ينصرف ، فاعدت اليه رسولى فابى ، ثم اعدته فابى ، فتناوله رسولى بالأذى ، والله ما امرته ولا رضيت بضربه ، وهذه يدى لعمار ، فليقتص منى ما شاء» !!!

وفيما بعد ، عندما تستعر الفتنة ويحاصر الثوار دار الخليفة ويمنعون عنه الماء ، نبصر عمارا فى مقدمة الساخطين ونسمعه وهو يقول : «يا سبحان الله ، اتمنعون الماء عمن اشترى بئر رومة ووهبها للمسلمين» ؟! ثم يسارع الى الامام علي وينبئه النبا ويقترح عليه ان يحمل بنفسه ـ اى الامام ـ قربة الماء الى دار الخليفة ، فلعل الثوار لا يجراون على اعتراض سبيله !!

اما عبد الله بن مسعود ، فقد كان الخلاف بينه وبين الخليفة شديد اللهجة ، إذ قطع الخليفة عنه راتبه من بيت المال ، ولكن سرعان ما اب «عثمان» الى خصاله الكريمة .. وعندما مرض «ابن مسعود» تغشاه ندم عظيم وخرج الى دار عبد الله متوكئا على شيخوخته المجهدة الوهنانة ، وامعن فى الاعتذار اليه .. وحين عاد ابن مسعود بعض زعماء الفتنة الذين كانوا قد جاءوا من كل بلد وتجمعوا فى المدينة .. نقول حين عادوه وتناولوا الخليفة امامهم بالسوء نهرهم وزجرهم وقال : «والله إنكم لو قتلتموه ، لن تصيبوا مثله» .

كذلك قال عثمان عن ابن مسعود حين مات ووقف عثمان على قبره باكيا : «دفنتم والله خير من بقى من أصحاب رسول الله» !!! ...

● ●

وأما عن المآخذ الرابع ، فقد قال المرجفون إن الخليفة قد وحد المصاحف كلها فى مصحف واحد . وهذه مفخرة لعثمان ـ وعمل أقره المعاصرون من اصحاب رسول الله .

وقالوا إن الخليفة اتم الصلاة بمكة اثناء حجه . وكان الرسول وصاحباه يقصرون الصلاة ، وقد فند الامام علي هذه الأرجوفة بقوله : «إن الخليفة كان قد تاهل بمكة ونوى الاقامة بها فاتم الصلاة» ..

وقالوا : إن الخليفة لم يقم حد القتل على «عبيد الله بن عمر» الذى قتل ابا لؤلؤة المجوسى المجرم الذى اغتال عمر بن الخطاب .

ولقد أجاب الخليفة على ذلك بأنه لم يرد أن يجمع على آل الخطاب حزنين ـ الأول ـ مقتل عمر ـ والثانية قتل ولده قصاصا .

ثم إنه لم يهدر الدم الذى اراقه «عبيد الله» رغم نجاسة هذا الدم ، فاستبدل الدية بالقصاص ودفع لأولياء ابى لؤلؤة دية سخية وكبيرة .

وقالوا : إن الخليفة أعاد الى المدينة الحكم بن ابى العاص ، وكان رسول الله عليه السلام قد نفاه منها .

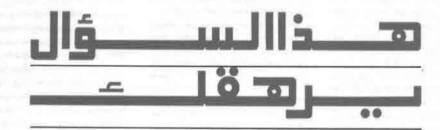
واجاب الخليفة بانه كان قد شفع له عند رسول الله ووعده الرسول بالعفو عنه بعد حين .. ثم إن الخليفة لم يرجعه الى المدينة إلا بعد ان زالت اسباب نفيه .

● ●

وبعد ، فهذه الكلمات ليست دفاعا عن «عثمان» فما تنى فى حياته نكرا يستحق الدفاع .

ولكنها اهتبال لفرصة سعيدة كى ننال شرف الحديث عنه ، وكى نقضى بعض الوقت فى واحة مكارمه وامجاده .

خالد محمد خالد



بقلم : عبد الله الجفري

ما الذى تريد .. وما الذى اريد .. ؟ !

إنه السؤال الذى يشكل بداية المعرفة عندك ، وليس له نهاية .. فالذى يريده الانسان لا ينتهى .. لان المعدة إذا شبعت جاعت ، والذهن إذا استوعب طالب بالمزيد ، والنفس إذا ارتوت عطشت . والرغائب كلما تحقق جزء منها فسد .. وتمخضت عنه رغائب جديدة اخرى .

بمعنى ان الذى تريده كثير .. وإذا وجدته أصبح قليلا !!

والذى اخذته استغنيت عنه . وبحثت عن بديل له تاخذه .. وتستمر تطالب ، وتريد .. ولا تنتهى الأشياء فى النفس حتى يتوقف النبض نهائيا .

والذى لم تقدر أن تاخذه يبقى هو « كل » الذى تريده .. يتحول الى هدف ، وبغية ، وهاجس ، واحتدام .

ونحن نريد الحياة كلها .. وهذا المطلب نضع له تفسيراً خبيئاً اسمه : البحث عن التجربة . ومن الضرورى أن تجرب كانسان كل ما تسمع عنه ، وتقرا عنه . وتعرف عنه وبفعله غيرك وانت عاجز عنه .. حتى ولو كان محتوى التجربة لا يتلائم مع طبيعتك ، أو مناخك ، أو مجتمعك ، او افكارك .. لكنك ــ بوازع الطموح ــ تتطلع الى الغير ، والى أشياء الغير !!

ولا ندعى ان تلك طبيعة الانسان .. فكثير من الأشياء التى تكتسبها من الغير فى الانسان هى ما ينبع من نفسه قبل ان تكتسب ، وتتشوه ، وتتلوث ، وتتناثر ..

فما هى طبائعك انت ؟ !

● طبيعتك : انك مرهف حساس .. هذه اشياء اصيلة بالفعل !!

● طبيعتك : انك مزاجى . حاد الكلام والتصرف .. هذا شىء طبيعى !!

● طبيعتك : انك متجهم ــ لا تضحك للقرص الحار ! ــ هذا شىء مكتسب .. فلو كانت وسائل الحياة معك ، وطموحك يتصاعد ، ورغائبك تتحقق .. فلابد ان تبتسم وتقهقه !

● طبيعتك : انك تتحدث بصوت مرتفع ، وصاخب .. أو انك تتكلم بهمس وهادىء جدا .. أشياء طبيعية فيك طالما انك عاجز ان تبدلها !

● طبيعتك : ان تؤذى الاخرين ، وتترصد اخطاءهم وتحقد عليهم ، وتنوى الشر بهم .. أشياء غير طبيعية .. لانها غير انسانية ، ولكنك فى زحام مواقف الحياة ، والتجارب ، وحدة الرغائب ، وطغيان حب الذات ، والطمع ، ومحدودية الذهن .. تتحول الى التفكير فى هذه الأشياء لتصبح طبيعة لك .. لابد من التخلص منها وعلاجها !!

ولكن .. كيف يمكننا ان نناقش الاشياء الأصيلة فينا ، ونفرزها عن الاشياء المكتسبة والدخيلة على طبائعنا ونفوسنا ؟!

تلك مهمة شاقة .. فكل انسان يتحدث عن الخير ، حتى الأشرار .. وكل انسان يتحدث عن الشر ، حتى الطيبين ، للوقاية والحذر ..

وكل انسان يشجب الكراهية والاحقاد .. حتى الكارهين والحاقدين بعد ان ينفثوا ذلك .

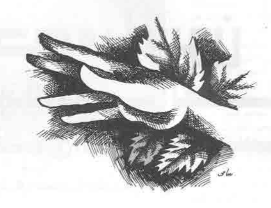
وكل انسان يغمض عينيه ويحلم ، ويغنى للحب .. حتى الذين فشلوا فى صناعة الحب ومعايشته !!

فالمهمة ــ إذن ــ شاقة ، والتحديد فيها تسبى وانت تتحدث عن الخير والمعروف والطيبة والحب .. وترتكب الشرور ، والبغضاء ، والحقد ، والكراهية .. لماذا ؟ !

انت تريد الخير ، وتطمع فى محبة الناس لك .. فلماذا لاتبادل الآخرين الحب والخير ، ولماذا لا يكون الخير والحب تصرفاً لك حتى أمام الأشرار والكارهين ؟

تلك معادلة صعبة .. ينجح فى تاكيدها اولئك الذين لم تتشوه نفوسهم ، ولم تضعف فيهم قوة الارادة ، ولم تؤثر عليهم الرغائب والغرور !

ولكن .. هل هذه المتناقضات هى مرض العصر





ام انها « بذرة » تنمو فى الانسان بمقدار ما يعرف ويتعلم ، ويرتفع بمداركه ؟!

لقد طرحت ما بين يدى من صفحات تتحدث عن العازف المجرى الغريب « فرانزليست » .. وظللت اتأمل ، واطرح الأسئلة . ولقد تشعبت الأسئلة عن هذا الفنان المجرى ـ الفرنسى ـ الألمانى .. فهو مولود فى المجر ، وامه نمساوية ، وامضى اكثر عمره فى المانيا ، واحب فرنسا حينما شعر انه مثقف !!

ونتأمل هذا الانسان بعيدا عن اتجاهاته الفكرية ، وتخبطه الذهنى ، ومعتقداته .. انه يبقى لتاريخ الفن العالمى من اشهر عازفى البيانو ، ومات « راهبا » فى بايرويث عام ١٨٨٦ .

« فرانز ليست » او شيطان البيانو كما اسموه فى القرن التاسع عشر .. تأثر كثيرا بقصة « فاوست » فالف سيمفونية بهذا الاسم ، ولقد اثر « العشق » فى نفسه حتى اذابها ، ولكنه كان يضن بالافصاح عن ما يجيش فى نفسه ، ويعتمل بين جوانحه ، إنه يصمت حتى تحسب ان خفقاته جفت . ولقد احتمل الكثير من الالام والأحزان .. حتى اكتسى وجهه بالاكتئاب ، ولكنه عندما يعزف على البيانو كان يدخل الى ماقى الناس ويستدعيها ويدعها تمطر دمعا !!

« فرانزليست » .. استدعته ذات ليلة تلك الانثى التى فتنت مشاعره كلها : « الكونتس مارى داجول » وجعلته يقف امامها فى الحديقة ـ وقد اخفض راسه ونظراته واشتعل خفقه اكثر ـ كان يعشقها ولكنه يحتار .. انه لا يستطيع ان يجعلها بجانبه وان يكون بجانبها . انه يموت بالعجز ببطء وهو يرضى بذلك . وسرى صوتها الى قلبه وهى تسأله :

ـ فرانز .. قل لى بالضبط ما الذى تريد ؟

ـ قال : اريد ان اعرف بالضبط من انا بالنسبة لك ؟

ـ ابتسمت وتهدج صوتها : فرانز .. انت الذى لا اقدر ان ارفضه !!

ـ ولماذا ترفضيننى ؟

ـ لست انا التى ارفضك ، ولكن من حولى ، والذى انا فيه .. فما الذى تريده .. وما الذى اريده انا .. بعد ان عرف كل واحد منا من هو فى ذات الآخر ؟!

ـ قال فرانز : اعتقد الآن اننى لم اعد اريد شيئا ، بعد ان استحوذت على شعورك كله . ان هذا يكفينى !

ـ قالت مارى : لا يافرانز .. إننا لن نكتفى ، فبعد ان عرفت انت قيمتك فى نفسى وعرفت انا عشقك لى ، فستطالبنى بما بعد ذلك وساطالبك . إن نفس الانسان لا تتوقف عند حد ، او عند اقتناع !

ـ قال : حقيقة .. إننى معك لا ابحث عن استمرار التاريخ وشهرته .. لكننى افتش عن اللحظة التى اموت بعدها قريرا .

ـ قالت : بعد اللحظة .. سنفكر فى اللحظة التى تليها .. لن يكون الانسان قريرا ، ورغائبه فيه !

ـ قال : لنفترق .. حتى يبقى الحب بيننا انسانيا نظيفا .

ورحل « فرانزليست » .. وقال وهو يجفف دموعه :

ـ إذا عجز الانسان عن ما يريد .. فهو يبقى لا يعرف ذلك الذى يريده !!

وقصة « فرانزليست » مثل ، وليست اسطورة .. فمن الممكن ان يحياها اى انسان ، او يشعر بها او يعلم عنها ، ولكن الانسان لا يستفيد ، ولا يتوقف عن السؤال والبحث ..

دائما نحن نبحث عن شىء جديد نريده .. ودائما نحن نسأل : ما الذى نريده ؟!

وتبقى التجارب حكايات ...

وتذهب كل الأشياء التى نريدها رواية تنتهى .. لتبدأ اخرى !!

عبد الله الجفرى

جده

رجـــــل فى مواجهـــــة شعب :

مناحم ميلسون

من أســـــتاذ للأدب العـــــربى.. إلى أســـــتاذ للقمع الفكري والجســـــدي !

بقلم : عصـــام شـــريـــح

وهذه ظاهرة اخرى عجيبة وغريبة فى جملة الظواهر الصهيونية ،ونعني بها ظاهرة البروفسور والأكاديمي ، الحائز على الدكتوراه فى التصوف الاسلامى ، والخبير فى الثقافات الشرقية ، والعربية منها على وجه الخصوص ، واستاذ الأدب العربي فى الجامعة العبرية فى القدس ،ورئيس معهد الدراسات الاسيوية والافريقية فى نفس الجامعة ، ومؤلف كتاب « الأحكام الصوفية للمبتدئين (هارفارد ١٩٧٥) ، والأستاذ المشرف على تحرير كتاب « المجتمع والبنية السياسية فى العالم العربى » (١٩٧٤) .. والذى تخلى عن كل هذه الالقاب العلمية ، وما توحيه من وقار واتزان ، ليعمل استاذاً للقمع الفكرى والجسدى .

ـ من هو ؟ ؟

ـ انه الضابط فى جهاز الاستخبارات الاسرائيلي المعروف باسم « الموساد » ، وهو العميد الثانى احتياط فى الجيش الاسرائيلي ، وهو حالياً يشغل منصب « رئيس الادارة المدنية » فى الأراضى العربية المحتلة .

ـ ما اسمه ؟ ؟

ـ اسمه مناحم ميلسون .



مناحيم ميلسون

هذه المقدمة كانت ضرورية للتعـــرف بـ « البروفسور » مناحم ميلسون ، الذى انتقل ـ بكل بساطة ـ من منصب « أستاذ الأدب العربى » فى الجامعة العبرية ، إلى منصب « أستاذ القمع الجسدى والفكرى والمعنوى » لعرب الأرض المحتلة .

ـ كيف حدث هذا الانتقال ؟ ؟

ـ منذ تسلم وزير الحرب الاسرائيلى الجنرال اريئيل شارون صلاحيته فى هذا المنصب ، كان يفكر فى اجتثاث جذور منظمة التحرير الفلسطينية من الضفة الغربية وقطاع غزة المحتلين ، وكان يبحث باستمرار عن الرجل الذى يتمتع بمزايا معينة للقيام بهذه المهمة الشاقة والمحفوفة بالمخاطر . وقد وجد الجنرال شارون ضالته اخيراً فى شخص البروفسور مناحم ميلسون ، بعد ان لفت هذا انتباهه ، بمقالة نشرها فى ايار (مايو) من العام المنصرم ، فى مجلة « كومنتري » ـ وهى مجلة يهودية اميركية واسعة الانتشار ـ تحت عنوان : « كيف نحقق السلام مع الفلسطينيين » ، وهكذا ، وبعد ان قرا شارون مقالة ميلسون بادر إلى تعيينه فى منصب « رئيس الادارة المدنية » فى المناطق العربية المحتلة ، لكى يتسنى للبروفسور ان يترجم افكاره عن « السلام مع الفلسطينيين » إلى وقائع على الأرض .

وبالفعل ، وبعد الغاء الحكم العسكرى الاسرائيلى فى الضفة والقطاع بسبب استهلاكه « كعلاج » فى التعامل مع الروح الوطنية والقومية لدى عرب الأراضى المحتلة ، واستبداله بالشكل الجديد من هذا الحكم الذى اطلق عليه الجنرال شارون اسم « الادارة المدنيـــــة » ، بادر البروفسور ميلسون إلى تطبيق افكاره التى وردت فى المقال المنشـــــور فى مجـــلة « كومنترى » على الفور وبخطوات متسارعة يحدوه فى ذلك هاجس طالما اقض مضجعه هو هاجس القضاء على منظمة التحرير،



بعض مظاهر الانتفاضة الاخيرة فى الأرض المحتلة

الأرضية والمنطلق

وقبل التعرض بشيء من الايجاز والتبسيط لافكار البروفسور ميلسون حول « السلام مع الفلسطينيين » ، لابد من تحديد الأرضية التى انطلق منها فى وضع افكاره فى تلك المقالة . وتقوم هذه الأرضية على ثلاث ركائز أساسية هى :

أولا : أن الأراضى العربية المحتلة فى الضفة الغربية وقطاع غزه هى « اراض » اسرائيلية محررة » ـ على حد تعبير رئيس الحكومة الاسرائيلية مناحم بيغن ، ومن هذا المنطلق الايديولوجى التوراتى خولت الحكومة الاسرائيلية حسب برنامج الليكود السلطات العسكرية السابقة فى الضـــفة والقطاع ، ولاحقا « السلطات المدنية » التى يراسها البروفسور ميلسون ، صلاحيات واسعة لمصادرة الأراضى العربية على أوسع نطاق ممكن ، واقامة مزيد من المستوطنات اليهودية عليها ، تمهيدا لالحاق المنطقتين اداريا وأمنيا وسياسيا باسرائيل فى خطوة تستهدف فى نهاية المطاف ضمهما رسميا .

ثانيا : إن سياسة الليكود تفصل تماما بين وضع الأراضى المحتلة ، ووضع المواطنين العرب الساكنين عليها ، باعتبار ان ارض الضفة والقطاع هى « ارض اسرائيلية » كما تشير إلى ذلك التوراة ، وانطلاقا من هذا المرتكز الأيديولوجى ، فان الحكم الذاتى الفلسطينى » الذى تتفاوض عليه مصر واسرائيل برعاية الولايات المتحدة منذ عام ١٩٧٩ ، تعطيه اسرائيل للسكان العرب ، وليس للارض ، التى تدعى أن السيادة الاسرائيلية عليها أمر غير متنازع ، ويترتب على هذا المنطق ان اسرائيل لا تعترف للشعب الفلسطينى فى الداخل باى هوية وطنية أو سياسية ، وهى تفصل بين هؤلاء وبين الفلسطينيين فى الخارج ، والهدف المرحلى من هذا الفصل هو احتواء « فلسطينيي الداخل » ضمن كيان الحكم الذاتى الادارى كما تتصوره اسرائيل وتوطين « فلسطينيي الخارج » فى الاماكن التى يقيمون فيها حاليا ، أو تجميع اكبر عدد منهم فى الأردن .

ثالثا : اما المرتكز الثالث فيقوم على اعتبار مشروع الادارة المدنية التى اقيمت فى الضفة الغربية وقطاع غزه ، الاطار الوحيد الصالح لتحقيق الحكم الذاتى الادارى ، كما تراه اسرائيل ، وكما نصت عليه اتفاقية كامب ديفيد .

اما « الحلقة المفقودة » التى عثر عليها شارون ، ثم ميلسون ، لربط المرتكزات الثلاثة المتقدمة ببعضها ضمن خطة متكاملة ، فهى ما أطلق عليه اسم « روابط القرى » ، التى اريد بها ضرب « نفوذ » منظمة التحرير الفلسطينية لدى عرب الارض المحتلة ، وانهاء « سيطرة » مجالس البلديات فى المدن والقرى الفلسطينية ، لبسط سلطة « روابط القرى » واعتبار هذه الروابط « الممثل الشرعى الوحيـــد » لفلسطينيي الداخل .

افكار ميلسون

والآن .. ما هى أفكار البروفسور مناحم ميلسون ، والذى اصبح لقبه بحكم منصبه الحالى ، رئيس الادارة المدنية فى المناطق المداره » ؟ فى الواقع تدور أفكار ميلسون جميعها حول محورين أساسيين هما : تصفية نفوذ منظمة التحرير الفلسطينية فى الضفة الغربية وقطاع غزه عن طريق تصفية مجالس البلديات ، ثم خلق ادوات هزيلة بدلا منها لا ترفض اى طلب اسرائيلى ، واعداد هذه الأدوات (روابط القرى) لتكون المفاوض عن فلسطينيي الضفة والقطاع فى مفاوضات الحكم الذاتى الادارى المنشود ، بحيث يمكن تطبيق هذا الحكم فى صيغته الاسرائيلية .

ويعزو البروفسور ميلسون سبب النفوذ الذى تتمتع به منظمة التحرير فى الأراضى العربية المحتلة الى « أسلوبين أساسيين : تعزيز الولاء للمنظمة عبر تدفق أموالها من جهة ، والارهاب والتصفية الجسدية من جهة اخرى » . ويقول ميلسون : ان المنظمة حققت بهذه الطريقة « ما تصفه وسائل الاعلام بانه « تاييد جماهيرى اجماعى » ، ولا يعنى هذا ان تغدق الأموال والتصفية الجسدية هما الدافعان الوحيدان لولاء الجماهير للمنظمة ، فثمة العديد من التوجيهات الايديولوجية فى الأراضى المحتلة ، إلا ان ما هو من الاهمية بمكان ـ وما يثير القلق فى نفس الوقت ـ هو ان ذوى الاتجاهات المعتدلة والاعتبارات العملية ، قد تعلموا الدرس التالى : ان إطاعة المنظمة تاتى بالأموال ، فى حين ان معارضتها محفوفة بالاخطار » .

ومن الواضح هنا ان ميلسون يحاول إفراغ النضال الفلسطينى من اى محتوى أيديولوجى ، أو جعل هذا المحتوى تابعا للاتجاه الذرائعى ، الذى يقدم المنفعة المباشرة على ما عداها . اما وصفه منظمة التحرير بالارهابية ، لانها اقدمت على تصفية بعض العملاء الذين باعوا انفسهم للشيطان ، ولعبوا دور شاهد الزور فى مصادرة السلطات الاسرائيلية للاراضى العربية ، فهو وصف متهافت ، ويكفى ان نشير الى رد السياسى والكاتب الصحفى الاسرائيلى « أورى أفنيري » عليه ، حيث قال ان عدد الأشخاص الذين قامت المنظمة بتصفيتهم « لخيانتهم » منذ عام ١٩٦٧ وحتى اليوم لا يتجاوز ١٢ شخصا ، وان الشخص الوحيد الذى تمت تصفيته فى الفترة الاخيرة هو عبد النور جنحو الذى عمل سمسارا لبيع اراض « عربيـــة » للاسرائيليين بأساليب ملتوية وبوثائق مزوره ، فى حين ان عدد اليهود الذين قامت « الوكالة اليهوديـــة » بتصـــفيتهم

مناحم ميلسون

من أستاذ للأدب العربي.. إلى أستاذ للقمع الفكري والجسدي!

« لخيانتهم » وعمالتهم للانكليز خلال فترة الانتداب على فلسطين قد بلغ عشرات الأشخاص ، والتشابه فى هذا واضح بين منظمة التحرير الفلسطينية والوكالة اليهودية » ! !

وإزاء حقيقة كون منظمة التحرير هى صاحبة الكلمة الفعلية فى الضفة الغربية وقطاع غزه ، فان مناحم ميلسون يرى « ان هذا الموقف ليس امرا حتميا ، بل إن من الممكن لاسرائيل قلبه الى ما هو ضده » ويقترح فى معالجة هذا الوضع ما يلى :

يجب اولا الفصل بين الفلسطينيين ومنظمة التحرير الفلسطينية ، إذ ان هناك فارقا جوهريا بين الاثنين ـ على حد ادعائه ، ويقول انه لسوء الحظ وقع الكثيرون فى اسرائيل وخارجها فى « مصيدة » منظمة التحرير عن طريق اعتبار عبارة الفلسطينيين مرادفة للمنظمة وهو أمر طالما سعت إليه منظمة التحرير باصرار ، ولوضع حد « لهذه الفرضية » ، يطالب ميلسون بتشجيع من يسميهم « بالمعتدلين » من أجل الانضمام إلى « عملية السلام » ، مما قد يتيح لاسرائيل ان تنفذ اتفاقية كامب ديفيد وما نصت عليه هذه الاتفاقية من قيام حكم ذاتى للفلسطينيين فى « المناطق المداره » بشكل كامل .

ويقدم البروفسور ميلسون تصوره لخلق « هؤلاء المعتدلين » فيقول : « ... ومن الضرورى ان نؤكد ان الشخصيات والمجموعات الراديكالية المتطرفة بين الفلسطينيين ، لا تعتبر بالضرورة ممثلة حقيقية للسكان ، فاذا ما عمدنا ، عند اختيار شركاء فى المفاوضات ، إلى اعتبار التطرف مقياسا لمصداقية تمثل سكان الأراضى المحتلة ، فان هذه المحاولة ستؤدى إلى تدمير فرص التسوية السلمية ، فلا يسع المرء ان يامل بالاتفاق مع معتنقى الرؤية الراديكالية ذوي الايمان المطلق والذى يتنافى مع جميع إشكال المساومة ، إلا انه بالامكان ان يصل المرء إلى اتفاق مع اولئك الذين يرغبون فى العمل ضمن ضرورات وحدود الواقع ، ويقبلون بالنتائج السياسية التى تنجم عن هذه الضرورات ، ومثل هذه الشخصيات والمنظمات العامة التى تكون على استعداد للتوصل الى حل تساومى هى التى تحتاج من اسرائيل الى المساندة المعنوية والسياسية ضد المتطرفين » ! !

يبدو جليا ان ميلسون اراد من وراء وصف التيار الوطنى فى الضفة والقطاع بالراديكالية والتطرف ، الوصول إلى « المعتدلين » الذين يقبلون بالحل التساومي المستند إلى « ضرورات وحدود الواقع » ! ! اى ان ميلسون يرفض التفاوض مع رؤساء البلديات الذين يرفضون اى حل او صيغة للحكم الذاتى لا تؤدى الى قيام دولة فلسطينية فى الضفة والقطاع ، ويطالب بخلق شخصيات خانعة ، يضمها تنظيم موحد يشرف عليه رئيس الادارة المدنية الاسرائيلى تحت اسم روابط القرى » ، ولضمان ولاء هذه الشخصيات ـ وبعضها من الاميين واكثرها من المنبوذين ـ يقترح ميلسون استخدام سياسة « العصا والجزره » ، اى الترغيب والترهيب ، ولذلك ربط البروفسور ، رئيس الادارة المدنية عند انشائه للروابط ، جميع المنافع التى تقدمها إسرائيل بها وحدها ، وهذه المنافع تتمثل فى صلاحيات موسعة على صعيد الخدمات بحيث لا يمكن تنفيذ اى مشروع اجتماعى او اقتصادي فى اية قرية من قرى الضفة الغربية إلا بموافقة هذه الروابط ، مما سيدعم موقعها ويعزز نفوذها .

لكن هذه الروابط ـ كما يقول افنيري ـ تعطى فى الواقع تفويضا عربيا لاستمرار الاحتلال ، بل ولاستمرار سياسة الضم ، وعندها سيرى العالم ان العرب يريدون ضم الضفة والقطاع إلى اسرائيل ، ولا يريدون منظمة التحرير الفلسطينية ... وعندها فان ضغوط العالم على اسرائيل من اجل الانسحاب من المناطق المحتلة ومنح الفلسطينيين حقهم فى ان تكون لهم دولة مستقلة ، ستتلاشى تدريجيا ، بل وتختفى ، ولن يبقى عندها من يمارس اى ضغط على إسرائيل . وسيصبح امر ضم الضفة والقطاع حقيقة واقعة ومشروعة ، وسوف تكون « روابط القرى » هى المطية التى توصل اسرائيل الى هدفها هذا .



جثة شهيد عربي سقط برصاص الاسرائيليين

وفى نقطة اخرى من افكاره طالب ميلسون ، وذلك قبل تعيينه فى منصب رئيس الادارة المدنية ، طالب بتصفية وجود منظمة التحرير الفلسطينية فى لبنان فى اية تسوية محتملة لاقامة حكم ذاتى فلسطيني على الطريقة الاسرائيلية ، اما تصوره لمثل هذه التصفية فيورد فى الفقرة التالية من مقاله فى مجلة « كومنتري » اليهودية الامريكية ، حيث يقول :

« ... وتشير الحقائق الديمغرافية ، إلى ان الفصل السياسى بين الضفتين الغربية والشرقية ، سيكون مفتعلا ، كما سيحمل معه إمكانات التفجر مستقبلا ، لذا يجب ان تشتمل التسوية ، اذا ما اريد لها ان تكون دائمة ومستقرة ، على حل لمشكلة اللاجئين الفلسطينيين فى لبنان ، والذين يبلغ تعدادهم ثلاثمائة الف لاجىء ، وسيكون من المستحيل توطين هذا العدد فى الضفة الغربية ، إلا انه من الممكن للضفة الشرقية التى تزيد مساحتها ثمانى عشرة مرة عن الضفة الغربية ، ان تستوعب قسما كبيرا منهم ، ولذا فان اية اتفاقية لحل دائم المشكلة الفلسطينية ، يجب ان تبرم بين اسرائيل والاردن ... » .

وبالطبع فان من الواضح ان ميلسون يطرح افكاره فى هذا النطاق ضمن رؤية حزب العمل الاسرائيلى حول ما يسمى « بالبديل الاردني » لكن ميلسون تخلى عن هذه الفكرة بعد ان جاء به شارون الى رئاسة الادارة المدنية ، وتبنى طرح الليكود الذى يرفض اعادة اى جزء من الضفة الغربية إلى الأردن فى اية تسوية محتملة ، ويطمع بضم الضفة والقطاع فى مرحلة اولى ، ثم ممارسة ضغوط اقتصادية وادبية وسياسية فى مرحلة لاحقة لتجهير اكبر قسم من العرب ، وربما طرد من يتبقى بالقوة اذا لاحت مناسبة ملائمة لذلك ، كما حدث فى اعقاب حرب عام ١٩٦٧ .

وضمن هذه الرؤية للبروفسور مناحم ميلسون « لتحقيق السلام مع الفلسطينيين » ، رايناه يخلع ملابس البروفسور ، ويتحول إلى جنرال واستاذ فى القمع الجسدى والدموى لانتفاضة عرب الاراضى المحتلة .

لكن قمع الأستاذ الجامعى ، لم يتوقف



الجنود الاسرائيليون يقتادون شابا عربيا

عند هذا المجال ، بل تعداه الى المجال الفكرى والاكاديمى ، فقد اغلق جامعة بير زيت بحجة واهية هى « تحريض إدارة الجامعة للطلبة على الاعتداء على مسؤول إسرائيلى » حاول استفزاز مشاعر الطلاب ، ثم امر جنوده بالتصدى لطلاب جامعة بيت لحم بالقوة ، وواجه طلاب مدينة رام الله بالعسكر المتسلحين بالهراوات والبنادق ، واقدم اخيرا على منع اكثر من مائة كتاب من دخول الضفة الغربية وقطاع غزه او بيعها فى اسواقها ، والحجة التى يتذرع بها لذلك هى ان فى هذه الكتب « روحا لا سامية » او انها معارضة لاسرائيل .. الخ ، لكن منع الكتب وحظر تداولها ، إضافة إلى إغلاق الجامعات والمدارس ، لا يتناسب فى اية حال مع اللقب الاكاديمى الذى يحمله ميلسون ، ولا مع العمل الجامعى الذى مارسه طوال سنوات طويلة ، وهذا التصرف هو فى الواقع عمل من اعمال القمع الفكرى والمعنوى الذى بات ـ كما هو واضح ـ جزءا لا يتجزأ من مهمة البروفسور وافكاره ، لتحقيق « سلام مع الفلسطينيين » ! !

من كنيغ .. إلى ميلسون

إن مراجعة سريعة « لوثيقة كنيغ » التى وضعها متصرف لواء الشمال فى وزارة الداخلية الاسرائيلية « بسرائيل كنيغ » فى عام ١٩٧٦ ، ومقارنة الافكار العنصرية والشوفينية التى وردت فى تلك الوثيقة مع افكار البروفسور ميلسون ، توضح تماما ان البروفسور استقى معظم افكاره ـ التى لمحنا اليها فيما تقدم ـ من « بسرائيل كنيغ » .

فقد وضع « كنيغ » دراسة مفصلة فى تلك « الوثيقة » التى عرفت باسمه ، طرح فيها تصوره لاجتثاث عرب عام ١٩٤٨ (٦٠٠ الف) من الكيان الاسرائيلى ، وخاصة فى منطقة الجليل بشمال فلسطين والتى تضم اقضية عكا والناصره وطبريا وصفد ، حيث تعيش اكثرية من العرب فى هذه المنطقة .

وكان بين الافكار التى طرحها كنيغ فى تلك الدراسة ما يلى :

١ ـ اتباع سياسة الثواب والعقاب (ضمن القانون !!) بالنسبة إلى القادة والقرى الذين يتحدثون بصورة معادية « للدولة » والصهيونية ، مهما كانت تلك الصورة التى يتحدثون بها . (سياسة العصا والجزره) ! !

٢ ـ إنشاء حزب شقيق « لحزب العمل » يكون التركيز فيه على مبادىء المساواة والانسانيات والثقافة واللغة والنضال الاجتماعى ورفع علم السلام فى المنطقة ، وعلى المؤسسات الحكومية ان تهيء نفسها من اجل ان يكون لها وجود خفى فى هذا الحزب وان تتحكم فيه .

٣ ـ التخلص من الشخصيات القيادية الحالية لعرب ١٩٤٨ ، عن طريق خلق شخصيات مقبولة للجيل الثانى من الفلسطينيين « الذى تربى فى المجتمع الاسرائيلى ويحاول ان يكتسب ولو بصورة سطحية فقط ، اساليب الحياة الاسرائيلية) ـ (ميلسون يطرح فكرة روابط القرى كبديل لرؤساء البلديات) .

٤ ـ إتخاذ خطوات فردية ضد كل شخصية غربيه سلبيه فى جميع المؤسسات وعلى جميع المستويات .

٥ ـ إن الطمانينة الاجتماعية والاقتصادية ، تحرر الفرد والعائلة من القلق والهموم اليومية ، مما يمنح العرب من حيث يدرون او لا يدرون متسعا من الوقت للتفكير فى امور « اجتماعية ـ قومية » ، مما يوفر مناخا للشعور بالقوة وبوجود امكانات للقيام « بالاحتجاج الشعبى » .

٦ ـ فى مجال التعليم يجب الاحتفاظ بأسس خاصة بالنسبة لقبول الطلاب العرب فى المعاهد العليا والجامعات ، بما يكفل خفض عدد الخريجين من هؤلاء الطلاب العرب الى ادنى مستوى ، مما يسهل عملية استيعابهم فى العمل بعد انتهاء دراستهم .

٧ ـ يجب تشجيع توجيه الطلبة العرب على دراسة المواضيع الفنية والمواضيع الاساسية وعلوم الطبيعة ، لان مثل هذه المواضيع لا تعطى الطالب من الوقت للانشغال بالقومية سوى القليل ، اضافة إلى ان مستوى الرسوب فى هذه المواضيع مرتفع .

٨ ـ تسهيل السفر إلى الخارج بغرض الدراسة ، ووضع العراقيل امام عودة هؤلاء الطلاب العرب إلى اسرائيل ، وانخراطهم فى العمل فيها .. فمثل هذه السياسة من شانها ان تشجع هجرتهم .

إن مراجعة هذه البنود الواردة فى « وثيقة كنيغ » يوضح بان البروفسور ميلسون ليس سوى تلميذ صغير ل يسرائيل كنيغ ، وان ما يطرحه البروفسور من افكار وما يسعى إلى تطبيقه على ارض الواقع ، ليس سوى مخطط اسرائيلى قديم ، مع اختلاف الصيغة بالنسبة للمكان والزمان .

وامام تنامى المشاعر الوطنية لدى عرب ١٩٤٨ . سقطت مراهنة كنيغ على من وصفه « بالجيل الثانى » من العرب القابل لنسيان فلسطين والاندماج فى « المجتمع الاسرائيلى » ، مما جعل الحكومة الاسرائيلية تطوى دراسة كنيغ وتضعها على الرف ، لكن البروفسور ميلسون نفض الغبار عن تلك الدراسة وصاغها باسلوب جديد ، اضفى عليه صفة التحليل السياسى الموضوعى ! ! ، وها هو يواجه يتهاوى مشروعه « روابط القرى » الذى بنى عليه كل افكاره وارائه امام انتفاضة عرب الضفة والقطاع .

ويكفى اخيرا ان نذكر البروفسور ميلسون براى صغير وبسيط للمعلق اليهودى حاييم بيرمانت ، وصف فيه احداث الضفة الغربية الاخيرة بانها « تذكر الواحد منا بالأيام الاخيرة للامبراطورية البريطانية ، ونهاية الوجود الفرنسى فى شمال افريقيا والبلجيكى فى الكونغو والبرتغالى فى انغولا وموزمبيق » .

عصام شريح

الكاتب اللامع محمود السعدني المعروف «بالولد الشقى» يلتقى مع قراء الدوحة شهرياً ابتداء من هذا العدد .

أخوكم الحقير لله محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن السعدنى ، الذى ينحدر من اصول يمنية ومن قبيلة على حدود صنعاء ، والذى رحل جده الأول مع الفتح الاسلامى ، ثم راقت له مصر فاقام فى الشرقية ، ثم خلال سنوات القحط والجوع والاضطهاد ، هاجر السعادنة من الشرقية إلى كل مكان ، ولذلك ولهذا ولماذا ايضا ستجد السعدنى فى المنوفية وفى الغربية وفى الاسكندرية وفى الجيزة . وستجد قبيلة السعدنى المصرية مذكورة فى كتاب وصف مصر الذى وضعه علماء الحملة الفرنسية منذ قرنين من الزمان !

ولكنى لا اظن ان احدا من قبيلة السعدنى المصرية أو اصولها اليمنية قد داخ السبع دوخات كما داخ العبد لله ، ولا اعتقد أن سعدنيا آخر قد حصل له ما حصل للعبد لله . فانا وحدى الذى داخ فى البلاد وجالس العباد ، وصادفه حوادث وكوارث يشيب لهولها الغراب ! وانا وحدى من دون السعادنة الذى قطع رحلة حياته بلاد تحط وبلاد تشيل ! وانا وحدى قطعت بلاد العرب قرية قرية من طنجة وإلى مارب



بقلم : محمود السعدني

مسافر على الرصيف

وعلى بلاد الهند أنا مريت ، وفى بلاد السند أنا اقمت وتمشيت ، وفى اليابان انا عشت تحت الشمس المشرقة والى جــوار افران المصانع المحرقة . وفى بلاد الأمريكان انــا لفيت انا لفيت من بافالو إلى سكرامنتو ، وأحببت الأمريكان وتمنيت أن اعيش معهم أمارس هذه الحياة ، فهم عرب اغنياء ، أو هم عرب تصببوا عرقا ودما حتى صاروا اغنياء . وتمنيت ان نلف لفهم وان نمشى على دربهم وأن نحقق فى خمســة قرون ما حققوه فى قرن واحد من الزمان ! وفى القــارة المحظوظــة اوروبا انا مسحتها من مجريط بالعربى التى هى مدريد باللاتينى ، إلى برلين بالالمانى . ومن دبلن فى إيرلندا إلى لاهاى فى هولندا . وحكمة الله ان اهل إيرلندا هم عرب ايضا من بيروت ممكن من الجزائر يجوز ، من مصر لا مانع ، ولكنهم وجدوا انفسهم فجاة فى اوروبا ، ولكن ماذا يفيد الجليد فى الدم الحار الذى يغلى فى العروق . ؟! وفى افريقيا انا نمت فى الغابات وسرحت فى البرارى ، وعشت فى الجبال ، ودخلت بيوت الأفارقة ، وصليت فى جوامع مسلمين ، وخالطت جماعة من اكلة لحوم البشر ، ولكن ما أطيب الجميع ، وما ارق قلب الكل وما اقربهم إلينا ، وما اشدهم عداوة على اعدائنا ، وما احرانا ان نلتفت إليهم ، وان نمد ايدينا لهم ، وان نمضى معهم فلهم نفس الغاية ويسلكون نفس الطريق ! ولكنى اموت وفى نفسى شىء من حتى ، لو ذهبت الى قبرى قبل ان تكتحل عيناى برؤية بلاد الحب والموسيقى والثورة فى امريكا اللاتينية ! واموت ناقص عمر لو انتهى الأجل قبل زيارة نيوزيلندا واستراليا فهذا الكوكب الذى نحيا عليه ما اصغره وما اجمله . وحرام ان نمر عليه دون ان نراه ، وحرام ايضا ان نمضى عنه دون ان نستكمل فرحتنا عليه !

ولكن على طول ما لفيت ونطيت فى بلاد الله ، اصارحكم بان اعظم رحلاتى فى الحياة كانت بلا سفر . رحلة ساكنة ومستقرة وهادئة او خاملة فى نظر البعض رحلة قطعتها عبر سنوات طوال على مقعد فى مقهى بلدى فى الجيزة ، هى قهــوة عبد الله . وعبد الله هذا رجل بلا شان ولا ذكر ولكنه مثاب رغم انفه فقد دخل التاريخ من اوسع الابواب . وفى هذا المقهى الذى كانت انواره باهته ومقاعده مهشمة ورصيفه اعرض من حظه ، وشهرته اوسع من مساحة الميدان الذى كان يطل عليه . فى هذا المقهى التقيت بعشرات الأدبــــاء والشعراء والفنانين ، بعضهم تتلمذت على يديه ، وبعضهم زاملته ، وبعضهم تاستذت عليه إن صح هذا التعبير ! نماذج من البشر قل أن يجود الزمان بمثلهم . ونادرا ما يجتمعون فى زمان واحد . ولكن ـ وهنا المعجزة ـ جاد الحظ بهم وفى وقت واحد ! واجتمعوا طويلا ، ثم انفضوا جميعا ، بعضهم اختطفه الموت ، والبعض هرسه الزمن الغادر ، وبعضهم طرده الجحود والنكران ، ولكنهم جميعا من زبدة مصر ، وجزء من سحرها ، وقبس من روحها ، وحفنة من ترابها ، وهم فى النهاية مصر نفسها ، وبدونهم ربما لا تكون مصر !! وأسماء لمعت وأسماء انطفات وحظوظ طقطقت وحظوظ اندثرت ، وبهم نشبت معارك ولا معركة البسوس ، وبسببهم تحقق الخلود لايام ولا يوم داحس والغبراء . وبفضلهم خرج من هذا المقهى الصغير الحقير شعاع من النور هو نفسه جزء من النور العام الذى يشع فى مصر كلها ! وحكمة الله ان رواد المقهى من الأدباء سلكوا طرقا مختلفة ولكن إلى غاية واحدة . واغرب شىء انهم جميعا هاموا حبا بمصر ، ولكن احدا منهم لم يفز بها !! مجانين جميعا ومصر ليلاهم . وعناترة كلهم ومصر عبلاهم ! فنساء لها فى مصر تاريخ ، ولها فى التاريخ مكان سيظل محجوزا لهم . ونمــــاذج لن تتكــرر ، وشخصيات كان يكفى ان تاتى واحدة منها فى كل عصر لتزينه وتبهجه وتنشر النور والضياء والبهاء : انور المعداوى ، وزكريا الحجاوى ، ومحمود حسن اســــماعيل ، وعبد القادر القط ، وعبد الرحمن الخميسى ومحمد على ماهر ، وزهدى الرسام ، ونزار قبانى ، والشيخ عبد الحميد قطامش ، ونعمان عاشور ، ومحمود يوسف ، ومحمود شعبان ، والدكتور عباس الشيخ ، والشيخ كامل أبو العينين ، وعبد العليم عيسى ، وانور فتح الله ، وعبد الرحمن العيسوى ، والدكتور محمد كامل حسين ، وشفيق الكمالي ، والشيخ محمد الفيومي ، وعــدنان الراوى ، وأديب نحوى ، وهاشم السمان . وكان هذا جيل . ومن بعده جاء جيل آخر . وجاءوا تلاميذ فى البداية ، ثم دخلوا فى القافلة واصبحوا أساتذة بعد ذلك . يوسف إدريس ، وصلاح عبد الصبور ، والشاعر أحمد حجازى ، وصلاح جاهين ، والفنان حسن فؤاد ، وأبو المعاطى أبو النجا ، واحمد عباس صالح ، وعلى الغندور ، ورجاء النقاش ، ويوسف الحطاب ، وفوزى درويش .

وكانت سياحتى فى قهوة عبد الله هى اهم سياحة فى العمر ، وكانت رحلتى خلالها هى أطول رحلاتى ، فقد امتدت عشر سنوات كاملة تنقلت فيها خلال هذه الجزر الخصبة والصحراوات المجدبة . ولكنها بخيرها وشرها كانت حياة حافلة وجامعات كبرى للفلسفة والتاريخ والمنطق والفن والادب والشعر والموسيقى ، وفن النكتة وعلم الحديث والكلام !

وعلى هذه الصفحة سيقوم اخوكم الحقير لله محمود بن عثمان بن محمد بن علي بن السعدنى بجرد الذاكرة لاستجلاب آخر نقطة فيها عن فرسان ذلك الزمان ، فقد كانوا ملح الأرض وزبد الحياة ، وكانوا جزءا من روح مصر وقطعة من عقلها ، واشاعوا المرح والحب ، وعلموا الأجيال فنون الصياغة الرفيعة والأدب العظيم ، وشقوا طريقهم فى الحياة وكل منهم يحمل فى يده شمعة ، بعضها له ضوء باهر ، وبعضها انكسر ضوؤه فاصبح يشع دخانا اكثر مما يشع نورا ! وبعضها انطفات شعلته بفعل العواصف والرياح ! ولكن الذى لاشك فيه ولا ريب فيه أن كلا منهم اعتصر نفسه حتى النخاع ، وأدى دوره بالقدر الذى استطاعه ، وكانت النيات حسنة ، وان كانت بعض الأعمال ليست على ما يرام ! وإن البعض لقى جزاء سنمار والبعض الآخر تابط شرا ، والبعض الآخر ضاع فى زحام السوق الذى استولى عليه الأرزقية والأغوات . ولكن بعضهم استطاع رغم المحن والاحن ان ينتزع مكانه تحت الشمس وان يضيء بالرغم من كل شىء ، وان يدخل التاريخ بالرغم من الاسوار العالية والاقفال المحكمة . ولكن يبقى انور المعداوى هو شهيد المقهى والمرحلة ، وهو ضحية الشموخ والكبرياء ، وهو النموذج الذى لم تتلوث يده ، والبطل الذى عفا عنــد المقدرة ، وعف عند المغنم ! وفى المقـابل ياتى نموذج الدكتور عباس الشيخ الذى احترق عند البداية ، واشتعل راسه شيبا وهو لم يزل شابا ، واشتعل عقله جنونا وهو غاية فى الرزانة والكمال ! واكتفى من الحياة بالفرجة والصمت ، ثم مضى فجاة فى هدوء وكانه لم يمرقط على هذه الحياة !

وارجو من الله ولا يكتر على الله الا يميل بى الهوى او يميل بى القلم ، وان يوفقنى إلى ما يرضى الحقيقة ويرضاه . وإذا سقطت اسماء او ضاعت فى زحام الذاكرة احداث ، فارجو ان يغفر لى الموتى وان يسامحنى الأحياء ، فليس مثل السن له احكام. والشيخوخة لها رغاوى تصبها على العقل العجوز ، وتدفع بالذكريات إلى الانزلاق عليها لتسقط فى هاوية النسيان !

ولكن ما يطمئننى أن تجاربى السابقة تؤكد انه لا يبقى عالقا بالذاكرة إلا ما يستحق الذكر . ولا يمكث فى العقل الباطن إلا ما ينفع الناس .

من أوراق
سياسي عربي كبير
الحلقة الثانية

أيام لا تنسى مع أبي الحسن الندوي

- إن **الحضارة** الغربية قد تركت اثارها على هؤلاء المفكرين المسلمين ، **حتى أصبحوا** يتحدثون عن الاسلام وكانهم غرباء عنه .
- **كثيراً** ما تبدا الجمعيات الاسلامية برجل مخلص يدفعها الى الأمام ، **ثم يخلفه رجال لا يجمعون** بين دعوتها وروح العصر فتضمحل هذه الجماعة **وتبقى جسدا بلا روح** .
- **إن لنصر** الله اسبابا معلومة مذكورة في القرآن الكريم ، ومن اهمها **الايمان والاخلاص** في إعلاء كلمة الله


ابو الحسن الندوي

اود ان اخصص هذه الحلقة للحديث عن الداعية الاسلامى الكبير : ابو الحسن علي الحسنى الندوي ، وذلك بهدف اعطاء نموذج حي من العلماء الأفذاذ الذين وهبوا حياتهم للدعوة الاسلامية ، وباعوا كل اعراض الدنيا فى سبيلها.

كان ابو الحسن جريئا فى الحق ، لا يخشى فى الله لومة لائم ، كان شجاعا صادق العزيمة ، اخلص لله مقصده ، فمنحه ربه إيمانا راسخا ، ويقينا ثابتا ، وعملا صالحا .

ساتحدث عن أيام قضيتها معه حينما اتى الى مصر فى مطلع الخمسينات ، واتحدث عن العلماء الذين قابلهم ، وتحدث اليهم ، والمحاضرات التى القاها ، وما كان منه مع العلماء وكبار القوم ، وكيف كان يواجه الجميع بشجاعة وصدق ونزاهة . ولعل الذين مازالوا احياء ممن عايشوا «الأستاذ» فى تلك الفترة أو بعدها يعرفون الكثير الكثير عن صدق عزيمته ، واخلاصه لدين الله الحنيف .

كم ساكون سعيداً وأنا اسلط الضوء على شريحة نزيهة من شرائح العلماء الذين ينبغى أن يوجد الكثير منهم فى هذا العصر ، حتى يؤوب الضال عن ضلاله ، ويعود المضل الى طريق

كاتب هذه « الاوراق » واحد من الشخصيات العربية السياسية البارزة وهو يشغل حالياً منصباً مهماً فى منظمة التحرير الفلسطينية .

وقد اختص مجلة الدوحة بهذه « الاوراق » التى يركز فيها الضوء على مجموعة من الوقائع والاحداث التى مرت فى حياته ، وبشكل خاص إبان فترة وجوده ـ كطالب جامعى ـ فى القاهرة بين عامى ١٩٤٥ ـ ١٩٥١ م وهى فترة « العصر الذهبى » للنهضة الفكرية كما أحب هو أن يطلق عليها .

وقد برر تركيزه على ذكر تلك الوقائع بقوله : « لعل القارىء الكريم يجد بين سطورها ما يشحذ الهمم ، ويقوى العزائم ، ويشحن المشاعر » .



حسن البنا



محمد الغزالي

فكري اباظة

الصواب ، ويفهم العلماء طريق دعوتهم ، ويفقهوا طرق الدعوة الى الله .

ويكفى ان يكون هذا العالم قدوة ان نذكر ما كتبه عنه الدكتور محمد يوسف موسى استاذ الفلسفة فى كلية اصول الدين بالأزهر فى مقدمة الكتاب الذى الفه العلامة الندوى بعنوان «مذكرات سائح فى الشرق العربى» والذى صدر عام ١٩٥٤ حيث يقول : «واننى لأقرر غير مبالغ اننى لا أعرف داعية مثله ، فهو يعيش بالاسلام وللاسلام ، بعد ان احاط به خبرا ، وعرف سر إعجازه ، وفوقه فى نواحى العقيدة والتشريع والأخلاق والاجتماع ، وهو قد راض نفسه قبل كل شىء على المثل العليا للدعوة والداعية ، قبل أن يدعو الغير لفهمها ، وترسمها ، وتحقيقها فى نفسه ومحيطه» .

وقد جاء فضيلته الى مصر بدعوة شخصية من الحاج جلال حسين عضو مجلس الشيوخ المصرى بتاريخ ٢١ من يناير عام ١٩٥٠ م ، قادماً من جدة عن طريق البحر ، واتخذ مقراً له فى سوق الصيارفة بشارع الموسكى .

وقد قدر لي أن أصحب الشيخ الجليل فى اغلب الايام التى قضاها فى مصر ، والتى تزيد عن ثلاثة اشهر .

والحق اننى رايت منه ما لم ار من غيره من العلماء ، ودرست عليه بالممارسة ما لم اتعلمه طوال سنوات دراستى بالأزهر الشريف ، وكان ذلك من فضل الله وتوفيقه .

ومن الطبيعى الا اتعرض بالتفصيل لكل ما كان من شان هذا العالم الجليل ، إنما ساذكر بعض النماذج فقط مما رايت منه ، ولمست ، وسمعت ، فلعل فيها عبرة لمن اراد ان يبحث عن العبرة ، وعظة لمن فى نيته ان يتعظ !

اراء شاذة

ذات مرة تقابل الشيخ الندوى مع الأستاذ احمد امين الذى افاض فى شرح ارائه بالنسبة للتشريع الاسلامى والتاريخ ، فلم يرتح الشيخ لتلك الآراء ووصفها بانها «اراء شاذة» !

ومن ضمن اراء احمد امين التى ذكرها فى تلك المقابلة ان الاسلام لم ينفذ إلا فى عصر الرسالة ، وانه لابد من فتح باب الاجتهاد ، كما ينبغى الجمع بين الصلاتين فى الحضر (غير السفر) ! ، وكذلك يجب السماح للعمال بالافطار فى شهر رمضان أيام الصيف الحار ، وإنه لابد من طرح البديل عن الاضحية فى الحج لأنها تضيع وتسبب الأمراض ، وتفسد الجو ، وتنشر الاوبئة .

فبماذا رد الندوى على هذه الآراء ؟ :

قال : ان الحضارة المادية قد اثرت على الفكر العربى ، والحضارة الغربية قد تركت اثارها على هؤلاء المفكرين حتى اصبحوا يتحدثون عن الاسلام ، وكأنهم غرباء عنه . فامثال احمد امين ينبغى الرد عليهم بمثل منطقهم ، يجب ان تدحض الحجة بالحجة ، والفكرة بالفكرة حتى تتبين للناس فضائل وحسنات وميزات الاسلام ، ويقفوا على حقيقة بعض المفكرين الذين تركوا منابع الفكر الاسلامى الحقيقى واخذوا من الغرب ما اخذوا .

وعندما تركنا المجلس قال لي : سالقى محاضرة بهذا المعنى فى اقرب فرصة إن شاء الله وبالفعل القى المحاضرة الجامعة فى مقر الجمعية الشرعية التى كان يراسها الشيخ محمود خطاب .

وبمناسبة الحديث عن هذه الجمعية فقد كانت هناك عدة جمعيات دينية نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر :

- جمعية انصار السنة المحمدية وكان رئيسها الشيخ محمد حامد الفقى .
- جمعية مكارم الأخلاق ، وكان يراسها الحاج جلال حسين .

أيام لا تنسى
مع أبي الحسن الندوي

● جمعية العشيرة المحمدية ، وكان يراسها الأستاذ زكى ابراهيم .

● جمعية دار الأرقم – مركز شباب سيدنا محمد ، ورئيسها السيد حسين يوسف .

● جمعية الهداية الاسلامية ، وكان يراسها الشيخ الخضر حسين .

● جمعية الشبان المسلمين ، وكان يراسها السيد محمد صالح حرب .

● جماعة الاخوان المسلمين التى اسسها الامام الشيخ حسن البنا .

وقد كان للشيخ الندوى مع كل هؤلاء احاديث ومناقشات وندوات ، كان يعلق على ما يراه حسنا فيثنى عليه ، ويكشف ما يراه عيبا فينتقده دون مجاملة او محاباة لانه كان يعتقد بان هذه الجمعيات والجماعات لا مبرر لكثرتها ، ولابد من العمل على دمجها فى بعضها البعض ، فلا ضرورة لهذه الكثرة العددية لانها جميعا تلتقى فى بؤرة واحدة هى الدعوة الى الاسلام والعودة الى اصوله ، واذا كانت الأساليب تختلف بين واحدة واخرى إنما يمكن إيجاد حد ادنى من التفاهم حول الدعوة والدعاة ، وكيفية تطهير المجتمع الاسلامى مما علق به من شوائب .

واذكر له بهذه المناسبة قوله : «كثيرا ما تبدا الجمعيات او الجماعة برجل مخلص يراسها ، وصاحب تفكير يدفعها الى الامام ، ثم يخلفه رجال لا يزيدون فى ثروتها الاصلاحية ، ولا يجمعون بين دعوتها وروح العصر فتضمحل هذه الجماعة وتبقى جسدا بلا روح» .

مع الشيخ محمد الغزالى

كان حريصا جدا على مقابلة الشيخ محمد الغزالى الذى قرا له عدة كتب وكان يعتبره احد كتاب النهضة الدينية فى مصر . وذكرت له عن آخر كتاب صدر لفضيلته وهو كتاب (من هنا نعلم) وذلك ردا على كتاب (من هنا نبدا) لخالد محمد خالد .

وقد وصف الشيخ الندوى الشيخ الغزالى بقوله بعد اللقاء : اننى رايت فيه رجلا صالحا مثقفا نشيطا صاحب قلب حي ، وعقل نير ووجه يفيض بالبشر ورايته كان كلا منا يعرف صاحبه عن طريق الكتب والرسائل ويرى من هذه الكتب صورة أفكاره ومبادئه .

وفى الواقع كان اللقاء حارا والحديث متنوعا شمل عدة موضوعات اذكر منها (التعليم الجامعى – رجال الدين وضعف البعض منهم – والدعاة وصفتهم) كما انتقد الشيخ الغزالى التعليم فى الأزهر . وقال إنه يعنى بالتفصيل والنقاش اكثر مما يعنى بمبادىء الاسلام ومقاصده .

وللشيخ الغزالى راى معتدل فى حجاب المراة حيث يكون حجابا شرعيا تتمكن معه السيدات من المساهمة فى النهضة الدينية والخدمة العامة .

ولشدة إعجاب الشيخ الندوى بالشيخ الغزالى وارائه فقد تعددت اللقاءات واهم ما دار فيها فى رايى هو موضوع مشكلة الجماعات الاسلامية . وهى ان الحماسة الدينية وعاطفة الكفاح والتضحية لا تدوم لقوة واحدة فيعترضها من المد والجزر والبرودة ما يؤثر فى مصير الجماعة وحياتها . فكيف يحافظ على هذه الحماسة والعاطفة والروح . هناك ثلاثة اسس لابد من الحفاظ عليها والعناية بها .

١ – غرس المبادىء والايمان .

٢ – انتاج الرجال الذين يقومون بالدعوة ويديرون دفتها لان اية حركة او دعوة او مؤسسة مهما كانت قوية او غنية فى الرجال إذا لم تستمر فى انتاج الرجال فانها معرضة للخطر ولا تلبث ان ينقرض رجالها واحدا إثر الآخر .

٣ – تغذية الروح والقلب بغذاء يحفظ على رجال الدعوة نشاطهم وحماستهم فان الرجال كالمصباح اذا نفد زيته ينطفىء . وكم راينا من حركات سياسية ودعوات دينية تقدم رجالها للسجون وصنوف العذاب ثم لم يلبثوا ان فترت نفوسهم وبردت عواطفهم فتراجعوا الى الوراء . وانحطوا الى مستوى العامة والسوقة .

إذن لا عبرة بالحماسة فقط ولا ثقة بالتضحية فحسب ، بل الشان فى الاستقامة والدوام وليس ذلك إلا بالتربية الروحية وتغذية القلب بالايمان .

مع محمد علي الطاهر

محمد علي الطاهر زعيم من زعماء فلسطين ومجاهد أعطى القضية الفلسطينية من جهده وكفاحه ما استطاع . وكان مكتبه ملتقى الزعماء السياسيين فى مصر . وقال الشيخ عندما طلب ان يلتقى به إننى اعرفه عندما زار الهند . واتصل بالأمير شكيب أرسلان ونشر مؤلفات له فى جريدته «الشورى» التى كان يصدرها وقرات له كتابا بعنوان «معتقل هاكستب» .

وعند وصولنا اليه كان فى مجلسه القائد عبد الله التل واحمد الشقيرى والقاضى محمد عبد الله العمرى وكيل وزارة الخارجية اليمنية . وبدأ الحديث عن فلسطين وأسباب ضياعها .



الحاج امين الحسيني ومحمد علي الطاهر

وقال محمد علي الطاهر «اريد ان أؤلف كتابا خاصا بفلسطين ، وصفها وتاريخها وما جرى فيها . لاننى اخاف ان تضيع فلسطين فى التاريخ كما ضاعت فى الواقع» . ثم تحدث عن تقصير الدول العربية فى حقها وكيف كانت تنزع السلاح من اهل فلسطين وتجعل الشعب اعزل لا سلاح عنده ولا يستطيع ان يدافع عن نفسه وشرفه وياتى اليهود فيكون اهل البلد لقمة سائغة لهم . فلو ان هذه الدول والجامعة تركت أهل فلسطين وشانهم ليدافعوا عن بلادهم مدافعة الابطال كما ظلوا يدافعون عن انفسهم هذه المدة الطويلة .

ثم دار الحديث عن انحطاط اخلاق العظماء والزعماء . فقال الشيخ الندوى إن علماء الحديث كانوا يؤلفون كتبا فى الجرح والتعديل ولما كان هذا عصر السياسة والزعامة وقد طغت السياسة على كل شىء وحلت محل كل علم ارى لو الفتم كتابا فى جرح رجال السياسة والزعامة للعبرة والفائدة .

مع الأمير الخطابى

تصادف وجود ابى الحسن فى مصر مع وجود الامير المغربى الشجاع عبد الكريم الخطابى بطل الريف .

وكان الشيخ حريصا على لقائه ، ويبدى رغبته تلك بقوله : اننى اتطلع الى زيارة هذا الزعيم ، لاسمع منه الأخبار ، ولاتعرف على كيفية مواجهته للاستعمار الأسبانى .

توجهنا الى «حدائق القبة» حيث كان يقيم كلاجىء سياسى فى مصر ، وكانت لحظة اللقاء حارة بين الرجلين . ودار الحديث عن اخبار العالم الاسلامى . وساله ابو الحسن عن حقيقة ما جرى فى الريف . فقال له الأمير :

لقد كان تحت إمرتى فى بداية الجهاد اربعة الاف مقاتل ، وبعد فترة قصيرة أصبحوا اربعين الفا ، وقد واجهنا الأسبان فى البداية بمائة الف جندى ، ثم اصبحوا اربعمائة الف . وكانت المساحة التى نسيطر عليها تزيد عن ستمائة كيلو متر .

لقد بدات الحرب عام ١٩٢٠ م ، واستمرت بيننا وبين الاسبان اربع سنوات ، حين تدخلت فرنسا عام ١٩٢٤ . ثم جرى التسليم عام ١٩٢٦ نظرا لنفاذ الذخيرة ، وانقطاع المؤن والعتاد ، واشتداد البرد ، وطول مدة الحصار .

وعندما ساله فى نهاية اللقاء عما اذا كان هناك امل قريب فى استقلال الريف والمغرب الاقصى اجابه الزعيم المغربى الكبير : إن النصر مؤكد وقريب باذن الله ، ولكن عقلية فرنسا ضيقة ، ولا تستوعب دروس التاريخ جيدا .

مع مفتي فلسطين

أما لقاؤه مع سماحة المفتى السيد محمد امين الحسينى رئيس الهيئة العربية العليا فقد عبر عنه بقوله إنه من امتع المقابلات التى جرت معى بمصر وان كانت قد جرحت الفؤاد واثارت الأحزان ، وبعثت الأسى على حالة المسلمين .

وقد تحدث سماحته فى جلسة خاصة عن تاريخ جهاد فلسطين ومطامع اليهود السافرة حتى طمعهم فى احتلال المدينة المنورة وخيبر ، ونفاق الانجليز وكيدهم للمسلمين واخطاء الدول العربية وغفلتها عن مصيرها والاخطار الصهيونية التى تهدد كيانها وانشغال قـادة العرب بنفوسهم وترفهم ، وجناية الجامعة العربية على قضية فلسطين بتكفلها بهذه القضية ثم تقاعدها عنها وعزل الشعب الفلسطينى المجاهد عن السلاح وتسليم المناطق العربية لليهود فلا تركت الشعب الفلسطينى الغيور الباسل يواصل جهاده ولا اغنت عنهم شيئا وحلت محلهم .

ثم ذكر سماحته للشيخ الندوى كيف حال الانجليز بينه وبين إخوانه الفلسطينيين وكيف سافر خلسة مرة الى غزة فاستعادوه الى مصر ، وكيف نسجوا حوله الشائعات ليشوهوا سمعته ويسقطوا مكانته ويفقد الفلسطينيون ثقتهم به .



الأمير عبد الكريم الخطابى .

وعبر الشيخ الندوى بعد خروجنا من عند سماحته بقوله : إننى حزين منكسر الخاطر مما سمعت .

مع الطلبة الفلسطينيين

وقد اغتنم الامام الندوى فرصة وجوده بمصر وسكناه قرب الأزهر الشريف ، فكان يلتقى بالجاليات الاسلامية التى كانت تتعلم فى الأزهر، وتسـكن اروقته كالاتراك ، والمغـاربة ، والفلسطينيين ، والسودانيين وغيرهم .

وكان له مع كل جالية حديث ، ولقاء ، ويهمنى ان اذكر بهذه المناسبة حديثه مع الطلبة الفلسطينيين فى رواق الشوام ، حيث كانت فلسطيننا العزيزة حديثة عهد بالضياع والنكبة وما برحت كلماته تطرق سمعى ، وقلبى : «ايها الفلسطينيون الشباب ، إن لنصر الله اسبابا معلومة ، مذكورة فى القران الكريم ، ومن اهم اسباب هذا النصر الايمان والاخلاص فى إعلاء كلمة الله ، ومع الأسف تجرد اكثر زعمائنا من هذه الروح ، وتشبثوا بالمادية والمصالح الشخصية ، درسوا تاريخ الحركات السياسية فى اوربا وحاولوا ان يقلدوها » .

وكان مما قاله ايضا : «ثقوا ايها الاخوة بان الاخرين لا ينصرونكم ولا ينقذون فلسطين ، فانما تنصرون انفسكم اذا صدقت نفوسكم ، وصحت عزائمكم ، وملكت عليكم فلسطين مشاعركم ، وتفكيركم ، وإنما مثلكم ومثل الغير كمثل الكلب والغزال . قال له الكلب : لماذا لا ادركك وانا شديد الجرى عداء ؟ قال الغزال : لانك تعدو لسيدك وانا أعدو لنفسى . فهؤلاء الاخرون لا يستطيعون ان يكونوا جادين فى مسالة فلسطين مثلما يمكنكم ، فربوا انفسكم ، واحسنوا القيام عليها حتى تنقذوا وطنكم العزيز ، وتردوه الى الاسلام والمسلمين» .

وعقب على هذه الكلمة الطالب الفلسطينى فتحى البلعاوى ـ والذى يعمل حاليا موجها للغة العربية بوزارة التربية والتعليم بدولة قطر ـ فالقى خطبة حماسية بليغة تاثر الشيخ الندوى بها وقال : اتوسم الخير فى هذا الطالب .

تعليقات سريعة

لاننى كنت مرافقا لابى الحسن فى اغلب تحركاته ، فلقد لمست وسجلت الكثير من المواقف العابرة ، والتعليقات السريعة التى كان يبديها فى بعض المناسبات . واذكر عند زيارتنا لمسجد الرفاعى بالقاهرة انه علق على وجود قبر الملك فؤاد داخل المسجد فقال : «لو ان كل عظيم بيننا له مقبرة مثل هذه لاصبحت مدن الأموات اكبر من مدن الاحياء » !

وحدث ان ذهبنا ذات مرة لزيارة شيخ الأزهر فى بيته ، وعندما راى ابو الحسن مظاهر الترف فى البيت علق قائلا : «اشعر باننى جلست فى بيت احد اكبر اغنياء مصر ، لا فى بيت شيخ الأزهر الذى ينبغى ان يكون مثالا فى البساطة والقناعة» .

وفى احدى الامسيات حضرت مادبة عشاء اقامها على شرفه احد الاخوة المصريين ، وكانت المائدة حافلة بصنوف شتى من الطعام ، فما ارتاحت لذلك نفسه الرصينة فقال لمضيفه معلقا : يا اخى .. إننى وباقى الاخوة الضيوف نشبع من لقيمات ، فماذا ستصنع بالمتبقى ؟ لقد كان يكفينا جزء منه ! ولم يرتح فضيلته للموالد المبالغ فيها والتى كانت تقام فى ذكرى اعلام الاسلام فقال محتجا : ان كل هذه الموالد خارجة عن تعاليم الدين ، ومن العجيب انها تتم بجانب الجامع الأزهر ، وعلى مراى ومسمع من جميع العلماء !

وذات مرة ركبنا الترام ، فتعمدت الا ادفع الاجرة للمحصل «الكمسارى» ، فظن اننى نسيت فنبهنى الى ذلك ، لكننى قلت له : إن هذه الشركة يهودية ، وينبغى الا ندفع لها الأجرة ، فقال لى معاتبا : ايها الأزهرى : لابد من الدفع ، ولو كانت الشركة يهودية أيضا ، لانك قد انتفعت بهذه الوسيلة ، والاسلام يعلمنا بان ندفع اجرة المنفعة بقطع النظر عن دين صاحبها ، هكذا علمنا الاسلام ، وهكذا ينبغى ان نكون !

واذكر اننى دخلت عليه ذات صباح فوجدته غاضبا حانقا ، وبيده مجلة «المصور» المصرية وعلى غلافها صورة كبيرة للملك فاروق وبجانبه الملكة ناريمان التى بدت فى وضع غير محتشم . فقال لي : خذ فانظر .. اهذه ملكة للمسلمين ؟ يا خسارة .

واختلى بنفسه بعض الوقت فكتب مقالة احتجاج على هذا الوضع ، وطلب منى ان اسلمها الى رئيس تحرير مجلة «المصور» وكان يومها الأستاذ فكرى اباظة ، فقلت له : إنه لن ينشرها ابدا ، فقال ابو الحسن : اذهب اليه وسلمها له ، فانا لابد ان ابرىء الذمة امام الله تعالى .

نفذت له رغبته ، بعد ان استطعت الوصول الى رئيس تحرير «المصور» ، فقراها واعجبه اسلوبها وفكرها ، واثنى على كاتبها وقال لي : ابلغه تحياتى ، واعتذارى الشديد باننى لا استطيع نشرها لانها تتعلق بالذات الملكية ، فعدت الى الشيخ الجليل ، ونقلت له ما حدث فقال معلقا : «إن فيه بقية من إيمان» .

معركة الحياة والموت بين إسحاق الموصلي وزرياب الأندلسي

بقلم: كمال النجمي

فى تاريخ الغناء العربى حكاية شائنة عجيبة التصقت باكبر اقطابه اسحاق الموصلى ، المغنى والملحن الأكبر الذى رسخت بعمله وعلمه قواعد التلحين والغناء ، وكان الملحنون والمغنون بازائه « اقل من التراب » .. على حد تعبير واحد من اكبرهم فى زمانه ! ..

هذا الفنان العظيم لحقته تلك الحكاية او التهمة الباطلة ، فظل بعض مؤرخى الأدب والغناء يرددونها بعد رحيله عن الدنيا بزمان طويل .. وانتقلت من كتاب إلى كتاب حتى صارت كانها من الحقائق ، ووجدناها حتى فى الكتب التى صدرت فى عصرنا .

قيل إن « زرياب » الملحن المغنى الذى اشتهر فى الاندلس خلال الثلث الاول من القرن الثالث الهجرى .. إنما هاجر من بغداد إلى المغرب ثم إلى الأندلس فى اواخر القرن الثانى ، خوفا من بطش إسحاق الموصلى وتامره عليه وتهديده له بالقتل إن لم يغادر بغداد والعراق ويسافر إلى اقصى مكان فى الأرض يرتزق فيه !

وتفصيل القصة .. ان اسحاق كان قد تعهد بالتعليم والتثقيف فى الغناء والتلحين ، غلاما للخليفة المهدى اسمه « زرياب » حتى برع الغلام وصار من امهر الملحنين ، واضرب الضاربين بالعود ، فضلا عن جمال صوته .

فلما وثق اسحاق ببراعة تلميذه ، قدمه إلى الخليفة الرشيد ، فغناه الفتى فاحسن الغناء ، وضرب على عود كان قد نحته بيديه فى ثلث عود اسحاق وزنا ، صنع له الوترين الرفيعى الصوت من حرير ثمين لم يغسله بالماء السخن ـ عكس ما كانوا يفعلون ـ فصار الوتران ارق واصفى صوتا ورنينا . ثم صنع البم والمثلث ، وهما الوتران الغليظان من مصران شبل اسد فصارت لهما جهارة وقوة ، اضعاف ماللأوتار الغليظة المصنوعة من اوتار الحيوانات الاخرى .

فلما اتم زرياب غناءه ، بلغ الطرب بالرشيد غايته ، وبهرته عبقرية المغنى الملحن الضارب ، فقال لاسحاق معاتبا :

ـ كيف سمعت منه هذه الروائع كلها ولم تخبرنا عنه إلا منذ مدة يسيرة ؟! ..

قال اسحاق معتذرا :

ـ يا امير المؤمنين .. والله ماعلمت بهذا ، ولا سمعته يغنى ويضرب هكذا من قبل ، ولا عرفت ان له عودا غير ما فى ايدى المغنين من العيدان .. وقد اخفى ذلك كله عنى ! .

قال الرشيد :

ـ صدقت ! .. فخذه إليك ، وجئنى به متى طلبته منك .. وزده من العلم ليصير حاذقا بكل شىء ! ..

وظن زرياب بعد هذا الحوار بين الرشيد واسحاق ـ وقد تجلى فيه افتتان الخليفة



به ـ ان الجائزة التى سيتلقاها منه ستكون عظيمة ، ولكن الرشيد صرفه بلا جائزة ، فخرج غاضبا متحيرا .. واسحاق معه ! .

فلما صارا خارج قصر الخليفة ، امسك اسحاق بخناقه ، وقال له مغيظا مخنقا :

ـإنك قد اخفيت عنى عودك الـــــذى اخترعته ، واوتاره التى لا مثيل لها ، والحانك التى ما كنت اظنك تقدر على عملها .. ثم اظهرت ذلك كله فى حضرة امير المؤمنين كانك ظننت انك تغلبنى على مكانتى عنده ، وتحل محلى ! .. وقد مكرت بى فيما انطويت عليه من إجادتك وعلو طبقتك ، فكاننى اتيت نفسى من مكمنها بتقريبى لك ، واجتهادى فى تعليمك ، وقصدى منفعتك ، وانت تقصد إيذائى ! .

حاول زرياب ـ كما تقول القصة ـ تهدئة استاذه وتاكيد ولائه له ، ولكن اسحاق مضى يوبخه قائلا بمنتهى الصراحة :

ـ إن الحسد اقدم الادواء ، والدنيا فتانة والشركة فى الصناعة عداوة ، ولا حيلة فى حسمها ! .. وعن قليل تسقط منزلتى وترتقى انت فوقى .. وهذا مالا اصاحبك عليه ولو انك ولدى ! .

فلما استعطفه زرياب ، لم يلتفت إليه ، ورفع عقيرته متوعدا مهددا بالويل والثبور :

ـ لولا رعيى لذمة تربيتى لك ، لاذهبت نفسك ، وليكن فى ذلك ما كان ! .. فتخير إحدى اثنتين لابد من إحداهما : إما ان تذهب عنى فى الارض العريضة لا اسمع لك خبرا بعد ان تعطينى الايمان الموثقة .. وإما ان تقيم هنا على كرهى ورغمى مستهدفا لسهامى ، فانى لا ابقى عليك ، ولا ادع اغتيالك ، باذلا فى ذلك بدنى ومالى ! .. فاقض قضاءك ! ..

تقول القصة بعد ذلك إن « زرياب » خشى ان يغتاله اسحاق ، فرحل عن بغداد ، متخذا طريقه صوب المغرب ! .

هكذا صار اسحاق الموصلى الفنان الشاعر الاديب العالم المتفقه فى الدين ، المشهور بالعفة والاستقامة وكمال المروءة ، كانه احد عتاة « الشطار » وقطاع الطرق فى بغداد ! ..

وانقلب هذا الرجل المترفع الوقور ، وحشا مرعبا ، وقاتلا فاتكا يرغم المطرب النابغة الذى امتدحه الخليفة وطلب عودته إليه ، على الفرار بجلده من بغداد ، حفاظا على حياته من هذا السفاح الرهيب اسحاق الموصلى الذى وصفه الخليفة المامون بانه اكثر دينا وعلما وعفافا ومروءة من بعض كبار القضاة والعلماء ، وقال إنه لولا اشتهاره بالغناء لاسند إليه « القضاء » فى دولته ، لشدة تمسكه بالعدل .. وكان يدخل مجلس الخلافة مع الفقهاء ، قبل ان يدخله مع المغنين والملحنين .

ما هى الحقيقة ؟

فلننظر فى هذه القصة .. ما حقيقتها ؟! .

يقول رواتها ان اسحاق بعد ان اكمل تعليم زرياب ، اخذه إلى مجلس الرشيد ! .. ولا يكون ذلك صحيحا إلا إذا كان قد وقع بعد موت ابراهيم الموصلى ـ والد اسحاق ـ بسنتين او ثلاث سنوات ، اى حوالى سنة ١٩٠ هـ لان ابراهيم الموصلى مات ســــنة ١٨٨ هـ .. ولم ترسخ مكانة اسحاق عند الرشيد إلا بعد تلك المدة « السنتين او الثلاث » فقد اعلن المغنون الحرب عليه بعد وفاة والده واتهموه بانه يدعى الحانا كان قد صنعها له قبل وفاته ، وان طبقته فى التلحين دون طبقة ابيه بكثير .. ولبثوا يزعمون ذلك ويشوشون على اسحاق ، والرشيد يسمع كلامهم ، حتى افحمهم اسحاق بالحانه الجديدة المتوالية العالية المستوى ، وحتى امتحنه الرشيد امتحانات شتى ، من بينها تكليفه بالتلحين فى شعر

جديد وهو جالس بين ندماء الخليفة . ففعل ذلك مرات ، وانتصر على منافسيه الحاقدين على تفوقه الكبير .

كان اسحاق فى هذه المدة كلها مشغولا بهذه الحرب المعلنة عليه من جميع المغنين تقريبا ، وفيهم من اخذوا الصناعة عن والده ، امثال علويه ومخارق ، وهما اشهر المغنين حينذاك ، ولم يلتقيا ، ولا التقى غيرهما بزرياب ، ولا عرفا عنه شيئا ، ولا تحدثا عنه بشىء طيلة حياتهما ، ولو عرفا عنه ادنى شىء لأكثرا من التشنيع به على اسحاق .

وبعد ثلاث سنوات فقط من انتصار اسحاق مات الرشيد سنة ١٩٣ هـ فى « طوس » ببلاد العجم ، بعيداً عن عاصمته التى غاب عنها طويلا ليخمد ثورة بعض الخوارج هناك ! .

فمتى إذن تلقى زرياب هذا العلم الغزير على يد اسحاق ، وهو مشغول بالدفاع عن نفسه فى معترك المغنين المحترفين ، ومتى وكيف استطاع زرياب ان يضيف من عنده هذه « الاختراعات » العجيبة فى وزن العود وأوتاره المصنوعة من الحرير ومصران شبل الأسد ؟! .

يقول المؤرخون إن « زرياب » كان من غلمان الخليفة المهدى والد الرشيد ، وقد توفى المهدى قبل ابنه الرشيد بخمسة وعشرين عاما .. فكم كان يبلغ زرياب من العمر حين توفى سيده المهدى ؟! .

لنفترض انه لم يكن يجاوز العاشرة من عمره حينذاك ، فتكون سنه حين اتصل باسحاق سنة ١٩٠ هـ ليتلقن الصناعة، او ليستزيد منها ، ثلاثين عاماً ! .

فكيف نبغ هكذا فجاة بمجرد اتصاله باسحاق ، فى شهر او شهرين او بضعة اشهر ، واين كان نبوغه طوال ثلاثين سنة عاشها من قبل فى الدنيا ؟! .

ثم كيف خرج من الرق وقد كان من ارقاء المهدى ؟! .. من الذى اعتقه وقد مات سيده عنه وهو فى رقه ؟ .. هل اعتقه الخليفة الهادى او اعتقه الرشيد نفسه حين ورثه هذا او ذاك عن ابيه ، فيمن كان الخلفاء يعتقونهم ويفكون رقابهم ، تقربا إلى الله ؟! . هل كان عبداً رقيقاً حين اتصل باسحاق ؟! .. فمن الذى دفعه إلى اسحاق وطلب إليه تعليمه وتثقيفه من سادة الهاشميين او غيرهم ممن كانوا يملكون رقبة زرياب وأمثاله ؟! .

المعروف ان اسحاق كان يتولى احيانا تعليم جوارى السادة وغلمانهم وتثقيفهم فى الغناء ومطارحتهم الألحان الجيدة القديمة ، لقاء اجر ضخم .

فمن اين جاء زرياب باجر اسحاق إذا كان قد اعتقه سادته وصار حرا لا يملك من المال إلا ما يدره عليه عمله كواحد من السوقة فى بغداد ، وهو رزق ضئيل ؟! .

وإذا كان قد بقى فى الرق حتى سن الثلاثين حين اتصل باسحاق ، فمن كان سيده الذى دفعه إلى اسحاق ، ودفع إليه اجر تعليمه ؟! .

وفى كم من الزمن طارحه اسحاق الحان الأقدمين كابن سريج وابن محرز ومعبد ومالك بن ابى السمح وابن عائشة .. فضلا عن الحان ابراهيم الموصلى ، والحان اسحاق نفسه .. دعك من الحان معاصريه ؟! .

ان زرياب لم يكن ليعرف التلحين وعلومه بغير الدرس الدقيق لأعمال هؤلاء الفحول وغيرهم ، وهذا يستغرق الزمن الطويل .. فهل جمعها زرياب كلها فى اقصر مدة ، أم حفظها قوة واقتدارا قبل ان يتخرج على يد اسحاق ، ثم التقى به مكتمل الأداة لا يحتاج منه إلى شىء .. بل هو ـ فيما زعموا ـ متفوق عليه باختراعه ! .

ان كتاب الأغانى ـ وهو المصدر الوثيق فى هذا الشأن ـ لا يذكر ان « زرياب » قد تعلم شيئا من فحول رواة الغناء القديم منذ كان طفلا فى عهد المهدى او صبيا صغيراً ، إلى ان هاجر إلى المغرب فى عهد الرشيد .

ولنراجع اخبار سياط وفليح وحكم الوادى ويحيى المكى وابن جامع وطبقتهم ، فلن نجد اثراً لزرياب فى اخبارهم .. فمن هم الرواة الذين سمع منهم ؟! .

إذا كان استاذه هو ابراهيم الموصلى ، فلا يكون قد اتصل به إلا بعد وفاة المهدى الذى كان يحرم على الموصلى الكبير « إفساد » غلمانه بتعليمهم الغناء ، كما يحرم عليه مجالسة ولي عهده : الهادى والرشيد ، وقد نمى إليه مرة انه جالسهما وغنى لهما فضربه وحبسه وعذبه حتى كاد يقتله ! .

فاذا كان زرياب إنما بدا الدراسة عند ابراهيم الموصلى الكبير منذ اول عهد الرشيد ، فهل لبث يتعلم على يديه إلى ان مات ، بغير ان يعلم بذلك الموصلى الصغير ـ اسحاق ـ الذى هو اكبر اولاد ابراهيم وتلميذه فى الفن ، والعارف بجميع تلاميذه وجواريه ولا يخفى عليه من اموره شىء ، وقد كان فى ذلك الوقت ـ وهو بعد لم يحترف الغناء ـ يقيم فى بيت ابيه ؟! .

لقد خرج زرياب من بغداد وهو فى الثلاثين من عمره ، ولم يكن اسحاق يكبره باكثر من ثلاث سنوات او اربع ، فكيف كان احد هذين النديدين فى السن غلاماً للآخر ، حتى يقول المؤرخون : كان زرياب غلاماً لاسحاق ؟! .

هل كان اسحاق اشتراه ؟! . فممن اشتراه وسيده هو الخليفة الرشيد الذى ورثه عن ابيه الخليفة المهدى ؟! .

وإذا كان المقصود بقولهم : « كان غلاما » معنى التلمذة وطلب العلم ، فقد بينا آنفا استحالة ان يكون اسحاق وهو فى سن زرياب استاذاً له ! .

لقد وصل زرياب إلى المغرب بعد وفاة الرشيد باثنى عشر عاما .. اى ان هجرته من بغداد كانت بعد ان تولى الرشيد الخلافة باحد عشر عاماً تقريبا .. وفى ذلك الوقت كان ابراهيم الموصلى هو مغنى الرشيد ونديمه ، ولم يكن ابنه اسحاق قد التحق بعد بخدمة الرشيد ولا غنى فى مجالسه ، بل كان ما يزال يطلب العلم ويروى الحديث ، ويلقى الشيوخ الكبار امثال مالك بن انس وسفيان بن عيينة وابى معاوية الضرير وغيرهم من شيوخ العراق والحجاز .

وكان يتعلم النحو على ايدى الكسائى والفراء وغيرهما ، ويتعلم ضرب العود على خاله « زلزل » كبير ضاربى العود فى ايامه ، ويتلقى الألحان القديمة من عاتكة بنت شهدة الراوية العجوز البارعة .. ويحادث الأصمعى وابا عبيدة فى الشعر والأدب .. ثم يعود إلى ابيه فى البيت فيطارحه الألحان قديمها وجديدها ! .

هذه هى الفترة من حياة اسحاق التى زعموا انه هدد فيها « زرياب » حتى ارغمه على مفارقة بغداد ، حسداً له ، وخوفا ان يحل فى مكانه عند الخليفة ! .

ومما له اكبر الدلالة هنا ان « اسحاق الموصلى » لم يكن فى هذه الفترة يقصد ان يكون مغنيا فقط ، وكان يود انه لا يحترف الغناء .. وكان كما يقول الأصفهانى : « اكره الناس للغناء ـ اى لاحترافه ـ واشدهم بغضاً لأن يدعى إليه ، او يسمى به .. وكان

يقول : لوددت ان اضرب كلما اراد مريد منى ان اغنى ، عشر مقارع ، واعفى من الغناء ، ولا ينسبنى من يذكرنى إليه » ! ..

تلك هى الحقائق ! .

فزرياب قد هاجر من بغداد ، وابراهيم الموصلى يومئذ هو مطرب الرشيد ، ولم يكن اسحاق من المغنين ولا الملحنين فى القصر عند هجرة زرياب ! .. ولم يكن قد التقى بزرياب ، وما اكثر من كان اسمهم « زرياب » من الغلمان والجوارى فى بغداد حينذاك ! .

بهذا تسقط القصة كلها وتدخل فى جملة الأساطير التاريخية .. وقد أعجبت « المقرى » فرواها فى كتابه العظيم « نفح الطيب » نقلا عن كتب اندلسية غير موثوقة لم تصل إلينا كلها ، ولعله وجد بعضها عند بقايا اهل الأندلس من « الموريسكيين » الذين طردهم الأسبان نهائيا وحملوهم فى سفن رمت بهم على شاطىء المغرب فى القرن السابع عشر ، فى عز « عصر النهضة » الأوربية ! .

القصة ملفقة !

اما « العقد الفريد » وغيره من كتب الأندلسيين المعتبرة ، فضلا عن كتب المشرقيين ، فلا تعتد بهذه القصة ، ولا تذكر ان عود زرياب كان يختلف عن عيدان بغداد لا فى أوتار الحرير ولا فى اوتار المصران ، ولا فى الوزن الثقيل ولا الخفيف ! .. فالثابت عند الثقات ان أول من ادخل التعديل والتحسين على العيدان هو « زلزل » ضارب العود الأشهر ، فانقرض العود الفارسى الذى كان يستعمله المغنون ، ولم يبق فى ايديهم إلا عود « زلزل » باوتاره الأربعة .. ويقال إن « زرياب » ادخل وترا خامسا على العود بعد استقراره فى الأندلس ، اى بعد رحيله عن بغداد بثلاثين عاما تقريبا ، ولا دليل على انه فعل ذلك إلا قول الرواة ، وان كان معروفا ان الوتر الخامس دخل على عيدان الأندلس قبل دخوله على عيدان المشرق ، مع ان اسحاق الموصلى تحدث عن هذا الوتر غير مرة حديثا نظريا ولم يكن يحتاج إليه الغناء العربى فى ذلك الزمان ..

وشهرة « زرياب » ـ فى اكثرها ـ ترجع إلى ما كتبه عنه صاحب « نفح الطيب » من تلك النقول التى لا دليل عليها ، حتى انه زعم انه كان يحفظ عشرة الاف لحن ! .. ولم يكن صاحب نفح الطيب ـ على فضله وعلمه الموسوعى ـ من العرفاء بالالحان ! .

على ان مواهب زرياب ـ بشهادة التاريخ الوثيق ـ قد نضجت بعد استقراره فى قرطبه ، وإقبال ملوك الأندلس عليه ، حبا فيما كان يغنيهم من الحان فحول الغناء المكيين والمدنيين والبغداديين ، وما ينسجه على منوالهم ، او يضيفه من ابتكاره إلى صنعتهم .

إلا انه لا فضل له فى غناء الموشحات الذى صار فيما بعد الوعاء الذى حفظ الكثير من اصول الغناء العربى ، فان الموشحات لم يخترعها الاندلسيون إلا بعد عهد زرياب ، ثم ملأوها غناء جديدا لم يخطر على بال زرياب ولا كان لعوده ذى الاوتار الحريرية اثر فى هذه التوشيحات .

وجملة القول ان زرياب كان مغنى الاندلس فى عصره ، لكنه لم يكن الوحيد الذى هاجر من بغداد إلى الاندلس وغيرها فى عصر الرشيد وبعد عصر الرشيد من المغنين والملحنين البغداديين ـ طلبا للرزق .. فليس كل من غنى فى بغداد كان يدخل إلى مجلس الخليفة ! لقد كان عدد محدود ومنتقى من المغنين الحذاق ، هو المخصوص بهذه الميزة الكبيرة .

وقد رأينا زرياب يضطر للهجرة إلى المغرب فى وقت لم يكن فيه اسحاق الموصلى قد دخل مجلس الرشيد ، ولا كان له فيه نفوذ ولا مجرد اسم ! .

ثم نذكر بالخير الأديب الضليع وعالم الموسيقى ومؤرخها المرحوم الدكتور محمود احمد الحفنى الذى راح فى كتاب اصدره منذ عشرين عاما تقريبا عن « اسحاق الموصلى » .. يذكر نقلا عن « المقرى » هذه القصة الظاهرة التلفيق ، ويؤيدها باقوال بعض جهلاء المستشرقين .. ثم يقول بمرارة وحزن : « .. كل هذا فات اسحاق يوم انساه حقده وانانيته حق الزمالة (؟!) والبنوة (؟!) فى وقت واحد ، فشرد تلميذه زرياب بعد ان ساومه على بيع مستقبله ، وخيره بين الرحيل والقتل ، مستغلا شهرته ونفوذه فى هذا التهديد » .



ولو كلف الدكتور الحفنى ـ رحمه الله ـ نفسه مجرد مراجعة ارقام التواريخ الصحيحة فى كتاب الاغانى ، لما خفى عليه التلفيق فى هذه القصة القائمة كلها على التلفيق .. ولا يعطيها حقا فى الصحة والثبوت انها لبثت اكثر من الف سنة بدون ان يفندها احد ويكشف عوارها حتى الآن ! .

ان اسحاق الموصلى لم يفته شىء من حق الزمالة والبنوة حيال زرياب .. إذ لا زمالة بينهما ولا بنوة ! .

واسحاق لم يشرد تلميذه ، ولا ساومه ، ولا خيره بين القتل والرحيل مستغلا شهرته ونفوذه .. إذ لم يكن بينهما شىء يستحق المساومة او يدفع إلى القتل ، ولم يكن لاسحاق شهرة ولا نفوذ فى الزمن الذى يحدده التدقيق التاريخى لهذه الاسطورة التى لا نستبعد ان يكون زرياب نفسه قد اخترعها بعد وصوله إلى الاندلس ، فقد كان يزعم دائما ان الجن تتصل به وتوحى إليه الحانه .. فماذا يمنع الجن ان تتصل به وتوحى إليه اساطيره ؟! .

وما اكثر الأساطير فى التاريخ ، ومن تلحق به من العظماء ، فلا يستطيع دفعها ، فتبقى لاحقة به ، كانها بقعة فى ثوبه التاريخى العظيم ، لا يغسلها مرور الف سنة او اكثر ، وربما تبقى عالقة به إلى الأبد .

وقد حاولنا هنا تحكيم انصع ادلة العدالة فى مظلمة اسحاق الموصلى ، او فى القضية المزعومة بينه وبين زرياب ! .

ولو بعث الرجلان من الموت الآن لاحتاجا إلى من يقوم بتعريف احدهما إلى الآخر .

فاكبر الظن فى هذه القصة انهما لم يلتقيا قط ، حتى دبرت لهما بعض كتب التاريخ ذلك اللقاء الأسطورى العنيف ! .

كمال النجمى

في دمشـــق نســخة وحيــدة في العــالم لمخطوط عمره ألف ومائة سـنة



مع اتساع نطاق اليقظة العربية . وامتدادها الى اعماق التراث العربى تمحيصاً واحاطة ، يزداد الشعور باهمية استيعاب التراث المخطوط والعمل المنظم لتصنيفه وتوثيقه ووضعه فى متناول المحققين ، تمهيداً لنشره تباعاً ، واخراجه من ظلمات الخزائن الى عالم القراء الواسع .

وعلى الرغم من أن قضية تحقيق ، ونشر التراث العربى المخطوط مطروحة منذ زمن طويل ، فان الجهود المبذولة حتى الان ، لم تشمل غير جزء يسير من هذا التراث ، ومازال الجانب الأكبر من المخطوطات قيد الاستغراق الطويل فى عدد كبير من المكتبات العالمية ، لم تمتد اليه يد الحصر والتنقيب .

الورقة الاولى من مخطوط الطبقات. يعود تاريخه الى سنة ٣٠٥ هجرية

واذا تجاوزنا تلك الكنوز الضخمة من المخطوطات العربية القابعة فى عدد من المراكز الثقافية التى تمتد من الشرق الى الغرب ، فاننا نجد ايضا أن المخطوطات العربية المحفوظة فى مكتباتنا . والتى نجت من أيدى التهاون والاختلاس والعبث والجهل ، لاتزال رهن السبات العميق فى عالم المجهول . تنتظر العين الفاحصة والعقل المتفتح على أهمية كنوز المعرفة التى كدسها الانسان العربى عبر مسيرته الحضارية .

ونجد فى المكتبة الظاهرية بدمشق مثـالا واضحا على هذه الظاهرة . فهى مكتبة شهيرة . كان لقيامها منذ أكثر من مئة عام الفضل فى جمع ما تناثر فى مكتبات وجوامع ودور دمشق من مخطوطات ، وانتشالها من يد الضياع والتسرب . ولكن معظمها مازال مجهول المضمون ، بعيداً عن الانظار رغم كل التسهيلات الممنوحة للاطلاع عليها وتحقيقها . وهذا هو ما نود ايضاحه فى هذا الموضوع الهادف الى شحذ الهمم ، وإنارة الطريق وبخاصة لدى الأجيال الجديدة الطالعة الى النور والعمل . والتواقة الى المزيد من المعرفة لعلنا نشد الكثير من شبابنا للتمرس بهذه المهمة. والأمر هنا ... ليس استعراضاً لنصوص ميتة تجاوزها الزمن ففقدت كل اهميتها . لا،بل انها استعادة صحيحة وضرورية لكنوز من التاريخ والمذكرات والتجارب الانسانية والأدب والمنطق والعلوم التطبيقية والقصص التى تزخر بالمتعة والفائدة .

فهى تفيض بالحياة فمن حقها ان تبرز ثانية الى النور بعد أن طوتها لزمن طويل قرون من العجمة والأمية والانحطاط والنكبات .

ما هو المخطوط ؟

لنعد الآن الى نقطة البداية ما هو المخطوط ..؟ ان هذا المفهوم بمعناه الواسع ، يشمل كل ما كتب بخط اليد ، سواء على الرق (الجلد) او المهارق (القماش) او الاديم (الجلد المدبوغ) او اللخاف

● مطلوب تحرك فكرى واسع ... لوضع تراثنا فى دائرة الضوء للقضاء على مزاعم التشنج الغربى ● ● تبادل المخطوطات فى العالم ... يسير قدماً لصالح قضية تعميم الثقافة ● ● ● مخطوطات عربية . تعيش الغربة ... بعيـــــدة عن المـــكان الأمومى ● ● ● ● الباحثون والمستشرقون ... يستطيعون الحصول على مخطوطات متلفزة أو مصورة دون مقابل ● ● ● ● ● (ابن عساكر) صنع مجداً خالداً ... فشيد هرماً تاريخياً من ثمانين مجلداً .

بقلم : وجيــه الشــربجي


خزائن المخطوطات بدار الظاهرية بدمشق

(الحجر الرقيق) او اوراق البردى . واخيرا يشمل الورق العادى الذى انتقلت صناعته الى العرب اثر الفتوحات الاسلامية . والمخطوط الذى نحن بصدده هو المكتوب على الورق .

المخطوط من حيث الشكل مجموعة من الاوراق مكتوبة باليد . تكون مضمومة او منفصلة . وربما كانت بشكل لفائف اسطوانية غير منتظمة بطولها وحجمها ويصل طول الورقة احيانا الى اكثر من ثلاثين سانتمترا وعرضها الى عشرين سانتمترا ... وفى اغلب الأحيان لا تكون الصفحات مرقمة .

ويختلف نوع المداد ايضا من مخطوط الى اخر ... فهناك مخطوطات مكتوبة بمداد مستخرج من الزاج ، أو من الدهن والدخان ، أو من بزر الفجل والكتان ، أو من ماء الاس الصمغ ، أو من الحبرالأسود والأحمر . وقد استعملت فى كتابة المخطوط اقلام من السعف والقص والقنب . اما الخطوط فهى اكثر تنوعا ، فمنها الخط الكوفى والنسخى والمدور والمستقيم والمرسل . وذهب بعض الناسخين الى كتابة المخطوطات بحروف صغيرة ومتشابكة . تحتاج الى معاناة ومكبرات أو قارئة الية لقراءتها . وكثير من المخطوطات كتب بحروف خالية من النقط واشارات الاستفهام والفواصل ... وقد جاء مخطوط هام للامام احمد بن حنبل . فواصل على شكل دوائر للفصل بين الجمل .

اما العناوين . فقد تجد مخطوطات ليس لها عناوين . واذا وجدت عنوانا او شرحا ، تراه كتب فى زاوية الورقة الاولى ، او فى وسطها ، او كتب على شكل دائرة او مثلث . وتحتوى بعض المخطوطات على رسوم وصور استعملت كوسائل لايضاح الافكار الواردة فى النص ، وهناك مخطوطات تضمنت بعض الزخارف على الصفحات الأولى والأخيرة .

وتبعا لاهتمام العرب بتدوين انتاجهم العلمى والفكرى ، فقد عمدوا الى تطوير صناعة الورق بوصفه الوسيلة الحاوية لهذا الانتاج . فقد قال جرجى زيدان : ان اهل أوربا لما فاقوا من سباتهم فى القرون الوسطى استخدموا الورق الشامى .

المخطوط ... من حيث المضمون : بماذا تبحث المخطوطات ... ؟ تتناول المخطوطات مواضيع شتى من الاداب والعلوم والفنون . فنجد بينها ما يبحث فى فقه اللغة العربية وقواعدها وادابها ... وما يشتمل على تراجم الاعيان والادباء والشعراء . ومنها ما يستعرض احداث التاريخ وحياة الملوك والسلاطين .. ومنها ما يبحث فى علوم الدين والطب والزراعة والرياضيات والكيمياء والمنطق والفلك والموسيقى والجغرافيا والتصوف . بينما نجد مخطوطات تغوص فى الحياة الاجتماعية واليومية والقصص الشعبية وركوب الخيل ، ومنها ما يشابه اسلوب التحقيقات الصحفية . مثل كتاب مفاكهة الخلان لابن طولون . او حوادث دمشق للبديرى الحلاق .

مهمــة الباحــث ليست اجترار الماضى

والواقع ان تحقيق المخطوط مهمة بالغة

مليون مخطوط عربي تنتظر الكفاح الثقافي



حوض مـــاء عندمـا يشرب تمثـال منـه .. يحـدث الجهـاز صوتا من يسمعـه يظنـه صادرا عن الحيوان(علم الصوت) .

المعاناة صعبة المسالك . تستهدف الوصول الى (نص سليم ودقيق) لا اثر فيه للتحريف والتصحيف . والتزام الامانة والصدق فى العمل. ولهذا فلابد لمن يتصدى لهذا العمل الوثائقى أن يكون مؤهلا لغويا وعلميا وثقافيا ، وان يتوافر لديه الاختصاص بقراءة الخطوط القديمة . ذلك لأن مهمة الباحث ليست اجترار الماضى . بل تفجير الافكار الواردة فى النص القديم ، اضافة الى ضرورة إلمامه بالعصر الذى كتب به النص وعاش فيه المؤلف . وما كتبه معاصروه عنه . ليكون ارضية جيدة وموضوعية يستخدمها فى المقارنة والشرح .

كيف تحقق المخطوط بنهج موضوعى ؟

لقد نادى المستشرقون الفرنسيون والالمان ، وفى مقدمتهم المستشرق الالمانى هـ . رتير بان اهم عمل فى تحقيق المخطوط (هو ابراز النص بشكله الصحيح كما وضعه المؤلف) .

وفيما يلى ، مبادىء موجزة لابد للمحقق او الباحث ان يتبعها ليكون عمله اقرب الى الموضوعية والبحث العلمى :

- افضل نسخة صالحة للتحقيق . هى النسخة الأصلية ـ يثبت النص القديم كما جاء تماما ، ولا يجوز تصحيح الكلمات الواردة فى النص مطلقا .
- لا توضع العبارات المكتوبة على هامش المخطوط ضمن النص الأصلى .
- اذا لاحظ المحقق ان كلمة سقطت من النص له ان يضيف النقص على ان يضعه بين قوسين .
- على الباحث ان يهتم باختلاف الروايات والمقارنة واذا وجد فوق الكلمة اشارة ضرب ، فهذا يعنى أن الكلمة الغيت .
- اذا كان النص مشكولا . يثبت التشكيل ـ ترقم سطور النص القديم سطرا سطرا .
- من واجب المحقق المحافظة على تقسـيم الأبواب والمواضيع كما جاءت .
- المطلوب من المحقق وضع فهارس للأماكن الأثرية والبلدان والاعلام والكتب المذكورة فى النص .
- المقدمة التى يضعها المحقق للكتاب الذى يريد نشره . يجب أن تتضمن وصفا للمخطوط وعدد اوراقه ونوع خطه وتاريخه وبيان اهمية المخطوط وكاتبه ، والملاحظات التى تولدت لديه خلال قراءته للمخطوط .

وقد اشتهر عدد من الباحثين العرب بتحقيق المخطوطات العربية . وكانت لهم انجازات مهمة فى هذا المجال . نخص بالذكر منهم الدكتور صلاح الدين المنجد الذى اجاد فى تحقيق التراث العربى ونشره . وقد قدم الدكتور عبد الستار الحلوجى الاستاذ فى جامعة محمد بن سعود الاسلامية دراسة علمية مستفيضة للدارسين حول نشاة المخطوط .

لمحـــة عــن مخطوطات الظاهرية

فى دار المخطوطات الظاهرية بدمشق ثروة طائلة من التراث العربى النادر والثمين ، وتضم هذه الدار نوعين من المخطوطات والوثائق التاريخية . الاول لا يمكن السماح بمشاهدة الأصل (الأم) وتداوله . نظرا لانها نسخ وحيدة ليس لها مثيل فى العالم ، وقد تكون النسخة مهترئة وخوفا من ان تتعرض لخطر التمزق والضياع ، يكتفى بهذه الحالة بالاطلاع على الميكروفيلم أو الصورة الماخوذة للمخطوط . اما النوع الثانى ، فيمكن للباحث أن يطلع عليه . ويطلب تصويره . وفى هذه الحالة تقدم دار الكتب الظاهرية له صورة عن المخطوط دون مقابل . عدا تكاليف التصوير ، وباستطاعته بعد ذلك ان يقوم بتحقيقه فى اى بلد يريد ،ونشره فى دار النشر التى يختارها . وكثيرا ما تنشر دار الظاهرية المخطوطات على نفقتها . مقابل مكافاة مادية تمنح للمحقق .

مسائل الامام ابن حنبل

من اقدم المخطوطات القيمة التى تحتوى عليها خزائن الظاهرية . مخطوط يعود تاريخه الى القرن الثالث الهجرى هو (مسائل الامام احمد ابن حنبل) وقد سمع وكتب عام ٢٦٦ هـ وحققه وقابله على النسخة الثانية المحفوظة فى المدينة المنورة عالم الشام المرحوم الشيخ محمد بهجة البيطار .

(الطبقات) النسخة الوحيدة فى العالـــم

وفى الظاهرية مخطوط (الطبقات) لخليفة بن خياط يعود تاريخه الى العصر العباسى ، وهو النسخة الوحيدة فى العالم التى تنفرد باقتنائها الظاهرية . ولهذا يعتبر كنزا نادر المثال . وقد كتب على الورق ويتالف من سبع وتسعين ورقة طول



ابداع فيزيائي : تماثيل يصب لها الماء في جامات اذا شرب احدهم تشرب البقية . واذا توقف عن الشرب انقطع الماء عن الاخرين (مخطوطة الحيل) . استخدم الاوربيون هذا التصميم في محطات الابقار والدواجن »

كل منها ٢٨,٥ سم وعرضها ١٥ سم وفي كل صفحة ثلاثون سطرا ، يزخر بتفاصيل مثيرة عن حياة كبار رجال الحديث في الاسلام .

ابن عساكر

يقع مخطوط (تاريخ مدينة دمشق) لأبي القاسم المعروف بابن عساكر (٤٩٩ - ٥٧١ هـ) في ثمانين مجلدا وكل مجلد عشرة اجزاء . ويعتبر الكتاب الذروة في تاريخ المدن وتراجم عظماء العرب ، وكانت دمشق محور هذا التاريخ عند ابن عساكر .

وقد تسابق لفيف من المهتمين بالثقافة العربية الى البحث والتنقيب في هذا النبع التاريخي الوثائقي . فقاموا بتحقيق وطبع بعض من اجزائه . وتقدم مجمع اللغة العربية بدمشق بخطوة ثقافية جادة ومدروسة في سبيل خدمة تراثنا القومي الغالي فجند عدداً من المختصين باللغة والتاريخ وفرغهم للعمل اليومي المستمر للقيام بتحقيق مجلدات هذا الهرم التاريخي فكان من منجزات هذا الجهد الدؤوب ان خرج الى حيز الوجود (الجزء الثالث) بألف صفحة . وقد طبع ونشر حديثا على نفقة المجمع . والحقيقة ... تشعر عندما تطالع في هذا التراث العميق انك تنتقل من زمن الى زمن وليس من مجلد الى مجلد .

بنك رصيده تراثنا

تحاول دار المخطوطات بدمشق اماطة اللثام عن النادر والثمين من تراثنا لعظيم المتواجد في خزائنها ، وتقدم باستمرار ، المكافآت المعنوية والمادية لتشجيع الباحثين على وضع فهارس لكل رصيدها المخطوطي . وجاء بنشره وزارة التعليم العالي لعام ١٩٨١ ان مجموع مخطوطات الظاهرية بلغ ١١٨٩٩ مخطوطة .

ونذكر هنا ، الفهارس التي تم تنسيقها وطبعها من قبل هذه الدار ، ليطلع عليها الراغبون في الدراســة والتحقيق من المثقفين العــرب والمستشرقين إذ بامكانهم الحصول عليها بثمن زهيد .

فهرس مخطوطات التاريخ : الدكتور يوسف العش .

فهرس مخطوطات علوم القرآن الكريم : الدكتورة عزة حسن .

فهرس مخطوطات الطب والصـيدلة : الدكتور سامي خلف .

فهرس مخطوطات علم الهيئة : الأســتاذ ابراهيم الخوري .

فهرس مخطوطات الفلسفة والمنطق : الاستاذ عبد الحميد حسن .

فهرس مخطوطات الرياضيات : الأســتاذ صلاح العائدي .

فهرس مخطوطات علوم اللغة العربيــة : الاستاذ أسماء الحمصي .

فهرس مخطوطات التوصف : الأســتاذ محمد رياض المالح .

المنتخب من مخطوطات المدينة المنــورة : عمر رضا كحالة .

فهرس مخطوطات الفقه الحنفي : الأستاذ محمد مطيع الحافظ .

فهرس العلوم والفنون المختلفة : الاستاذ مصطفى الصباغ .

توصيات لجنة التراث

وكانت لجنـــة التراث في مؤتمر مجامع اللغة العربية ، قد اصدرت توصيات لتبادل المخطوطات بين هذه المجامع ودور المخطوطات ومعاهدها . تقضي ان تتبادل هذه المؤسسات قوائم باسماء ما يحقق من مخطوطات وما يطبع من كتب التراث اضافة الى تزويدها بالفهارس والافلام والصور العائدة لها ، وإعلام الموسوعات العربية بخلاصة عن البحث العلمي في هذا المضمار .

ولصالح قضية تعميم المعرفة والكشف عن الكنوز الثقافية وفق اسلوب معين فيتم تبادل المخطوطات بين البلدان العربية والاجنبية بعد تصويرها باحدث الطرق العلمية .

ونقدم على سبيل المثال لا الحصر . نماذج عن بعض كتب التراث المحفوظة في مكتبات دول العالم التي تم تصويرها وتحقيقها .

مخطوط تكنولوجي لعباقرة عــرب

اجل .. المخطوط مجـد للعروبة والاســلام في الهندســة والميكانيك . نشر في أوربا قبل نشره في العالم العربي ، ترجمة كل من فيدمان وهاوسر الى اللغة الالمانية في اوائل هذا القرن وقد نشره الدكتور هيل باللغة الانكليزية عام ١٩٧٩ ، اما العرب فقد تاخروا بنشره حتى عام ١٩٨١ م .

مليون مخطوط عربي تنتظر الكفاح الثقافي

المخطوط كتاب (الحيل) العلمية لبنى موسى عباقرة الفيزياء فى لقرن الثالث الهجرى فهم من ابرز علماء الهندسة فى هذا القرن الذى سمى (بقرن الحضارة الاسلامية) قال عنه ابن خلدون (كتاب الحيل العلمية يتضمن من الصناعات الغريبة كل عجيبة) يحتوى على اكثر من ٨٧ شكلا هندسيا وتصاميم ميكانيكية ، صنعها بنو موسى ، وقد اعترف الغرب بأثره الموضوعى على النهضة التكنولوجية (الهيدوستاتيكية) الغربية الحديثة .

لهذا المخطوط ثلاث نسخ اصلية فقط . النسخة الرئيسية الأولى محفوظة فى الفاتيكان . والثانية فى مكتبة طوبقانى سراى باستانبول . والثالثة فى مكتبة غوتا ببرلين ويعود الفضل فى تحقيق هذا المخطوط ونشره فى العالم العربى الى الباحث الدكتور احمد يوسف الحسن . حيث بذل جهدا كبيرا للحصول على ميكروفيلم لهذا المخطوط من مصادر اوربية عديدة وقد تحمل من المعاناة لطبعه ونشره ما يستحق عليه كل تقدير وثناء من ابناء امته العربية .

وفى لينتغراد وهولندا وجورجيا

تضم مكتبة لينتغراد مخطوطات عربية اصلية ومصورة تحمل داخل صفحاتها تراثنا وامجادنا وتراجم رجالات العرب ، وهى تنتظر الغوص فى اعماقها وضبط نصوصها وتعبيد مسارها نحو اللغة السلافية .

وكان مجمع اللغة العربية بدمشق قد حصل على صورة للمجلد السابع والثلاثين من كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر ونقل بالتصوير عن مخطوطة اصلية مودعة فى مكتبة لينتغراد ، تعداد اوراقها (٢٧١) ورقة وقد نشرها المجمع بطريقة التصوير عام ١٩٧٨ ليكون هذا الاسلوب سببا من أسباب اقبال المفكرين على التحقيق ووسيلة لسلامة النصوص من التحريف والتصحيف وقد عثر الملحق الثقافى السابق الاستاذ مصباح غلاونجى فى دار المخطوطات بهولندا على المخطوط العربى (المحب والمحبوب والمشموم والمشروب) فصوره وقام بتحقيقه وهو يبحث فى الادب والامثال والحكم .

وفى جورجيا بالاتحاد السوفيتى عدد كبير من المخطوطات الجيورجية والعربية ونظرا للعلاقة العريقة بين اللغتين الجيورجية والعربية ففى اللغة الجيورجية كلمات كثيرة ذات أصل عربى .

وجد المربون هناك انه لا يمكن الاستفادة من المخطوطات الا بالتعمق بدراسة اللغة العربية . فبدأوا منذ خمس سنوات بتدريس اللغة العربية لتلاميذ الصفوف الابتدائية واصبح تلاميذ الصف الخامس الآن يتحدثون باللغة العربية ويحفظون قصائد من الشعر العربى .

مخطوط لابن الهيثم

صاحب المخطوط الفيزيائي محمد بن الحسن ابن الهيثم من افذاذ العرب فى الفيزياء عاش فى اواخر القرن العاشر الميلادى . سبق كوبلر فى نظرياته حول انكسار الضوء فى الاجواء واذا علمنا أن فرنسيس باكون قد بحث أسس علم الضوء عام (١٦٠٠ م) يكون العالم العربى ابن الهيثم قد سبقه بكل فخر الى اكتشاف المنهج الاستقرائي العلمى بعدة قرون واجمع علماء الغرب والشرق على أن ابن الهيثم فى كتابه (مقالة فى ضوء القمر) اكتشف الاسس الرئيسية الثابتة التى ارتكز عليها الضوء الحديث .

بعيدة عن المكان الاموي

من الطبيعى أن المكان الاموى للمخطوط العربى . هو وطنه العربى ولكن ـ للاسف ـ هناك عدد كبير من المخطوطات العربية تعيش مغتربة ، فهى جالية مبعثرة بمدن اسيوية واوربية وامريكية ومن ابرزها : اكسفورد ومدريد وطهران واستانبول وجامعة برستن بامريكا والمعهد الحكومى للشرقيات ببرلين الغربية ومعهد غوتا بالمانيا الديمقراطية . جميعها تنتظر المبادرة المسؤولة لرصدها وتحجيمها .

ولا شك ان العمل الطليعى الخير الذى تقوم به مؤسسات التراث فى العالم العربى والجهود المبذولة من قبل المفكرين والدارسين لتحقيق كتب التراث هى محل تقدير وامل ... ولكن يبقى هذا الانجاز محدودا ومتواضعا قياسا لهذا التجمع المخطوطى الضخم .

وخلاصة القول :

اننا نهيب بالقائمين على معاهد المخطوطات والمهتمين بكتب التراث العربى ـ كي لا يمثلوا امام قضاة التاريخ ـ فى العصور القادمة ، بدء الكفاح الثقافي ، لازالة ما علق بتراثنا المخطوطات من رماد الحياة ، علنا نجد في ثناياه ما يهم الحضارة المعاصرة ، وما يقود الفكر العالمي إلى فتوحات جديدة ، وانتصارات مثيرة .

قاصدين من وراء ذلك ، العثور على مزيد من مفاتيح المعرفة ، نضعها بكل اعتزاز بين يدي أهل الغرب قبل أهل الشرق ، لترشدهم الى جذورنا التاريخية الاصيلة بشكل افضل .

وهنا ...

يطرح السؤال القومى نفسه ، أو فوق القومى (لصالح الانسانية جمعاء) الى متى يبقى صرحنا التراثى الهام مبعثرا ومدثرا تحت غلالة الزمن ، حتى اشعار آخر ؟ .

وجيه الشربجي ـ دمشق

احصاءات ١

تقديرات بيرسون التقريبية لعدد المخطوطات العربية فى اقطار العالم كما يلي :

فى المانيا	١٤٢٥٠
بريطانيا	١٤٠٠٠
امريكا	١٣٠٠٠
روسيا	١١٥٠٠
يوغسلافيا	٨٧٠٠
فرنسا	٨٥٠٠
ايطاليا	٧٠٠٠
هولندا	٤٧٠٠
النمسا	٣٨٠٠
اسبانيا	٣٠٠٠
بلغاريا	٣٠٠٠
ايرلندا	٣٠٠٠
الفاتيكان	٣٠٠٠

بقية الاقطار الاوربية اقل من الف .

وقدر هلموت ريتر H. RITTER عدد المخطوطات العربية بتركيا بمائتى الف مخطوط .

.... وقد استنتج المجمع الملكى لبحوث الحضارة الاسلامية بعمان العدد التقريبى للمخطوطات العربية فى جميع انحاء العالم وفق الفهارس التى تضم ذكرا لمخطوطات عربية فبلغ مليون ونصف المليون .

وأن عدد المخطوطات التى لا تزال فى ضمير الغيب ولا يعرف عنها شيء ربما كان مثل هذا العدد او يزيد .

١ ـ طبقا لما جاء فى المشروع الاولى للعناية بالمخطوطات العربية وفهرستها الصادر عن مؤسسة ال البيت بعمان عام ١٩٨١ م .

الزميل العزيز الكاتب الفنان مرزوق بشير عاد من بعثته الدراسية الى امريكا ويلتقى بقراء الدوحة ابتداء من هذا العدد .



من قضايا المسرح

بقلم : مرزوق بشير

مازلت احفظ فى ذاكرتى من ايام السنوات الأولى فى الجامعة ان المسرح وسيلة اعلامية بجانب الوسائل الاعلامية الأخرى كالاذاعة والتلفزيون ...

واذكر جيدا بانني كنت واحدا من المعارضين لهذا التصنيف . فالمسرح كان وسوف يبقى اداة ثقافية وفكرية وإنسانية متعددة الابعاد واسعة الاتجاه اكثر من كونه وسيلة اعلامية ضيقة جدا .. وخطورة التصنيف السابق تكمن فى تجاوزه من كونه تعريفا اكاديميا بحتا لدور المسرح الى تطبيق عملى وحياتى حيث ارتبط المسرح فى كثير من دول العالم الثالث بالمؤسسات الاعلامية الرسمية مما اضعف دوره وحد من فعالياته الاجتماعية .

فتعريفى للمسرح هو انه اداة ثقافية وفكرية وإنسانية واعية ، لا حدود لها ، فهو اداة ملزمة بالصدق وملتزمة به تحت اية ظروف وضغوط . دور المسرح يختلف عن دور اجهزة الاعلام الاخرى .. فالاعلام تحت اى شكل من الأشكال لا يمكن ان يكون غير دعاية .. يتساوى فى ذلك الشرق والغرب فهو ـ اى الاعلام ـ بكامل اجهزته ، يقع تحت التوجيه المباشر فى دول الكتلة الاشتراكية ، وهو ايضا يقع تحت توجيه وإدارة المنظمات السياسية والاقتصادية فى الدول الغربية بالرغم من إنها تتخفى تحت اسماء هيئات ومنظمات كبيرة باسم الديمقراطية والحرية .

إذا اجهزة بهذا الانتماء وهذا التوجه لا يمكن أن يكون دورها إلا التوجه وحمل وجهات النظر الرسمية . فالمعلومات فقط تسير فى خط واحد من اعلى الى اسفل .. المسرح غير ذلك تماما ومتعارض مع هذا الدور . فدوره هو احتواء كل الافكار من اعلى ومن اسفل وصهرها فى بوتقة واحدة هى ما نسميه فى النهاية بالعملية المسرحية فالتفاعلات الثقافية والاجتماعية بمختلف افكارها وتوجهها يمكن للمسرح ان يستوعبها ، اما اجهزة الاعلام فهى غير قادرة على ذلك . ولها رسالة اخرى مختلفة ايضا .. تقوم اجهزة الاعلام بانتقاء الاحداث والمعلومات . اما المسرح فيتعامل مع كل الاحداث والظروف دون تحيز لأنه بالتالى يتعامل مع الانسان بكل ما فيه من خير وشر .

الصدق : ايضا لا يمكن للمسرح ان يتطور وينمو ويعيش بين الناس إلا بتوجهه الصادق شكلا ومضمونا . اما اجهزة الاعلام فالامر فيها مرتبط بالظروف والعوامل السياسية والاجتماعية المختلفة هذه النسبية فى الصدق هى التى حددت دور الاعلام وربطته بظروف وزمن محدد .. اما الصدق الانسانى فى المسرح فهو احد صفاته الخالدة ، الى الان . ومنذ الاف السنين .

والوسائل الاعلامية فى معظم دول العالم الثالث هى اجهزة ومؤسسات رسمية : اما المسرح فهو برلمان غير منتخب له جماهيره العريقة وله جذوره الأصيلة الضاربة فى اعماق التاريخ . كل ذلك وغيره يدعونا ان نعيد النظر ونحن نخطط للأجهزة الثقافية وعلى راسها المسرح والأجهزة الاعلامية من إذاعة وتليفزيون .

فمن الخطا ان نطالب المسرح بان يلعب دور الاذاعة او التليفزيون او حتى الصحيفة الموجهة . فنشرة الاخبار تختلف عن النص المسرحى والممثل على خشبة المسرح يختلف عن المذيع الذى يجلس فى الاستوديو ..

يجب ان يكون للمسرح هيئاته الأهلية ، ولا يعيب المؤسسات الرسمية ان تنفق على هذه الهيئات كما يحدث عادة ان تنفق بعض الدول على البرلمانات والمؤسسات النيابية . والمسرح فى النهاية هو صوت الأمة المرفوع بقضاياها ومشاكلها . وبهذه الطريقة يستطيع المسرح ان يلعب دوره داخل المجتمعات ويدفعها نحو التطور والنماء ، وفى رايى ان هذا الخلط بين دور المسرح ودور الاجهزة الاعلامية . يعتبر واحدا من الأزمات التى يواجهها المسرح فى العالم الثالث . يختلط الأمر على الكاتب المسرحى حين يتساءل عن دوره الحقيقى : هل هو كاتب مسرحى ، او معد لنشرة اخبار رسمية ؟ ويختلط الأمر على الممثل حين يتساءل عن دوره الحقيقى : هل هو ممثل او مذيع تليفزيونى يلتزم بحرفية النص الرسمى الذى امامه او ممثل يقول الصدق للناس ؟ .

ويختلط الأمر على مصمم المناظر حين يتساءل عن دوره الحقيقى : هل هو مصور فوتوغرافى يخضع لمتطلبات الصحيفة أو فنان له رؤياه الخاصة ودوره الخاص على خشبة المسرح ؟ .

وينسحب ذلك على كل العاملين فى المسرح ...

مرة اخرى ارجو ان نعيد النظر فى تعريفاتنا الاكاديمية السابقة حينما نصف المسرح على اساس انه احد الأجهزة الاعلامية . ويجب ان نعيد للمسرح صوته وصورته السابقة كمكان تتفاعل فيه كل الافكار والثقافات والمشاعر الانسانية .

علينا أن نتيح للمسرح ان ينمو طبيعيا . ويواصل مسيرته التاريخية . بغير توقف ولا عقبات .

شخصية حيرت التاريخ والمؤرخين :

السلطان الذي حارب الصهيونية.. وتحدّى أوروبا

لماذا تعرض لكل هذا الهجوم والتجريح؟

بقلم : فتحي رضوان

لعل تاريخ الشرق الاسلامى لم يعرف اسماً ، اكثر ذيوعاً على الألسن ، وفى الكتب والصحف ، ودوائر السياسة ، ومحافل طلاب الحرية ، والمجاهدين من أجل تحقيق أمانيهم القومية بين العرب ، وأهل أوروبا الشرقية ، اكثر من اسم السلطان عبد الحميد ، الذى اطلقوا عليه إسم « السلطان الأحمر » السلطان التركى قبل الأخير باثنين فى قائمة سلاطين الدولة العثمانية التى اتسعت أملاكها ، حتى بزت امبراطوريات القديم والحديث .

ولقد استمرت الاقلام والالسن تكتب ، وتنشر ، وتؤلف ، وتؤول ، وتمدح ، وتهجو ، فى عبد الحميد هذا ، حتى اختفى الرجل تماما وراء سحب كثيفة ، من الدعاية المؤيدة ، والمنددة ، والتى ترفعه إلى مصاف الأبطال الخالدين ، ودهاقين السياسة النادرين ، حينا ، ثم التى لا تدع موبقة إلا وتنسبها إليه ، ولا نقيصة إلا وتلصقها به . فلم يعد للرجل حقيقة يتفق عليها ، تتوسط المدح والقدح ، وتقف بين الهجاء والثناء ، فاستراح الكتاب والمفكرون إلى تصوير سلطان تركيا الفذ ، بما يشبه الأشباح التى لا تظهر حتى تختفى ، ولا تدنو حتى تبعد ، والتى تتكلم فلا يفهم منها الناس شيئا ، وتتحرك فلا يعرف الرائى ، ما إذا كانت تدب على الأرض ام تعرج فى السماء .

ولقد اثر مؤرخو العرب ، واكثر كتابهم ، ان يدعوا الأمر كله ـ لا امر السلطان عبد الحميد ، ولكن امر تاريخ الشرق العربى ، فى حقبته الأخيرة ، السابقة على احتلال مصر وشمال افريقيا كله ، وقيام حكومة محمد علي ، واندلاع الحرب العالمية الاولى ، إلى المؤرخين الاجانب ، ممن يناصبون العرب والاسلام العداء ، جهرة وبلا تحرج ، وممن يتزيون بزى الأصدقاء ، فيدافعون على استحياء عن المصريين والسوريين والحجازيين ، وإخوانهم دفاعا اقرب إلى التسليم بالاتهام والاقرار بالخطيئة ، ومن ثم فلم يكن حظ السلطان عبد الحميد باسعد من حظ بلاده سواء كانت تركيا او كانت المنطقة العربية ، او كان الشرق الاسلامى قاطبة .

ولذلك كان من الواجب أن نقف أمام السلطان الأحمر ، ونتعقب وقائع حياته ، ومجريات الايام فى حكمه ، وما اسداه لتركيا ، وللعرب وللمسلمين من اياد ، وافضال ، إن كان له شيء من هذا ، ثم نتعرف على ما ينسبه إليه الخصوم من سقطات واخطاء حينا ، وجرائم وفظائع حينا اخر ، لنعرف الحقيقة أو بعضها . والتاهب لأداء هذه الرسالة ، ليس إنصافا لرجل من اكبر رجالات المسلمين ، وحاكم من اعظم حكام الدنيا فى ايامه ، بقى صامدا فى وجه مؤامرات لا تنتهى فى داخل بلاده ، وفى ممتلكاتها فى أوروبا واسيا وافريقيا ، ثم تحالف أوروبا الشرقية والغربية ضده وضد الدولة التى يراسها ويوجه أمورها . بل تعرفا على تاريخنا ، وتاملا فى وقائع حياتنا فى حقبة سابقة شديدة الاتصال بايامنا الحالية ، صاغت اقدارنا التى نعيش الآن فى ظلها ، وقد نستمر سنين


(السلطان عبد الحميد)

أنور باشا

جمال باشا

طويلة نتأثر بها . « انتفعت كثيراً فى هذا بالمجلدين الضخمين اللذين وضعهما الدكتور عبد العزيز الشناوى » .

● ●

حكم السلطان عبد الحميد تركيا ، أربعة وثلاثين عاما متصلة ، وهى مدة لم يبلغها حكم سلطان سواه ، سواها ، لا السلاطين السابقون عليه ، ولا اللاحقون له . فالسلطان محمود الذى عاصر محمد على فى مصر بلغ حكمه إحدى وثلاثين سنة ، وبلغ حكم السلطان عبد المجيد الذى تلاه اثنين وعشرين سنة ، ثم استقر السلطان عبد العزيز على سدة السلطنة خمسة عشر عاما .

وقد بدأ حكم عبد الحميد سنة ١٨٧٦ حتى عزلته جماعة من الضباط الشبان فى سنة ١٩٠٩ ، وبقى معزولا ، بعيدا عن العرش والسلطة ، والناس ، والدنيا ، حتى توفاه الله سنة ١٩١٨ ، فى وقت هلك فيه سلطان تركيا ، وزالت هيبتها ، واقتصرت أملاكها على استانبول عاصمتها فى أوروبا ، وبقى ملكها فى آسيا بعد أن كان البحر الأحمر بحيرة عثمانية ، وشرق البحر الأبيض ، مجالا موقوفا عليها ، تروح فيه وتغدو أساطيلها ، أما الأساطيل الأخرى للدول الكبرى تتحاشاه وتنأى عنه

ويتصل الدور الأخير من حياة السلطان عبد الحميد ، بمنظمتين بقى اسمهما يتردد فى المشرق الاسلامى ، ويترامى صداه فى العالم كله ، هما جمعية تركيا الفتاة ، وجمعية الاتحاد والترقى .

وأحسب أنه يجب أن نقدم لهذا الحديث بكلمتين عنهما ، ثم نتناول الخطوط الكبرى فى المرحلة الختامية من حياة السلطان عبد الحميد .

جمعية تركيا الفتاة

أنشئت فى فترة سابقة على عهد عبد الحميد . فقد بدأت حياتها فى سنة ١٨٦٥ ـ وهو عهد الخديوى اسماعيل فى مصر ـ وكان من أكبر زعمائها عند إنشائها نامق كمال ، وآية الله بك ، وهذان إسمان من ألمع أسماء الأتراك الأحرار ، الذين بقوا يدعون إلى الحرية السياسية ، والحكم الدستورى ، ويلقون فى سبيل هذه الدعوة العناء والعنت ، ولا يحققون نجاحا ولا تقدما . ولم يكن مؤسسو تركيا الفتاة منذ البداية ، مثقفين فحسب ، بل كانوا فوق ذلك تلاميذ للثقافة الغربية ، وللثقافة الفرنسية فى الأغلب . بل كان فيهم عدد غير قليل من الأمراء وأصحاب المراكز الرفيعة ، وأبناء العائلات العريقة . وقد كان من زعماء هذه الجمعية الأمير مصطفى فاضل الذى كان مرشحا لأن يكون خديويا على مصر ، لولا محاربة الخديوى إسماعيل له ونجاحه فى هذه الحرب ضده .

ولما بدأ السلطان عبد الحميد يشعر بوجود أعضاء جمعية تركيا الفتاة ، وأخذ يحصى عليهم خطواتهم نقلوا مقرها الرئيسى من تركيا وبالذات من سالونيك إلى عواصم أوربا ، باريس ولندن ، وباريس بصفة خاصة .

ولما انتقلت الجمعية إلى أوربا ، أطلقت عليها الصحافة الأوروبية اسم « La Jeune Turque » وبقى هذا الاسم لصيقا بها ، ولم يضعف النفى الجمعية ، بل زاد الاقبال عليها ، والتعصب لها ، وكان اختفاؤها سببا آخر لمضاعفة جاذبيتها ، فالتخفى يضفى على بعض الهيئات ، جلالا وهيبة ، فى حين أن العلنية تجعلها فى المتناول ، فيبدو زعماؤها فى ضوء النهار ، أناسا عاديين ، وتبدو نقائصهم وزلاتهم أكثر وضوحا .

ولقد وقفت هذه الجمعية آخر الأمر ، فى عزل السلطان عبد العزيز ، خصم الأمير مصطفى فاضل اللدود ، وكانت بداية الحملة ضد السلطان عبد العزيز خطابا وجهه الأمير فاضل إلى السلطان باللغة الفرنسية حدثه فيه عن سوء حال الدولة ، وانتشار الفساد فى دواوينها ، وتدهور الأداة الحاكمة ، وعجزها وقصورها ، وانقطاع الرجاء فى الاصلاح . وقد ترجم نامق كمال هذا الخطاب الذى كان بمثابة إلقاء القفاز فى وجه السلطان ، إلى التركية


الخديوى اسماعيل


الملك فاروق

بلغة ادبية ، فتناقلته الأيدى اولا ، ثم حفظه الألوف ، وقد انتهى الأمر بعزل السلطان عبد العزيز ، ثم ولت الجمعية مكانه ، السلطان مراد الخامس ، ثم لم يطل رضاؤها عنه ، فعزلته بدوره ، وعينت بدلا منه ، السلطان عبد الحميد .

بدا عبد الحميد حكمه باصدار دستور سنة ١٨٧٦ ، وكان الاتراك يسمونه « المشروطية » ، وكان لمدحت باشا دور عظيم فى إصدار هذا الدستور حتى سمى « بطل الدستور » .

وبدات تركيا الفتاة تتململ من حكم عبد الحميد ، واخذت تعمل سرا على قلبه ، وخلعه من الحكم ، وكانت قد تمرست بالعمل السياسى السرى ، وانتشرت شبكة لجانها ، ووصل نفوذها إلى جميع المراكز الحساسة للسلطة ، حتى نجحت فى خلع عبد الحميد سنة ١٩٠٨ .

ومن اوجه الشبه الغريبة بين الثورة التى عزلت عبد الحميد فى تركيا ، والثورة التى خلعت فاروق فى مصر ، أن الذين قاموا بالثورتين كانوا ضباطا ، اولا ، وشبابا ثانيا ، وقد تمت الثورة فى البلدين فى يولية ثالثا . فى مصر فى ٢٣ يوليو ، وفى تركيا فى ٢٤ يولية ، وكان من زعماء الثورتين انور وجمال !

وقد كانت جماعة الضباط التى قامت بعزل عبد الحميد ، متاثرة بتركيا الفتاة ، تاثر ضباط ثورة مصر بمصر الفتاة ، ولكن الضباط الاتراك اتخذوا لجماعتهم إسما جديدا هو بالتركية : « عثمانلى اتحاد وترقى جمعيتى » اى جمعية الاتحاد والترقى . وبداوا حياتهم السياسية باعادة دستور سنة ١٨٧٦ اى بعد تعطيله بثلاثة وثلاثين سنة .

ولم تكن جمعية الاتحاد والترقى لسوء الحظ جمعية تركية خالصة ، فقد بدا الغرب يعد العدة لالتهام تركيا وممتلكاتها فى الشرق العربى ، وفى شمال افريقيا ، فضلا عن أوروبا الشرقية ، وكان قد قرر ان يصطنع اساليب عديدة للوصول إلى غرضه ، وكان من اهم هذه الاساليب ان يندس فى الجمعيات الوطنية والاصلاحية المنتشرة فى طول الدولة العثمانية وعرضها وإظهار الحماسة لبرنامج هذه الجمعيات ، وإدعاء ان مستقبل الدولة يهمهم ، وان تغيير الاحوال فيها للاحسن والافضل يعنيهم ، وبهذا الادعاء ، اصبحوا اقرب ما يكونون من الزعامات الجديدة ، واعظم علما ومعرفة بالاتجاهات السياسية التى تتكون ، ليعملوا على توجيهها لمصلحتهم . وكانت مدينة « سالونيك » فى اليونان مقر جمعية الاتحاد والترقى ، موطنا اصليا لطائفة من اليهود اعتنقوا الاسلام ، واستطاعوا بفضل هذا المظهر ، أن يتغلغلوا فى الجمعيات الوطنية التركية ، وكان إلى جانب هذه الطائفة من اليهود ، يهود بقوا على دينهم ، ادعوا انهم حريصون على نجاح الحركة الدستورية فى تركيا ، وكان عددهم فى جمعية الاتحاد والترقى كبيراً .

وكانت الطائفة الثالثة هم الضباط العرب من سوريين وعراقيين وفلسطينيين الذين كانوا يعملون فى الجيش التركى ضباطاً عاملين . وكانوا يتقنون التركية ، ويتمنون ان تسود فى تركيا الروح الدستورية ، وأن تتساوى العناصر العربية مع العناصر التركية فى الحقوق والتنصيب فى الحكم والادارة ، وان تبقى الوحدة بين العنصرين حتى تقف تركيا على قدميها ، وان تتهيا لمواجهة اطماع الغرب ودسائسه ومؤامراته وفتنه ، قوية وثابة .

ولكن ضباط الاتحاد والترقى بعد أن عزلوا السلطان فى ٢٤ يولية ١٩٠٨ ، ووجهوا بثورة مضادة حقيقية ، وقعت فى ليلة ١٢ ــ ١٣ من ابريل ١٩٠٩ ، وقد تزعمها ائمة المساجد ، وفرق الدراويش ، وفريق من كبار علماء المسلمين ، وطلبة المعاهد الدينية ، وضباط الجيش الذين بداوا حياتهم العسكرية جنوداً ثم ارتقوا إلى رتب الضباط وهم الذين يسمون فى مصر بـ « ضباط من تحت السلاح » . ولم تكن هذه الحركة مقصورة على هذه الطوائف ، بل إن سندها الاول جماهير الشعب التى كانت تتوجس خيفة من حركة الاتحاد والترقى ، وميولها العلمانية ، فقامت المظاهرات وطافت الشوارع تهتف « باشاسون شريعه محمدية » اى فلتعش الشريعة المحمدية ، وكان من الممكن ان يكتب لهذه الحركة النجاح ، لأن تاييد الشعب لها كان قلبيا وحقيقيا وخالصاً ، وكان هذا التاييد يتزايد شيئاً فشيئاً . وقد انتقلت الحركة من العاصمة استانبول إلى الأناضول ، وبخاصة إقليم « أضنه » الذى قام فيه بعض الاتراك المتعصبين بمذبحة فى اهل الاقليم من الارمن فى يوم ١٥ من ابريل ، وقد بقيت هذه المذبحة وصمة فى التاريخ التركى ، لكن لا يسال عنها السلطان عبد الحميد ، ولا الحكومة ، إنما يسال عنها جماعة ضيقة الافق سيئة التصرف من اهالى إقليم واحد .

جيش الانقاذ

وقد انتهز رجال الاتحاد والترقى هذه السقطات ، واعدوا قوة عسكرية ، اسماها مؤرخو اوروبا « جيش الانقاذ » وتسمى فى الكتب التركية « جيش اوروسو » اى « جيش الحركة » . وقد زحفت هذه القوة من سالونيك على استانبول ، واستطاعت بعد قتال مرير ، الاستيلاء على العاصمة ،



بن جوريون



موسى شاريت

وعزل عبد الحميد ، واحلوا محله اخاه الأمير « رشاد » ، وكان إذ ذاك في الرابعة والسبعين ، ولم تكن له سابقة عمل بالسياسة ، ولا ادنى خبرة بشئون الحكم ، فكان رجال « الاتحاد والترقى » يحكمونه ، ويحكمون باسمه ، وهو لا يدرى مما يجرى حوله قليلا او كثيرا ، ولذلك فقد اسماه احد المؤرخين بـ « السلطان الأبله » .

وما كاد « عبد الحميد » يضع قدمه على الأرض وهو ينزل عن العرش ، حتى أصبح فريسة مستباحة ، يهاجمه كل من سولت له نفسه نهش لحمه ، وإسالة دمه. وما اكثر الذين كرهوا « عبد الحميد » وكرهوا سياسته ، لا لانها خطأ كامل ، بل لانها سدت الطريق في أوجه اطماعهم التي كانت تتلخص في امور هي :

١ ـ إزاحة تركيا من مسرح السياسة الدولية ابعد أن عاشت بضعة قرون صاحبة سياسة دولية ضخمة ، أرهبت دول الغرب ، واذلته واخافته بجيوشها في البر ، واساطيلها في البحر ، واحكمت قبضتها على شرق أوروبا وعلى شرق البحر الأبيض حيث استولت على جزره الكبيرة كقبرص ، وكريت ، ورودس ، كما بسطت سلطتها على البحر الأحمر ، وحولته إلى بحيرة عثمانية ، لا تدخلها سفينة غربية واحدة ، وقد زاد من حنق بريطانيا وفرنسا على « عبد الحميد » لأنه اختط سياسة مودة وتحالف مع المانيا .

٢ ـ التخلص من السلطان عبد الحميد الذى كان يدعو إلى الجامعة الإسلامية . وكانت هذه الدعوة تخيفهم ، وتقض مضاجعهم ، وتؤرقهم ، لأنهم لم يكونوا يخافون شيئا اكثر من يقظة الإسلام ، وتحرك المسلمين .

٣ ـ فتح ابواب الهجرة الصهيونية ، في فلسطين ، والتعاون مع سياسة إنشاء وطن قومى لليهود في هذا الجانب من العالم توطئة لانشاء قاعدة عسكرية بحرية وبرية للغرب لتفصل عرب المشرق عن عرب المغرب ، ولتكون المنطقة العربية كلها في حوزة ونفوذ المغرب . وقد كان السلطان عبد الحميد عدوا للصهيونية ، وسدا منيعا في وجه تدفق الوفها إلى فلسطين .

وقد انضمت إلى « جوقة الانشاد » التى رتلت اناشيد الهجوم على عبد الحميد ووصمته باقبح الصفات ، جماعات غير غربية في مقدمتها :

(١) جماعة الاتحاد والترقى .

(٢) جماعة من القوميين العرب في سوريا ولبنان والعراق .

(٣) جماعة اتاتورك وانصاره .

اما الاتحاد والترقى ، فبعد عزل عبد الحميد ، أصبح حزبا رسميا وعلنيا ، واصبحت له لجان وفروع في كل انحاء تركيا ، وبعض عواصم اوروبا ، واخذت الصحافة التركية وبعض الأجنبية ، تشيد بالحكم ، وتتخذ من التشهير والتنديد بعبد الحميد وسياسته ، مادة للدعاية لها ، فقد كانت المقارنة بين سياسة الحزب الوافد ، وسياسة الحزب المعزول ، تستميل الأتراك إلى جانب الاتحاد والترقى . وقد اثر هذا الحزب ان يبتعد شيئا فشيئا عن سياسة الجامعة الاسلامية ويحل محلها سياسة « تركيا الطورانية » .

ومؤدى هذه السياسة جمع العناصر المنحدرة من اصل تركى كالتركمان والتركستان في ظل قيادة تركية قحة ، وتؤمن بتفوق هذا العنصر الذى حكم رقعة فسيحة في اسيا وبعض أوروبا وافريقيا ، والذى غزا الأمصار ، واحكم قبضته على الممالك والأقطار . على ان يكون العرب والاكراد وبعض العناصر المتوسطة في أرض تركيا وملحقاتها اتباعا للاتراك .

وقد اشتد جمال باشا والى سوريا من قبل حزب الاتحاد في مطاردة القوميين العرب الذين كانوا يتمنون أن يتكون منهم ومن الأتراك دولة كامبراطورية النمسا والمجر ، تضم الأتراك والعرب كعنصرين متاخيين ومتساويين . ولكن سياسة التتريك غلبت فطوردت اللغة العربية حتى أن الصوفى العظيم محيى الدين بن عربى ، قد حذف إسمه واحلوا محله « قبر محيى الدين أفندى » .

وقد اثارت هذه السياسة الخطيرة القطر العربى ، وبقية العناصر المقيمة في ارض تركيا ، وتحولوا الى اعداء للحكم الجديد ، فاستغلت بريطانيا هذه الفرقة .

أما الصهاينة فقد اعانوا حزب الاتحاد والترقى على الوصول إلى الحكم ، لانهم كانوا لا يطيقون عبد الحميد ولا سياسته المعادية تماما لأمالهم ، ولانه اتخذ من بعض كبار العرب مستشارين له .

وما كاد السلطان عبد الحميد يغادر عرشه حتى بدأت مساعى الصهيونية تبدو وكان من دلائل نجاحها أن ثالث ثلاثة في زعامة الاتحاد والترقى ، وهو طلعت باشا وزير الداخلية في النظام الجديد ، كان يهوديا اعتنق الاسلام . وقد امتلات مجالس الاتحاد والترقى في العاصمة والاقاليم بعدد غير قليل من اليهود الاتراك وفي السنة التى تم فيها الانقلاب ضد عبد الحميد تاسست الوكالة الصهيونية برئاسة الصهيونى العريق فيكتور جاكو بسون ، وهو يهودى روسى المولد . وقد اقامت هذه الوكالة من نفسها رقيبا على سياسة النظام الجديد وميوله وتحركاته واتصالاته ، الأمر الذى كان يتعذر عليها في عهد عبد الحميد ، فقد ساهمت هذه الوكالة في تمويل جريدة الحزب المسماة « تركيا الفتاة » ، وحاول جاكو بسون الاتصال بالزعامات العربية وإقناعها بأن الخير في إقامة تعاون بين العرب واليهود ، ولعل عظام السلطان الاحمر كانت تتقلب حنقا واحتجاجا على هذه المحاولات المدمرة ، التى لم يكتب لها النجاح ، لحرص الزعماء العرب ، وفهمهم لميول ومساعى اليهود مهما تخفت . فقد كان من اعضاء هذه الوكالة الصهيونية شبان اصبحوا زعماء كبارا في فلسطين قبل نشوء اسرائيل مثل « ديفيد جرى » الذى اصبح فيما بعد « ديفيد بن جوريون » وبن رفى ، وموسى شرتوك الذى أصبح موسى شاريت ..وللحديث بقية .

فتحى رضوان

من تراثنـــــا المعاصر :

مقـــال ينبغى أن يقـــرأه كل مســـــلم فى هـــــذه الأيــــــام

الرجولة في الإســـلام

بقـلم : أحمـــد أمـــين

لعل من اهم الفروق التى تميز المسلمين فى اول امرهم وفجر حياتهم ، عن المسلمين اليوم . « خلق الرجولة » . فقد غنى العصر الاول بمن كانوا هامة الشرف ، وغرة المجد وعنوان الرجولة .

تتجلى هذه الرجولة فى « محمد » إذ يقول : « والله لو وضعوا الشمس فى يمينى والقمر فى يسارى على ان اترك هذا الامر حتى يظهره الله او اهلك فيـــــه ما تركته » .

كما تتجلى فى اعماله فى أدوار حياته ، فحياته كلها سلسلة من مظاهر الرجولة الحقة ، والبطولة الفذة ، إيمان لا تزعزعه الشدائد ، وصبر على المكاره ، وعمل دائب فى نصرة الحق ، وهيام بمعالى الامور ، وترفع عن سفسافها . حتى إذا قبضه الله إليه ، لم يترك ثروة كما يفعل ذوو السلطان ولم يخلف اعراضا زائلة كما يخلف الملوك والرؤساء والامراء ، إنما خلف مبادىء خالدة على الدهر ، كما خلف رجالا يرعونها وينشرونها ويجاهدون باموالهم وانفسهم من اجلها .

وتاريخ الصحابة ومن بعدهم مملوء بامثلة الرجولة . فاقوى ميزات « عمر » انه كان « رجلا » لا يراعى فى الحق كبيرا ، ولا يمالىء عظيما او اميرا . يقول فى إحدى خطبه : « ايها الناس ، إنه والله ما فيكم احد اقوى عندى من الضعيف حتى اخذ الحق له ، ولا اضعف عندى من القوى حتى اخذ الحق منه » .

وينطلق بالجمل فى وصف الرجـــولة فتجرى مجرى الامثال كان يقول : « يعجبنى الرجل إذا سيم خطة ضيم أن يقول : « لا » بملء « فيه » .

ويضع البرامج لتعليم الرجولة فيقول :

« علموا اولادكم العوم والرماية ، ومروهم فليثبوا على الخيل وثبا ، ورووهم ما يجمل من الشعر » . ويضع الخطط لتمرين الولاة على الرجولة فيكتب إليهم : « إجعلوا الناس فى الحق سواء ، قريبهم كبعيدهم . وبعيدهم كقريبهم . وإياكم والرشا والحكم بالهوى ، وان تاخذوا الناس عند الغضب » . ويعلمهم كيف يسوسون الناس ويربونهم على الرجولة فيقول « الا لا تضربوا المسلمين فتذلوهم ، ولا تحجروهم فتفتنوهم ، ولا تمنعوهم حقوقهم فتكفروهم ، ولا تنزلوهم الغياض فتضيعوهم » . من اجل هذا كله كان هذا العصر مظهراً للرجولة فى جميع نواحى الحياة ، تقرا تاريخ المسلمين فى صدر حياتهم فيملؤك روعة ، وتعجب كيف كان هؤلاء البدو وهم لم يتخرجوا فى مدارس علمية ، ولم يتلقوا نظريات سياسية ، حكاماً وقادة لخريجى العلم ووليدى السياسة . إنما هى الرجولة التى بثها فيهم نبيهم وعظماؤهم ، هى التى سمت بهم وجعلتهم يفتحون ارقى الامم مدنية واعظمها حضارة ، ثم هم لا يفتحون فتحا حربيا يعتمد على القوة البدنية وكفى ، إنمـــا يفتحون فتحا مدنيا إداريا منظما ، يعلمون به دارسى العدل كيف يكون العدل ، ويعلمون علماء الادارة كيف تكون الادارة ويلقون بعملهم درساً على العالم ان قوة الخلق فوق مظاهر العلم ، وقوة الاعتقاد فى الحق فوق النظريات الفلسفية والمذاهب العلمية ، وان الامم لا تقاس بفلاسفتها بمقدار ما تقاس برجولتها . هل سمعت عدلا خيراً من ان يضرب ابن لعمرو بن العاص – وهو والى مصر – رجـــلا مصريـــاً ، فيستحضره عمر بن الخطاب وابنه ، ثم يامر المصرى ان يضرب من ضربه وان يضع السوط على صلعة عمرو ، ثم يقول له : « متى استعبدتم النـــاس وقـــد ولدتهم امهاتهم احراراً » .

أو هل سمعت عطفاً على الرعية ، واخذ الولاة بالحزم كالذى روى أن معاوية قدم من الشام على عمر ، فضرب عمر بيده على عضده فتكشف له عن عضد بض ناعم ، فقال له عمر : « هذا والله لتشـــــاغلك بالحمامات ، وذوو الحاجات تقطع انفسهم حسرات على بابك ! » .

أو هل سمعت قولا فى العدل يحققه العمل ، كالذى يقوله عمر : « إذا كنت فى منزلة تسعنى وتعجز الناس ، فوالله ما تلك لى بمنزلة حتى اكون اسوة للناس » .


هذا المقال كتبه احمد أمين سنة ١٩٣٥ وهو مقال ينبغى ان يقراه المسلمون اليوم وهم يواجهون المحنة بعد المحنة ويتعرضون للأزمات المختلفة التى تواجههم كافراد ومجتمعات :





صورتان لاحمد امين الاولى له فى شبابه عندما كان طالبا فى كلية « القضاء الشرعى » ، وهى الكلية التى تخرج منها ، وقد الغيت هذه الكلية فى وقت مبكر بعد ان قدمت عددا من نوابغ الفكر العربى والاسلامى . أماالصورة الثانية فهى صورة احمد امين بعد ان غير زيه ولبس « الطربوش والبدلة » كما فعل زملاؤه مثل طـه حسين واحمد حسن الزيات .

او هل رايت حزما فى الادارة كالذى فعله فى مسح سواد العراق وترتيب الخراج ، وتدوين الدواوين ، وفرض العطاء .

حقا لقد كان عمر فى كل ذلك رجلا ، ولئن كان هناك رجال قد امتصوا رجولة غيرهم ، ولم يشاءوا ان يجعلوا رجالا بجانبهم ، فلم يكن عمر من هذا الضرب ، إنما كان رجلا يخلق بجانبه رجالا ، فابو عبيدة بن الجراح وسعد بن ابى وقاص والمثنى بن حارثة ، وكثير غيرهم كانوا رجالا نفخ فيهم عمر من روحه كما نفخ فيهم الاسلام من روحه ، وافسح لهم فى رجولتهم ، كما افسح لنفسه فى رجولته .

وكان ادبهم فى ذلك العصر صورة صحيحة لرجولتهم ، يتغنون فيه بافعال البطولة ومظاهر الرجولة .

وخير الشعر اشرفه رجالا
وشر الشعر ما قال العبيد

يعتد الشاعر بنفسه ويسمو بها عن النعماء والباساء فيقول :

قد عشت فى الناس اطوارا على طرق
شتى وقاسيت فيها اللين والفظعا
كلا بلوت ، فلا النعماء تبطرنى
ولا تخشعت من لاوائها جزعا
لا يملأ الهول صدرى قبل موقعه
ولا اضيق به ذرعا إذا وقعا

ويعتز بشرفه وقوته وإبائه الضيم فيقول :

وكنت إذا قوم رمونى رميتهم
فهل انا فى ذا يال همدان ظالم
متى تجمع القلب الذكى وصارما
وانفا حميا تجتنبك المظالم

ويمدح رجل قوما فيقول : « إنهم كالحجر الاخشن إن صادمته اذاك وإن تركته تركك » ويقول اميرهم : « والله ما يسرنى انى كفيت امر الدنيا كله . قيل ولم ايها الأمير ؟ قال : لانى أكره عادة العجز » . إلى كثير من امثال ذلك .

وعلى الجملة ، فادبهم تام الرجولة ، قد شعت فيه الحياة ، وامتلا بالقوة ، حتى اللاهى الماجن كابى محجن الثقفى : كان يغازل ، وكان يشرب ، ولكن إذا جد الجد وعزم الامر ، كان رجلا يبيع نفسه لدينه ، ويبيع كل شيء لشرفه وشرف قومه .

ونستعرض الغزل فى الجاهلية وصدر الاسلام ، فاذا هو غزل قوى لا ميوعة فيه ، ولا تخنث ، لا يذوب صبابة ، ولا يلتاع هياما ، ولا يفقد الرجل فيه رجولته لحبه :

وقلت لقلبى حين لج به الهوى
وكلفنى ما لا اطيق من الحب
الا ايها القلب الذى قاده الهوى
افق لا اقر الله عينك من قلب
وما انا بالنكس الدنى ولا الذى
إذا صدعنى ذو المودة احرب
ولكننى إن دام دمت وإن يكن
له مذهب عنى فلى عنه مذهب

ولم يضن التاريخ على المسلمين من حين لآخر ، برجال لفتوا وجه الدهر ، وغيروا مجرى الحوادث ، ودفعوا عن قومهم الخطوب ، وانزلوهم منزل العز والمنعة ، تضيق عن وصف اعمالهم الرسائل والكتب .

ثم توالت الاحداث وتتابعت النوب ، تفل من شوكتهم ، وتفت من رجولتهم ، حتى رايناهم بذلوا الشرف للمال ، وقد كان اباؤهم يبذلون المال للشرف ، ولم ينظروا إلا إلى انفسهم وذويهم ، وكان اباؤهم ينظرون إلى دينهم وامتهم ، وتفرقوا شيعا واحزابا يذيق بعضهم باس بعض ، فكانوا حربا على انفسهم بعد ان كانوا جميعا حربا على عدوهم ، ورضوا فى الفخر ان يقولوا : « كان اباؤنا » مع ان شاعرهم يقول :

إذا انت لم تحم القديم بحادث
من المجد لم ينفعك ما كان من قبل

الرجولة في الإسلام

وناثرهم يقول : « لم يدرك الأول الشرف إلا بالفعل ، ولا يدركه الآخر إلا بما ادرك به الاول » . وراينا خير ما فى الامم حاضرها وخير ما فينا ماضينا .

أريد بالرجولة صفة جامعة لكل صفات الشرف ، من اعتداد بالنفس واحترام لها ، وشعور عميق باداء الواجب ، مهما كلفه من مصاعب ، وحماية لما فى ذمته من اسرة وامة ودين ، وبذل الجهد فى ترقيتها والدفاع عنها ، والاعتزاز بها ، وإباء الضيم لنفسه ولها ، وهى صفة يمكن تحققها مهما اختلفت وظيفة الانسان فى الحياة .

فالوزير الرجل ، من عد كرسيه تكليفا لا تشريفا ، وراه وسيلة للخدمة لا وسيلة للجاه ، اول ما يفكر فيه قومه ، وآخر ما يفكر فيه نفسه ، يظل فى كرسيه ما ظل محافظا على حقوق امته ، واسهل شىء طلاقه يوم يشعر بتقصيره فى واجبه ، او يرى ان غيره اقوى منه فى حمل العبء ، واداء الواجب ، يجيد فهم مركزه من امته ، ومركز امته من العالم ، فيضع الامور مواضعها ، ويرفض فى إباء ان يكون يوما ما عونا للاجنبى عليها ، فاذا اريـــد على ذلك قال « لا » بملء فيه ، فكانت « لا » منه خيرا من الف « نعم » ، وكانت « لا » منه وساما تدل على رجولته ، وكانت « لا » منه خير درس للناشئين يتعلمون منه الرجولة ، يقتل المسائل بحثا ودرسا ، ويعرف فيها موضع الصواب والخطا ، ومقدار النفع والضرر ، ثم يقدم فى حزم على عمل ما راى واعتقد ، لا يعبا بتصفيق المصفقين ، ولا بذم القادحين ، إنما يعبا بشىء واحد هو صوت ضميره ، ونداء شعوره .

والعالم الرجل ، من ادى رسالته لقومه من طريق علمه ، يحتقر العناء يناله فى سبيل حقيقة يكتشفها ، او نظرية يبتكرها ، ثم هو امين على الحق ، لا يفرح بالجديد لجدته ، ولا يكره القديم لقدمه ، له صبر على الشك ، وغرام بالتفكير ، وبطء فى الجزم ، وصبر على الشدائد ، وازدراء بالاعلان عن النفس ، وتقديس للحقيقة ، صادفت هوى الناس او اثارت سخطهم ، جلبت مالا او اوقعت فى فقر ، يفضل قول الحق وإن اهين ، على قول الباطل وإن كرم .

والصانع الرجل من بذل جهده فى صناعته ، فلم يشا إلا ان يصل بصناعته إلى ارقى ما وصلت إليه فى العالم ، عشقها وهام بها حتى بلغ ذروتها ، يشعر بانه وطنى فى صناعته ، كوطنية السياسى فى سياسته ، وان امته تخدم من طريق الصناعة ، كما تخدم من طريق السياسة ، وان الصناعة لا تقل فى بناء المجد القومى عن غيرها من شئون الدولة ، فهو لهذا يحسن فنه ، وهو لهذا يحسن سلوكه ، وهو لهذا يرفض ربحا كثيرا مع الخداع ، ويقنع بربح معتدل مع الصدق ، وهو لهذا كله كان رجلا .

بل الرجولة تكون فى المعنويات ، كما تكون فى الماديات ، فالراى العام الرجل ، هو الراى العام اليقظ ، شديد التنبه لما يحيط به من مخاطر ، يعرف كيف يدفع عنه الأذى إذا نيل منه ، ويصد الشر إذا نزل به ، صحيح التقدير لأعمال الرجولة ، شديد الاحتقار للنذالة ، يظهر إعجابه للمحسن ايا ما كان ، فى اشكال تدعو إلى الاعجاب ، ويظهر ازدراءه للمسيء ايا ما كان ، فى اشكال تدعو إلى الاعجاب ايضا . ولا يكون الراى العام رجلا ، حتى تشيع فى افراد الأمة الرجولة ، وتكثر فيهم البطولة ، وفى الرجولة متسع للجميع ، فالزارع فى حقله قد يكون رجلا ، والتلميذ فى مدرسته قد يكون رجلا ، وكل ذى صناعة فى صناعته قد يكون رجلا ، وليس يتطلب ذلك إلا الاعتزاز بالشرف وإباء المذلة .

● ●

من لنا ببرنامج دقيق للرجولة ، كالبرنامج الذى يوضع للتعليم ، يبدا يرعى الطفل فى بيته فيعلمه كيف يحافظ على الكلمة تصدر منه ، كما يحافظ على الصك يوقع عليه ، ويعلمه كيف يكون رجلا فى العابه ، فيعدل بين اقرانه فى اللعب ، كما يحب ان يعدلوا معه ، ويلاعبهم بروح الرجولة من حب ومساواة ومرح فى صدق وإخلاص .

ويسير مع التلميذ فى مدرسته ، فيعلمه كيف يحترم نفسه ، وكيف لا يفعل الخطا ، وإن غفلت عنه اعين الرقباء ، ولا يغش فى الامتحان ، ولو تركه المعلم وحده مع كتبه ، وكيف يعطف على الضعفاء ويبذل لهم ما استطاع من معونة .

ويتمشى مع الطالب فى جامعته ، فيعوده الاعتزاز بنفســـــه ، والاعتزاز بجامعته ، والاعتزاز بامته ، ويبعثه على ان يفكر فى غرض شريف له فى الحياة ، يسعى لتحقيقه ، حتى إذا ما اتم دراسته ، كان قاضيـــا رجـــلا ، او معلما رجـــلا ، او سياسيا وعلى الجملة إنسانا رجلا .

ويتابع الامة ، فيضع لها الادب الذى يبعث على القوة ، والاناشيد والاغانى التى تملا النفس املا ، ويراقب فى شدة وحزم ، دور السينما والتمثيل الملاهى، فلا يسمح بما يضعف النفس ، ويثلم الشرف ، ولا يسمح بما يحيي الشهوة ، ويميت العزيمة ، وياخذ على ايدى الساسة والحكام ورجال الشرطة ، حتى لا يقسوا على الناس فيميتوهم ، ولا يرهبوهم فيذلوهم .

من يبادلنى فياخذ كل برامج التعليم ، وكل ميزانية الدولة ، ويسلمنى برنامجا للرجولة وميزانية لتنفيذه ليس غير ..

ولى كبد مقروحة ، من يبيعنى
بها كبدا ليست بذات قروح ؟

احمد امين

الرجال والخرائط

بقلم: درويش مصطفى الفار

اذا نظر امرؤ الى خريطة فانه يكون واحدا من ثلاثة :

١ ـ إما ان تمثل الخريطة امامه مكانا او موضوعا لا تربطه به علاقة من اى نوع ، اللهم إلا إذا كان عالما بالمصطلحات والألوان والرموز التى تعبر بها تلك الخريطة عن موضوعها ، فهو يستطيع دون الآخر ان يتفهمها ويدرك ابعادها ، ولكن فى إطار محدد لا يتجاوز علما تعلمه فى كتاب او على يد استاذ ...

٢ ـ وإما ان يكون قد سبق له ارتياد المكان الذى تحمل الخريطة صورته بمقياسها المرقوم ، فهو يزيد على سابقه ، ولو كان عالم الخرائط ، فى استيعاب تلك الصورة واستلهام خطوطها ونقاطها ، فهى ليست بالنسبة له شيئا جديدا على الذهن ، إذ لها فى مختزن عقله مكان سابق ، بالحجم الطبيعى ، وما الخريطة عندما يتفرسها إلا تجسيد للذكرى وإحياء لما تعيه الذاكرة ...

٣ ـ اما الثالث ، فقد يكون هو بذاته ، الذى صنع تلك الخريطة ، ورسم خطوطها ووضع رموزها وقاس ابعادها طولا وعرضا وارتفاعا ، وعانى ببدنه وفكره وحواسه مشاق وضع نقاط مثلثاتها ، بدرجاتها ، وجاس خلالها رائحا غاديا راجلا او راكبا ، وتعرف عملا ، على مسالكها ودروبها ومداخلها واتجاهاتها واختلط عرقه ودمعه بغبارها ، وربما يكون ، قد ذاق فى ارجائها طعم الجوع والعطش وتعطل الوسائل ، ووشائج الاتصال بما حول منطقة خريطته من العالم ، او تعرض لهوامها ودوابها واوابد وحشها ، فهو حين ينظر الى تلك الخريطة ، ينظر الى جزء من كيانه وفترة من حياته التى عاشها ببدنه وعقله ووجدانه ، فلا يستطيع ان ينازعه حقيقة فهم تلك الخريطة أحد يحترم الفكر والمنطق والعلم ، ولا يقدر على مباراته فى المشاعر والاحاسيس تجاه المنطقة التى تصورها تلك الخريطة ، من كان له قلب او القى السمع وهو شهيد على احترام الوجود الانسانى ومعانيه ...

ومن مشاكل المجتمعات البشرية المعاصرة وخاصة الفقيرة والمتخلفة ، صناعة وزراعة وعلما ، ان الخطوط الفاصلة بين تلك الانواع الثلاثة من النظر الى الخريطة ، ليست واضحة لكل بصيرة أو بصر .. ومن هنا .. تجد كثيرا من الافراد الذين يستبيحون لانفسهم ، (دون تردد ، او شعور بالمسئولية الادارية او التاريخية ، واحيانا دون خجل او حياء) ، النظر الى اية خريطة لاى موضوع ، طبوغرافى او جيولوجى او عسكرى او زراعى او صناعى ، كما لو كانوا هم الذين رسموا تلك الخريطة ونقلوا صورة الطبيعة عليها ، ويأنفون ، وخاصة اذا كانوا من صناع القرار ، ان يتصوروا ، ان الزمان قد تطور ، والمعرفة قد اتسعت ، والتخصص قد تعمق وتشعب ، بحيث اصبح بالضرورة لكل طعام طباخ ، ولكل خبز طاه .. وانه :

لا يعـرف الشـوق إلا مـن يكابـده
ولا الصبابـة إلا مـن يعانيهـا

واخطر الخطر ، الذى يتعرض له جزء من العالم الثالث ، هو العالم الاسلامى ان يتصدى اليوم للقول الفصل فى خريطته ، ورسم خطوط الحاضر والمستقبل عليها ، احد نوعين من البشر :

١ ـ غرباء عن الخريطة ، وعن منطقتها وعن حقيقة مشاعرها الكامنة فى نفوس الأفراد والجماعات فيها ، وقد يكون منهم صاحب علم او فكر بصناعة الخرائط ودراسة محتوياتها ومعرفة دلالاتها ، علميا وأكاديميا ، بيد ان قلب الواحد منهم قد لا يخلو من ضغن او سوء نية او سوء فهم نتيجة لرواسب استقرت من احاديث القصاصين وروايات الجدات ، ومساوىء النقل والغرض ، فلا يمكن لهذا مهما حسنت نيته ، أو توافرت عناصر موضوعيته ، أن ينظر الى تلك الخريطة نظرة صائبة صحيحة نافعة خالية من كل السلبيات الضارة الجانحة مع الهوى .. ومن هنا .. فلا مفر من الوقوف ضد تلك المحاولات ، او التحفظ الشديد على ما تصدره من فتاوى واراء ..

٢ ـ او قوم من الاهل ، رفاق العيش وطريق الباساء والضراء على هذه الارض ، ممن قفزوا إلى فوق ، بعد ان اثرت فيهم ظروف كثيرة غامرة احاطت بقلوبهم وعقولهم وثقافتهم نقلا او ابتكارا ، وحالت بينهم وبين أن يمارسـوا إسـلامهم ويستوعبوا خريطته ، فتجسد امامهم وهم يريهم الاسلام من ثقوب يسترقون خلالها النظر لماما ، عبر رجل عليه وقار يضيع وقت عامة المسلمين المعاصرين فى بحث اكاديمى لا يمت اليوم لواقعهم عن (العبد) هل يباع بمتاعه أم بغير متاعه ؟؟ فيرون فى ذلك وأمثاله عائقا فى طريق (التحضر المعاصر الصناعى) ويحكمون من ذلك حكما فجا أن درب الاسلام وخريطته لا تقود إلى مخرج من المازق الذى يتردى فيه المسلمون المعاصرون ، سياسيا وعسكريا واقتصاديا وعلميا ، ويقفزون دون ادنى دراسة موضوعية صادقة للخريطـة ، للمناداة بتغيير معالمها وطمس خطوطها ورموزها ، لتصبح خريطة (جديدة) هزلية ممسوخة كتلك الخرائط التى ترسم لاعمال الدعاية والاعلان التجارى .. فهل ان الأوان قبل كارثة ما حقة لهذا الجيل ، أن نسمح بتجمع صناع الخريطة الحقيقيين ، ممن عرفوا الخريطة ومارسوها ، من الاطباء والمهندسين والكيماويين والعلماء والفقهاء عيانا بيانا فى وضح النهار ، ليضعوا على الخريطة لمسات خبراء معاصرين ملتزمين ترفع الغبار ، وتوضح ما انطمس من الخطوط ، وتقول صراحة للحاكم والمحكوم على حد سواء ، هذا حرام وهذا حلال ، وتحوط الشباب والرجال والكهول بسياج واضح من ما تتطلبه خريطة الاسلام ؟؟



الختان

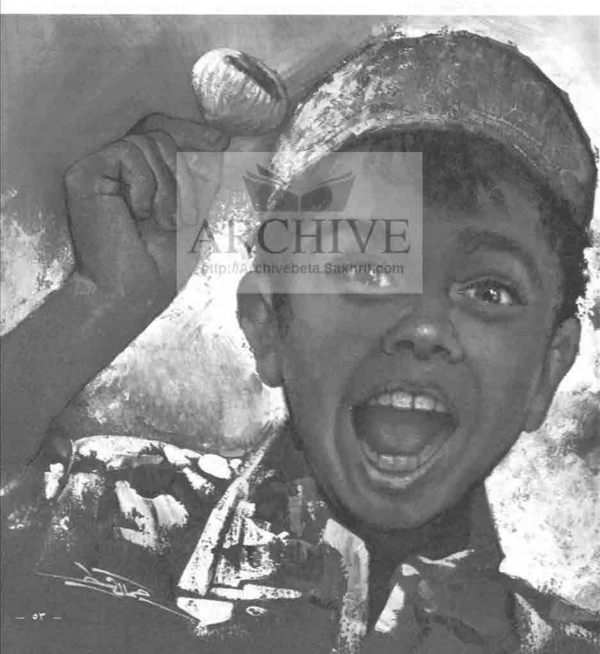
قصة جديدة : بقلم الدكتور يوسف إدريس

.. وتمتم أبي لنا مرّة : كنت أعرف أنه سيموت بموته . وحدقت في وجه أبي الطيب الحافل بالتأثر ، وأحسست أني أرى وجهًا لم أره من قبل . فكلماته تلك بدت لي وكأنها تنطق فجأة بقانون من قوانين العلوم التي كنا ندرسها ، وتبهرنا . كان يعرف أن الفرع سيموت بموته .. أحقًّا كان أبي يعرف ؟!

بريشة: جمال قطب

بعد سلسلة من الميراث والتوريث ، والقطع والبيع والموت والميلاد ، ابت الجميزة العجوز إلى ساق ضخمة سميكة قصيرة ، تنتهى إلى فرعين اثنين ورثهما الشقيقان محمد الهادى الكبير والهادى محمد الصغير . ونحن كنا ابناء محمد الهادى الكبير . وبمثل ما قسمت الجميزة بين الاخوين ، قسم البيت الكبير ايضا . ولكن الجميزة العجوز كانت اروع ما فى طفولتنا كلها . اروع من ليالى القمر ، وصيد السمك ، ونزهات الحقل ، ومشاهد الصراع الحافل بين زوجة عمنا وامنا . كانت شيئا خرافيا ، نسال عنه الأباء والجدات وعواجيز القرية فلا يدرون ، اهى نبتت « شيطانى » ام ان جد جد جدنا الاكبر الهادى الأول هو الذى زرعها ؟ . كانت مثار دهشتنا ، مختلفة تماما عن اى كافورة او نخلة ، خشنة وقد حفر الزمن باظافره وانيابه فى ساقها الغليظة السميكة فصنع معه بروزات وشقوقا ، وحفائر ، وجروحا غائرات ، وندوبا ، ومسامير حدادى مدفونة صدئة . مشهد رائع وكانما الزمن الذى عاشته ، والتطورات التى حدثت لعائلتنا قد تجسدت مكتوبة ومحفورة على ساق الجميزة .

المهم اننا ونحن فى تلك السن بدانا نلاحظ ان فرعنا نحن الذى ورثه ابى دائما شاحب الاوراق ، ذابل الافرع ، قليل الثمار حين وقت الثمر ، فقير الاغصان لا يصلح



الختان

ابدا لاخفاء صغير منا حين نلعب الاستغماية مع اقاربنا وبالذات اولاد عمنا الهادى ونتخذ من الجميزة بفرعيهـــا الهائلين الضخمين مكانا للاستخفاء . كنا نتبارى فى الوصول إلى فرع عمنا لتسترنا اوراقه العريضة شـــديدة الاخضرار ، واغصانه شديدة الكثافة ، وثماره التى كنا ننتهز فرصة الاختفاء وننهال عليها التهاما .

ثمار كبيرة ، منفوخة بالطزاجة كالكـــرة الحمراء الحلوة .

الشجرة هى الشجرة ، والساق هى الساق الازلى ، والفرعان لهما نفس الحجم الهائل ، ولكن شتان بين فرعنا الهزيل رغم ضخامته ، وفرع عمنا الهائج بالاوراق والاغصان والثمر . نساء العائلة يقلن إن

المسائل اقدار ، وان عمنا الهـــادى هكذا « مبختته » محاصيل أرض دائما اوفر ، ولبن جاموسة اكثر ، وعنزة دائما تلد اثنين . بينما ابونا محمد الهادى يعزو الامر إلى ان اباه « جدنا » كان يؤثر عليه عمنا ، ولهذا وصى له بالفرع الاحسن . ورغم حبنا لابينا ، فبيننا وبين انفسنا كنا لا نصدقه . فالفرعان

متماثلان تماما فى الطول والحجم والارتفاع بل إننا لنسمع انه هو كان المفضل لدى جدنا وليس اخاه . ويقول لنا القائلون إنهم لم يسمعوا فى حياتهم عن فرع فى جميزة واحدة ، او اى شجرة ، اخصب من فرع . فالشجرة الام ابدا لا تظلم احدا من فروعها فشريعة الكون كله العدل ، والظلم شىء لا يعرفه إلا الانسان وحده وبفعل الانسان .

وكنت انا اكثر الاولاد حيرة للامر . حيرة كانت تدفعنى لتامل الجميزة طويلا وكثيراً ، بل كانت تدفعنى لمراقبة ابى وعمى كلما صعد احدهما إلى فرعه يشذبه ، او « يختن » ثماره ، او يقتلع غصناً كسرته الريح او يد طفل شقى . ابى كان رجلا طيبا حقا . كان كما يقولون لا يؤذى نملة . يصلى ويصـــوم ،

ويعاملنا بسماحة ، وعمرى ما رايته غاضبا لو يقدح الشرر من عينيه ، ولكنه كان يميل إلى الوحدة ، ولا يعرف جلسة الاصحاب ، وما رايته ابدا يهزل ، او سمعته يقهقه ، او يسهر ، او حتى يدخن . لا اقول على عكسه ، وإنما عمى الهادى كان غير هاد بالمرة . كان صاخب الوجود دائماً . معظم الاحيان مكشراً ، ولكنه إذا ضحك زلزل الارض

بضحكه ، غير انه نادرا ما كان يفعل ، فلم يكن يضحكه غير الشديد القوى الشدة .

كل ما فى الامر ان الموقف كان يختلف حين يصعد اى منهما إلى الجميزة ، فابى لم يكن يحب الشجر . كان يزعم انه بظله الذى يلقيه على ارضنا المزروعة المزروعة قمحا او قطنا ، يضعف الزرع ويمرضه . وكان لا يصعد إلى فرعنا إلا مضطرا ، بل نادرا ما كان يلحظ وجود الجميزة او يدرك ان موعد التختين قد حل إلا بعد ان يرى اخاه قد بدا « يختن » . وتختين الجميز هو تحضيره لعملية التلقيح ونضج الثمرة . حين يقارب حجم الثمرة حجم الليمونة الخضراء الكبيرة ، لابد ان تشق بسكين حاد شقا يفتح داخلها ويعرضها للهواء . وحين كبرت عرفت ان هذا الشق يسمح للهواء بالدخول ، والهواء يحمل حبوب اللقاح ، وبهذا تتم عملية التلقيح وتبدا الثمرة ، كالانثى التى حملت ، تنتفخ ، ويبدا لونها الاخضر كلون وجنـــات العـــذارى ، يحمـــر ويندمل الجـــرح .. ويســـتحيل إلى شـــق اسود تجمد الدم الاخضر على شفتيه ، والذى نتـــج عن عمليـــة التختيـــن . فى الوقت الذى تستحيل فيه الثمرة إلى فاكهة ناضجة ، يقطفها القاطف ، او تسقط من تلقاء ذاتها ، وحين ياكلها وياكل معها البذور انسان او حيوان او جمل ، ينشر البذور فى الآفاق ويتكاثر النوع ، ومن جديد تعـــاد قصة الجميز الشجر .

كان ابى يقوم بعملية الختان كلها فى يوم واحد ، وبصبر نافد . فاذا ضايقته ورقة عريضة اقتلعها ، وكان لا يهمه ان يكون السكين حاميا ، او حتى الجرح نافذا ، حتى كان يخيل إلى ان الثمرات العذراوات تتالم . ولانه يقوم بالعملية فى يوم واحد ، فلم يكن يهمه عمر الثمرة ، او إن كان قد ان اوان تختينها ، طفلة او كبيرة هو يشق استدارتها وفى اى مكان يتراءى له ، وينتهى من العملية ، ويهبط من فوق فرعنا وقد حفل وجهه بالعرق ، ويلهث وكانما كان يؤدى فريضة واجبة حمداً لله ان انتهى منها .

عمى بالعكس ، يجىء من البيت غاضباً لامر او لآخر ، يشرب سيجارته حتى ينطفىء غضبه ، ثم يخلع جلبابه ، ويقف تحت فرعه وشيئا فشيئا تبدا ابتسامة ما ، باهتـــة ، لا تلبث ان تتعامق وتتسع ، وعلى مهـــل

يصعد الجذع المشترك ، ثم يدلف إلى فرعه ، كالعريس يدلف إلى غرفة عروسه . يمتحن الفرع باوراقه واغصانه وكانما يطمئن على كل جزء منه . يلوى شفتيه ضيقا إذا لمح اصفراراً او ذبولا ، ويتهلل وجهه فرحا حين يلمح جنين عصنى قد « بزبز » ، ومن جيب صديريه يخرج مطواة قرن غزال سنها فى اليوم السابق على حجر الطاحونة ، ومهما ضربت الشمس يافوخى وانا اتفرج فلا اتزحزح وانا ارى عمى الكشر صاحب المزاج المتغير دوما وقد حفل وجهه بسعادة نادراً ما اراها يحفل بها وجهه . باصبعين يمسك الثمرة الخضراء . برقة يمتحنها حتى اذا ادرك أنها للختان حانت ، فى سرعة الساحر يمر بسيف مطواته على مكان ختانها المضبوط ، ثم يرنو إلى الجرح الباهر العميق الذى احدثه فى ومضة ، ويتامل اعماق الثمرة الشاحبة الاحمرار أو الاصفرار ، وربما يتفكر لهنيهة فى لونها حين يتانث ويحمر ويتغير ، وفى شكلها وحلاوتها حين تنضج ، ويتركها لغيرها وكانه يترك مائدة سعادة حافلة إلى مائدة حافلة ثانية قادمـــة.

ويظل اياما وأياما « يختن » ، وكلما اعتلى الشجرة ثم هبط عنها وارتكن بجذعه إلى جذعها ، كنت من بعد ارقب شفتيه ، وهى بشىء كالاغنية تترنم ، ومزهوا يمشى إلى المصلى ، حيث يغسل يديه ومطواته ، ويصعد مرة اخرى إلى المصلى المفروش بقش الارز ، لينام وملء وجهه تلك الابتسامة الغامضة التى لا ادرى لها سببا . واتساءل وانا من بعيد ارقبه : اهذا هو عمنا الهادى الذى يرعبنا دائما حضوره وبتكشيرته يجعلنا ، دون ان يامر او يكش ، عن لعبنا او صراخنا نتوقف .

ولكن الغريب ان فرع عمنا مات من تلقاء

نفسه ، بينما فرعنا إلى الآن لا يزال حياً . صحيح لم يعد يثمر ما يؤكل ، فلم يعد أبى يقوى على طلوع الجميزة ، واولاده أصبحوا موظفين فى البندر ، ولكنى لازلت اذكر كيف مات فرع العم . شيئا فشيئاً بدأنا وقد كبرنا ، نلحظ ان كثيرا من اغصانه تذبل والاوراق العريضة فى الافرع الحية تضمر ، ثم يموت الغصن وقد ماتت اوراقه ، ثم إذا بالفرع كله يؤوب إلى جفاف رغم ان ابنه طالب الزراعة فعل المستحيل ورجع إلى مراجع ، وناقش الأساتذة ، ولكن الفرع يظل سادرا فى ضموره وجفافه رغم استماتة ابن عمى فى علاجه ، ذلك أنه كان يعتبره شيئاً من رائحة ابيه عمنا الهادى ذلك الذى كان قد مات . مات فى ذلك العام الذى يبلغ فيه فرعه منتهى ازدهاره ، وثمره ، حتى لقد شبعنا جميعا من ثمره ، وباع عمنا منه عشرة اقفاص ، حلاوة الثمرة منها تسكر ، فى نهاية ذلك العام بالضبط مات عمى ، وحين جاء العام التالى وجاء الربيع لم يحدث ما كان دائما يحدث . فلا الاغصان هاشت فجاة وتكاثرت اوراقها بشدة ، ولا ثقل الفرع بالثمر ، وإنما كاد يماثل فرعنا فى فقر اوراقه وثمره . وفى العام التالى بدا الذبول والجفاف ، وفى الثالث مات الفرع . وحزنا عليه جميعا ، حتى ابونا الذى لم يبك عمى كثيرا ، كادت تدمع عيناه ، وهم ينشرون الفرع الضخم ، ويسقطونه ليبيعوه خشبا .

وتمتم أبى لنا مرة : كنت اعرف انــــه سيموت بموته . وحدقت فى وجه ابى الطيب الحافل بالتاثر ، واحسست انى ارى له وجها لم اره من قبل ، فكلماته تلك بعد أن درست وتعلمت بدت لى وكأنها تنطق فجاة بقانون من قوانين العلوم التى كنا ندرسها . وتبهرنا كان يعرف أن الفرع سيموت بموته .

احقا كان ابى يعرف ؟!

فبالأمس فقط قرأت احــــدث بحث عن « الحياة الاجتماعية للنبات » وكيف أن النبات مثله مثل الانسان والحيوان ، يحس ويدرك بطريقة ما كنه ما حوله ، بل إن حياته او موته تعتمد على طريقة معاملته ، او وجوده وحيداً بعد أن تهلك مثيلاته من حوله .

انى لهؤلاء النـــاس الذين لا يعرفون القراءة والكتابة حتى ، بالنطق باحكام ومقولات هكذا بالسليقة ، وبلا وعى ، لا تدرك قيمتها إلا حين ناتى بعلومنا التجريدية الحديثة وتغير نظرتنا للكون فنكتشف بوسائل علمنا تلك ان ما قالوه بالسليقة هو حقيقة علمية لم نكن نراها لاننا لا نرى ابعد من النظرة المحدودة التى تهيئها لنا وسائلنا للمعرفة تلك التى يبدو انها لا تزال بدائية جدا رغم فخرنا اننا بلغنا اقصى درجات الادراك .

ذلك الذى كان قد مات ، مات فى نفس العام الذى بلغ فيه فرعه منتهى ازدهاره وثمره ، حتى لقد شبعنا منه جميعاً ، وباع عمنا منه عشرة « اقفاص » حلاوة الثمرة منها تسكر . فى نهاية ذلك العام بالضبط مات عمى ، وحين جاء العام التالى وجاء الربيع لم يحدث ما كان دائما يحدث ، فلا الأغصان هاشت فجاة وتكاثرت اوراقها بشدة كما تعودت ان تفعل ، ولا ثقل فرع عمى المرحوم بالثمر ، وإنما الذبول والجفاف وتوقف الحياة ، وفى الثالث مات الفرع .

والحق ان منظره وهو جاف همذا ميت قد تحنطت أوراقه التى كانت ذات يوم ملعلعة الخضرة ، كان يصيبنا باللوعة ، ويصيب ابانا بالتعصب وهو ـ الذى لم يبك عمى كثيرا حين مات ـ كان حين يرى الفرع يتمتم لا حول ولا قوة إلا بالله ، وتحمر عيناه ، وتهدد دموعه بالانبثاق .

وكانت مناحه من اولاده ومنا ، يوم قرروا بيع الفرع خشباً ، ووقفنا جميعاً نرى المنشار الضخم الغليظ وهو يقطع الفرع بكل حمله من اغصان ميتة .

وبقى فرعنا لم يمت ، ضامر الاوراق ، ضامر الثمر ، حتى بعناه لأولاد عمنا الذين احترفوا مهنة الزراعة .

وفوجئنا ذات صيف أن فرعنا الواهن شبه الميت ذاك قد دبت الحياة فى اوراقه وفروعه وثماره ، وزالت دهشتنا حتى وجدنا ابن عمنا محمد الذى سمى على اسم أبى ولكنه ورث خصال ابيه ، وقد كادت أوراق الجميزة تحجبه عنا ، ولكن عينى ابدا لم يفتهما ان تلاحظا انه كان تماماً مثل أبيه قد خلع جلبابه و « شمر » سرواله الطويل ، وحفل وجهه بسعادة ، وهو برقة يمسك الثمرة الخضراء ويعرف من اين بالضبط يختنها . وفى لمحة البرق وسرعة الساحر يمر بسيف مطواته قرن الغزال على مكان ختانها المضبوط ، ثم يرنو إلى الجرح الباهر العميق الذى احدثه ، ويتامل اعضاء تانيثها الداخلية الحافلة بعذرية شحوب العذارى .

ابدا لم يفتنى منظره ،وفرعنا يستجيب له ويخضر ويمتد ويمتلىء بعد هذا بالثمر الاحمر الناضج .

ولكن التختين قد تحول دمه الاخضر فى فتحة قديمة اغمق لونها حتى اســـــود احمراراً .



د . يوسف ادريس

كيف تظهر المواهب في المعهد الموسيقي القطري ؟

هنا يعيشون مع الموشحات الأندلسية والتراث الفني للخليج



أصغر عازف قانون .. يوسف السليطي الذى شد انتباه الحاضرين فى الحفل الموسيقى

كانت مفاجأة معهد الموسيقى القطرى اثناء تقديم حفلته على مسرح قطر الوطنى هو عازف القانون يوسف السليطى الذى لم يتجاوز عمره العاشرة ورغم ذلك ظهرت امكانياته الفنية بصورة شدت انتباه كافة الحاضرين وجعلتهم يتوقعون لصاحب هذه الموهبة المبكرة مستقبلا عريضا فى السنوات القادمة !

وقد ادى الأداء الجيد لهذا الفتى الصغير - بالاضافة إلى ما قدمه زملاؤه واساتذته من الوان شرقية جذابة فى الحفل - إلى أن تدفق على المعهد الكثير من أولياء الامور يطالبون بضم اولادهم إلى الصفوف الدراسية ، ووعدهم مدير المعهد حامد نعمة بأن يحقق طلبهم مع بداية العام الدراسى الجديد القادم ، خاصة وان المعهد أصبح اليوم قادرا على استيعاب الأعداد الكبيرة بعد أن توفرت له كافة الامكانيات الفنية والبشرية !

المواهب المبكرة

والواقع ان اتجاه معهد الموسيقى القطرى إلى تبنى هذه المواهب منذ نعومة اظافرها سيضعه على الطريق الصحيح ، وسيجعل عطاؤه مثمرا ، فالطفولة هى الأرض الخصبة التى نستطيع من خلالها ان نكتشف أصحاب المواهب المبكرة ، وننمى

● عازف قانون عمره عشر سنوات يشد انتباه المتفرجين بموهبته المبكرة ؟ ● ● مطلوب من معهد الموسيقى القطرى أن يتجه بكل قوته نحو البراعم الجديدة ليملأ حياتنا بأعذب الألحان ! ● ● ● مدير المعهد يقول : الموسيقى العربية وحدت عواطف الشعب العربى وارتبطت بأحداث الأمة العربية ومشاعرها الفياضة ● ● ● مطلوب امتحانات فى الموسيقى العربية حتى لا يعود الدارسون فى الخارج وهم مجرد « خواجات » فى الموسيقى !

كمال سعد



البراعم القطرية أثناء التدريب على الآلات الموسيقية داخل معهد الموسيقى

فيهم ـ بالدراسة ـ الفهم الفنى السليم الذى يحرك فينا ـ كما قال أفلاطون ـ اسمى العواطف الانسانية !

إن استعراض بسيط لأهم اعلام الموسيقى والغناء فى الشرق والغرب يجعلنا ندرك مدى ضرورة الاهتمام بالبراعم الجديدة واعطائها نصيب الأسد من مقاعد معهد الموسيقى فى قطر .. فالموسيقار العالمى بتهوفن كان فى طفولته معجزة ، وكان فى الحادية عشرة من عمره لا يتعلم شيئا غير الموسيقى ، ولهذا ما إن وصل إلى الرابعة عشرة من عمره حتى كان يدرب المغنين على خشبة المسرح بعد ان ملأت شهرته الاسماع .. والموسيقار الألمانى العملاق برامز استطاع ان يلفت نظر والده الموسيقار إلى عبقريته المبكرة وهو فى الرابعة من عمره واستطاع أن يسيطر على الة البيانو وهو مازال دون العاشرة .. وكذلك تشايكوفسكى الذى بدا دروسه المنتظمة فى العزف على البيانو وهو فى السابعة من عمره .. وفرانز ليست الذى قدم حفلات جماهيرية ناجحة فى فيينا فى سنوات طفولته المبكرة .. ثم هناك شوبان الطفل الهزيل الضعيف الشاحب الذى تفجرت عبقريته فى العزف على البيانو بصورة مذهلة .. والموسيقار الاسبانى الشهير مانويل ماريا دى فايا الذى علمته امه العزف على البيانو وهو فى السادسة . اشترك فى احتفال عالمى وهو فى الحادية عشرة من عمره !





محمد عبد الرحمن الخليفى
وكيل وزارة الاعلام

شاهين السكوارى
مساعد وكيل وزارة الاعلام

عبد الرحمن نعمة جابر
مدير الشئون الثقافية




عبد الرحمن المعضادى
مدير الاذاعة

حامد نعمة
مدير المعهد الموسيقى

عبد العزيز ناصر
مراقب الموسيقى والغناء

اعضاء مجلس ادارة معهد الموسيقى بالدوحة

وغير هؤلاء هناك امثلة عديدة ، نجد منها الكثير فى عالمنا العربى . مثل الفنان سلامة حجازى الذى تتلمذ فى طفولته على يد كبار المنشدين الذين استطاعوا ان يوجهوه التوجيه الفنى السليم الذى قاده فيما بعد إلى الذيوع والشهرة .. ومثل الموسيقار خالد الذكر سيد درويش الذى كان له صوت موهوب جميل وهو فى التاسعة من عمره ، وكانت موهبته المبكرة سببا فى اجتذاب الفرق الكبيرة إلى صوته ، فسافر معها إلى العالم العربى وهو فى السابعة عشرة من عمره ، واثناء رحلاته هذه التقى باستاذ الموسيقى والغناء السورى عثمان الموصيلى الذى كان له اثر كبير فى توجيهه واهتمامه بالدراسات الفنية التى جعلت منه علما من اعلام الموسيقى والغناء .. وهناك ايضا زكريا احمد الذى درس فى طفولته فن التواشيح على يد استاذه درويش الحريرى وكان لذلك اثره الكبير فى شق طريقه نحو القمة باقدام ثابتة .. وكذلك الموسيقار محمد القصبجى الذى تأثر بفن والده الشيخ على القصبجى وتعلم منه الأوزان الموسيقية فى سنوات حياته الأولى ليصبح فيما بعد فى نظر المؤرخين احد الذين نهضوا بفن الموسيقى العربية .. واخيرا هل ننسى ان رياض السنباطى الذى تعلم العزف على العود وهو فى الثامنة من عمره ليصبح بعد ذلك استاذا فى مادة العود فى معهد الموسيقى وليصبح الم ملحنى الاغنية العربية والشرقية ؟ !

إن كل تلك الامثلة وغيرها العديد ، تقودنا إلى حقيقة واحدة ، تعبنا من كثرة ترديدها ، وهى أن التعليم فى الصغر كالنقش فى الحجر ، ولذا فان مهمة معهد الموسيقى القطرى – اولا وقبل ان القى الضوء على كافة نشاطاته – لابد ان تتجه بكل ما تملك من طاقة وامكانيات نحو البراعم الجديدة ، التى هى البذرة الصالحة القادرة على إنبات الزهور التى تملأ حياتنا بالالوان والمتع الذهنية السامية !

الفنان والجمهور

داخل المعهد الموسيقى فى قطر يمكنك ان تحس بنبض الفن عندما يسيطر على اجواء اى مكان .. فالانغام الشجية .. وسحر الموسيقى .. ووسائل التدريب المختلفة على الآلات الموسيقية .. كل ذلك وغيره يعطى للحياة الدراسية فى هذا المكان مذاقا خاصا ومدلولا يختلف تمام الاختلاف عما تعودناه فى مدارسنا العادية المالوفة !

مدير المعهد حامد نعمة ، شعلة من نشاط طموحه لا يتوقف عند حد ، فهو يريد أن يرى المعهد منارة فنية لا تشع على الخليج وحده ولكن على كل أنحاء العالم العربى !

قال لى ان الفن الموسيقى والغنائى وسيلة من وسائل التعبير التى تتغلغل بصورة واقعية وحية فى جميع نواحى الحياة ، ومن هنا تأتى أهمية هذا المعهد ، لأن رسالته تكمن فى اكتشاف المواهب الفنية وصقلها بالدراسة حتى نرى الفنان المعبر بصدق عن امالنا وأفراحنا واحداث حياتنا الوطنية والقومية ، فالفن موهبة خاصة ومنحة ربانية يجود بها الزمن على أشخاص وهبهم الله هذه الميزة كنعمة من نعمائه ، وبالطبع كلما جمع الفنان بين الموهبة والدراسة كلما اعطى لنفسه فرصة اكبر فى تحقيق طموحاته نحو التالق والخلود !

وقلت له : وبالاضافة لذلك فان اى دارس لتاريخ الموسيقى والغناء فى السنوات الماضية يمكنه ان يدرك ان الموسيقى العربية استطاعت أن توحد عواطف الشعب العربى لانها اجتازت كافة حدودنا العربية بدون اية حواجز او جوازات سفر ، بل واصبحت قوية الصلة بكل احداث الامة العربية ومشاعرها الفياضة ..

وقال لى : نعم .. فهناك عشق متبادل بين الشعب العربى والفنان العربى فى أى مكان من وطنه الكبير ، فهو الذى يشيع فى القلوب السعادة والمودة والصفاء ، وهو الذى يعبر عن كافة الاحاسيس الدفينة والنبضات الحية الدافئة التى تثير فى العقل والقلب معا متعة الشجن وعذوبة ورقة المعانى وجمال الاداء !

داخل المعهد

وهنا قلت له : إذن فلنترك احساسك بالفن بصفة عامة وانعكاس ذلك على هذا الصرح الفنى الجديد ، لنسالك عن الانظمة المتبعة فى هذا المعهد ؟

وقال لى : باختصار .. كان افتتاح المعهد

فى عيد الموسيقى والموسيقيين ، وذلك فى اول اكتوبر عام ١٩٨٠ .. وكان الغرض من انشائه ـ بالطبع ـ هو الارتقاء بالموسيقى والوعى الموسيقى وتخريج الدارسين الاكاديميين وتدريب الكوادر الفنية ورعاية المواهب والاهتمام بالتراث والبحث الفنى وتعزيز العلاقات فى مجال الفن الموسيقى ..

وكما نعرف فان هذا المعهد انشىء بقرار من صاحب السمو الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني أمير البلاد المفدى ، وبموجب هذا القرار اصبح المعهد تابعا لوزارة الاعلام مع تمتعه ـ فى نفس الوقت ـ بدعم من وزارة التربية والتعليم ..

وقد راى سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الأعلام ان يكون للمعهد مجلس ادارة لمتابعة كافة النواحى المتعلقة بتطويره ، واصبح له فعلا مجلس ادارة برئاسة الاستاذ محمد عبد الرحمن الخليفى وكيل وزارة الاعلام وعضوية كل من السادة : شـــاهين الكوارى مساعد وكيـــل وزارة الاعلام ، عبد الرحمن نعمة جابر مدير الشؤون الثقافية بوزارة التربية والتعليم ، وعبد الرحمن المعضادي مدير الاذاعة ، وعبد الحميد نعمة مدير معهد الموسيقى ، وعبد العزيز ناصر مراقب عام الموســـيقى والغنـــاء ..

وعدت اسال مدير المعهد عن الامكانيات المتاحة داخل المعهد من اساتذة وموسيقيين ومكتبة والات . فقال لى : يضم المعهد اساتذة خبراء فى الموسيقى ، لديهم تخصصات فى التدريس والتوجيه الفنى ..

ويضم المعهد مكتبة بها اكبر المجموعات الموسوعية فى الموسيقى واهم التسجيلات المسموعة المنوعة فى الموسيقى والغـــناء فى العالم .. وبالمعهد امكانية للتدريب على كافة الالات الموسيقية لان به تخصصات موسيقية فى العزف على الالات الوترية والات النفخ والايقاع والغناء ..

وعندئذ كان لابد ان اسال حامد نعمة مدير المعهد : لماذا لا يقوم المعهد بدوره فى اكتشاف المواهب الفنية وتنميتها فى المدارس القطرية .. وفى جامعة قطر ايضا ؟

وقال لى : هذا يحدث فعلا .. فالمعهد يتولى الاشراف والتدريس الموسيقى لطلبة من جامعة قطر ووزارة التربية والتعليم وذلك ضمن خطة الدراسات الحرة المسائية ، فالمعهد يوجد به قسمان للدراسة ، احدهما نظامى يؤهل للحصول على الثانوية الموسيقية كمرحلة اولى لاستكمال الدراسة فى الخارج ، والاخر للدراسات الحـــرة المسائية التى هى عبارة عن دورات دراسية مدتها ثمانية شهور .. ولمعلوماتك فان المعهد يمنح دارسـيه امتيازات تشجيعية عديدة ، كما يمنح بعض مقاعده الدراسية لابناء الاشقاء العرب المقيمين ، اضافة إلى المنح الممنوحة لابناء الدول العربية والصديقة ..

• وهل كانت حفلة ٢٢ فبراير . هى الحفلة الاولى للمعهد ؟ ..

ـ بالطبع لا .. فقد قام المعهد باول حفل مشترك فى الدوحة مع الاوركســـــترا السيمفونى لمقاطعة افون البريطانية فى ٢٢ ابريل عام ١٩٨١ .. كما قام باول رحلة فنية فى الخارج إلى بريطانيا فى اوائل هذا العام وقدم خلالها حفلين موسيقيين ناجحين ، احدهما فى لندن والثانى فى بريستول ، وذلك فى اطار البرامج والعلاقات الفنية الثقافية للمعهد .. وقد استطعنا بهــــذه الحفلات الخارجية ان نحقق كسبا اعلاميا لدولة قطر وللعالم العربى .. ويكفينا انه بعد هذه الحفلات تاتينا طلبات من مناطق مختلفة فى العالم لتقديم حفلات مماثلة ، وقد كان اخرها ما جاءنا من بريطانيا ومن سفارتنا فى بون التى طلبت تقديم برنامج لنا فى عاصمة المانيا الاتحادية .. وهذه الطلبات وغيرها ما هى إلا دليل على اهمية الدور الثقـــافى والاعـــلامى الذى يمكن للموسيقى ان تلعبه فى عالمنا المعاصر ..

التذوق الفنى

وفى داخل فصول المعهد يجمع الطلبة على ان امنيتهم ان يحملوا لواء الفن النابع من بيئتهم وتراثهم الخالد وان يعبروا بصدق خلال رحلتهم الفنية القادمة عن الاساس السليم للفن العربى بصفة عامة والخليجى بصفة خاصة ..

وعندما يتحدثون عن برامجهم الموسيقية فانهم يتحدثون فى اعتزاز عن ما يدرسونه من اساسيات وقواعد موسيقية والات يتدربون عليها فى عشق وحب .. ودراستهم لا تنحصر فى المواد الموسيقية فقط ، فهم مطالبون بدراسة المواد الدراسية المقررة على المدارس العادية ..

وعرفت من هؤلاء الطلبة انهم تعودوا على التردد على المكتبة الموسيقية لما تضمه من اسطوانات وكتب مختلفة عن الموسيقى .. وهذا بخلاف مادة التذوق الموسيقى التى يتدربون عليها فى قسم الاستماع الموسيقى الذى يعود الطالب على كيفية الاستماع للموسيقى بفهم وتحليل وقدرة على الاستيعاب !

واثناء وجودى بين الطلبة فى المعهد ، اكتشفت ان هناك ابا يدرس الموسيقى فى الدراسات الحرة ، بينما ابنه يدرس ايضا ـ فى الدراسات المنتظمة .. الاب اسمه : جاسم الساعى .. والابن اسمه : ناصر جاســـم الساعى .. والالة التى تجمع بين هوايتهما هى : الكمان !

كبار الموسيقيين العرب اعضاء فى هيئة التدريس بمعهد الموسيقى

احمد الحفناوى



عبد الفتاح منسى

محمد حجاج

محمود القصبجى



عبد العظيم محمد

د. عبد الرحمن ابراهيم

حسين سيف



محمد عبد النبى

عماد الدين عاشور



هنا يعيشون مع الموشحات الأندلسية والتراث الفني للخليج



الفنان الكبير احمد الحفناوي وخلفه طلبة المعهد اثناء حفلهم الموسيقى في لندن .. ثم لقطة للجمهور الذي حضر هذا الحفل

النغم والايقاع فى الموشحات

وأى استعراض لاسماء أساتذة معهد الموسيقى القطرى ، يجعلنا ندرك ان هذا العدد من الاسماء المعروفة فى عالم الموسيقى قد لا يتوفر اليوم فى اعرق المعاهد الفنية فى العالم العربى .. فمن بين هذه الاسماء عبد العظيم محمد استاذ مادة الموشحات والغناء ، واحمد الحفناوى ومحمود القصبجى وحمدى عيد ومحمد حجاج اساتذة الة الكمان ، ومحمد قطر وعماد عاشور وكلاهما اســـــتاذا لآلة الفيولونسيل ، ثم د . عبد الرحمن ابراهيم استاذ الة الكونترباص ، وعبد الفتاح منسى استاذ الة القانون ، ومحمد عبد النبي استاذ مادة الناى والفلوت ، ود . فاروق عمار ورياض حسن وكلاهما استاذا لآلة العود ، وحسين سيف استاذ الات الايقــــاع ، ود . سوسن عبد العال وأمل طايع وعائشة اساتذة الة البيانو ..

وعندما سألت الملحن المعروف عبد العظيم محمد عن اهمية الموشحات كمادة يدرسها للطلبة فى المعهد ، قال لى ان الموشحات هى الأساس الطبيعى لتنمية القدرات عند المغنى او العازف ، فالموشح عبارة عن نغم وايقاع ، ومن النغم يعرف الطالب طريقة اداء الألفاظ والخط الشرقى عموماً ويشبع اذنه بالنغمات الشرقية .. ومن الايقاع يتدرب على ايقاعاتنا الشرقية ويركز عليها ، خاصة وان الموشحات من اقدم انواع المؤلفات الغنائية ، فقد ابتكرها الاندلسيون فى القرن التاسع الميلادى ، وقال ابن خلدون ان اول من سبق إلى ابتداعها هو مقدم بن معافر من شعراء الأمير عبد الله المروانى ، وكان الغرض من ابتداع الموشحة هو التحرر بالموسيقى من قيود الأوزان الشعرية المعروفة حتى يتوفر لها ما يمكنها من تصوير مختلف العواطف بالحانها تصويراً صادقاً ومتحرراً .. وقد انتقلت الموشحة من الأندلس الى شمال افريقيا فى القرن الخامس عشر لتنتشر وتصبح اساساً للموسيقى العربية ونبعاً لأغانيها وأهازيجها ، وبذلك اعتبرت مدرسة قائمة بذاتها !

وقلت له : وهل يقال الموشح فردياً ؟ ..

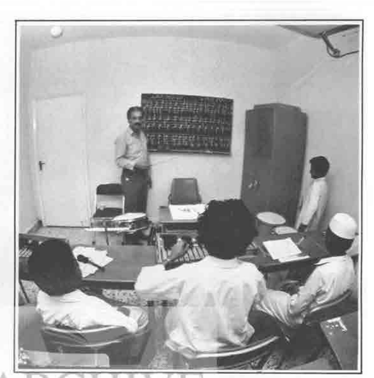
وقال لى : فى حالات نادرة جداً ، فالموشح اصلا يؤدى فى مجموعة لاحداث الفة بين المجموعة وبداية للتعايش مع بعضهم البعض ككل !

وقلت له : ولكن .. ما علاقة فن الموشح بفنون الخليج ؟

وقال : لاشك ان اى اذن شرقية تستسيغ هذا اللون من التراث ، والدليل على ذلك ان المعهد قدم فقرات ناجحة فى فواصـــــل من الموشحات المختلفة فى حفلته الاخيرة كما اننا عندما ننظر إلى المنطقة فاننا سنجد تراثها الخليجى الملىء بالايقاعات المختلفة ، فالمتفق عليه انه لا توجد اختلافات فى النغمات الشرقية ولكن الاختلاف فقط فى الايقاع ، ولذلك فان دراسة الموشح تفيد كثيراً فى الأداء الخليجى وتعمل على تطويره

قلت له : إذن إلى جوار الموشح ، لماذا لا يدون التراث الموسيقى والغنائى فى الخليج ؟ ..

وقال لى : يقوم المعهد بتدوين التراث القطرى ، ومن هذا التدوين استطعنا أن نقدم اشياء بشكل واحد ، وبعد عملية



بعض طلبة المعهد يستمعون إلى الشرح النظرى الذى يهدف إلى تنمية التذوق الفنى بالقراءة والاستماع

التجميع والاداء الجماعى الجميل الذى لا حظه الجمهور فى الحفلات السابقة ، سيتبع هذا خطوات سواء من الناحيــية الأوركسترالية او الغنائية ، وهذا بالطبع يحتاج إلى بعض الوقت .. وكل ذلك مع ملاحظة أن هناك ألوانا تقدم فى الغناء القطرى .. واحب أن أشيد بفنانين كبيرين هما حامد نعمة وعبد العزيز ناصر ومعهما الملحن حسن على .. فاعتقد أن النهضة على اكتاف هؤلاء لأنهم يتبنون مجموعة الأصوات الموجودة ويركزون عليها بهدف وضعها على مستوى العالم العربى !

وهنا قلت لعبد العظيم محمد : على ضوء حديثك عن الاصوات الجيدة هل يمكننا التعرف على الذين يأتون فى المقدمة .. وما هو المطلوب لتحقيق الانتشار لهذه الاصوات القطرية ؟

وقال لى : من بين هذه الأصوات على عبد الستار وفرج عبد الكريم وجمال محمد وصقر صالح .. والواقع أن الملحنين هنا يركزون على الايقاع الخليجى مع التطوير فى الجملة الغنائية وهذا مطلوب على المستوى المحلى والعربى لأن الفن لغة عالمية ، وكلما كان قادرا على الانتشار فى الداخل والخارج كلما حقق هدفه الانسانى النبيل !

« خواجات » الموسيقى

وعندما التقيت بعبد الفتاح منسى استاذ آلة القانون ، وجدته يطالب جميع المعاهد الموسيقية فى العالم العربى ــ بما فيها معهد قطر بأن تزيد عدد الحصص بالنسبة للتخصص فى الآلة الموسيقية ، لأن اى دارس عندما يعزف مقطوعة موسيقية عالمية يتمكن يمكننا أن نطلق عليه لقب موسيقى أو فنان ، لأن رسالة هذه المعاهد هى بأن تخرج لنا الفنان الذى يشترك بالته ويبدع فيها ، وليس الفنان الحاصل فقط على شهادة !

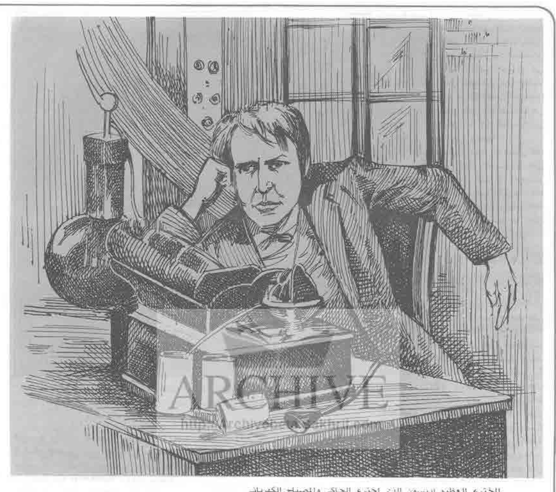
وهو يطالب ــ ايضا ــ كل المعاهد الموسيقية فى العالم العربى ، حينما تبعث أبناءها للعالم الغربى للحصول على شهادات علمية فى قيادة الفرق الموسيقية والاوركسترالية ، بأن تمتحن هؤلاء الطلبة امام لجنة من كبار المثقفين والدارسين للموسيقى العربية ، حتى يعودوا لاستخدام مادرسوه فى خدمة لغتهم العربية فى الموسيقى مثلما فعل المايسترو عبد الحليم نويره وكذلك عطيه شرارة اللذين لم يفعلا مثل غيرهم من الذين عادوا بعد الدراسة فى الخارج « خواجات » لأن بناءهم فى الموسيقى العربية كان ضعيفا !

اما احمد الحفناوى أستاذ آلة الكمان فقد قال لى أن المعهد يركز اليــوم على الاحتياجات الاساسية كالنوتة والقواعد والنظريات الغربية والشرقية وغيرها ، كما انه يركز على البراعم الجديدة وتوفير كافة الآلات الغربية والشرقية .. وذلك من أجل بناء الإساس السليم الذى يجعل من هذا المعهد منارة هامة للفن فى المنطقة !

وبينما يرى محمد حجاج استاذ آلة الكمان انه كأستاذ زائر ينصح بأن يتحول معهد الموسيقى فى قطر إلى معهد عالى للموسيقى وتكون مدته سبع سنوات بدلا من ثلاثة حتى يستكمل كل عناصره ويعمل على تخريج الفنان الذى لا يحتاج لأى دراسة تكميلية فى الخارج إلا فى حدود ضيقة جدا .. بينما يرى ذلك .. نجد حسين سيف استاذ آلات الايقاع يقول بأن الكثيرين يتصورون أن قسم الايقاع بالمعهد خاص بالطبل والمرواز والدف فقط وهى الايقــاعات الخليجية ، بينما هناك آلات إيقاعية تصل إلى ١٨ آلة تمثل الآلات الايقاعيــة للأوركسترا السيمفونى الكلاسيك .. واهمية هذا القسم تعود إلى أن الايقاع هو أساس أى فرقة موسيقية .. ودائما يطرح لأى فنان سؤال يقول ما هى الموسيقى ؟ فيقول : الموسيقى إيقاع ونغم .. إذن الايقاع أولا ثم النغم .. وبدون ايقاع لن يكون هناك النغم .. ولذا فالمطلوب ليس مجرد الاهتمام بالايقاعات الخليجية وتقديمها بصورتها الشعبية كما هى ، ولكن لابد من تطويرها وتقديمها بصورة تتناسب مع العصر ولا تشوه جذورها الأصيلة !

ويطول الحديث مع أساتذة المعهد .. فكل منهم يحتاج الى لقاء خاص .. فكلهم .. بلا استثناء ــ موسوعات فى مجال تخصصاتهم .. وهذا الاحساس الذى عشته يجعلنى متفائلا بأهمية الدور الفنى والثقافى الكبير الذى يستطيع أن يقوم به هذا المعهد الموسيقى فى خلق جيل جديد يعبر ــ بعمق ــ عن عواطفنا النبيلة ويلقى الضوء على روعة الجماليات الموسيقية فى حياتنا وتأثيرها فى دفع عجلة الحياة إلى الامام !

كمال سعد



المخترع العظيم اديسون الذي اخترع الحاكي والمصباح الكهربائي

كبير المخترعين وسرّ عبقريته

بقلم: الدكتور عز الدين فراج

بدأت حياة « توماس أديسون » طفلا يريد أن يجرب كل شيء بنفسه .. يسأل عن كل ما يراه . كانت حياته تفكيرا دائما .. وعملا بلا يأس .. وقراءة بلا انقطاع ، وكبر مع الأيام حتى أصبحت حياته كلها سلسلة اختراعات وابتكارات .

اخترع لنا الحاكي والمصباح الكهربي ، ولذلك وصفه الشاعر العربي قائلا :

باعث النـــور لا معاً كالدرارى
حافظ الصـوت أن يضيع ويمضى

وبجانب ذلك قدم لنا مئات الاختراعات والابتكارات .

وإذا كان « شول » اخترع الآلة الكاتبة الأولى فان « أديسون » هو الذى هذبهـــا وحسنها .

وإذا كان « جراهام بل » هو الـــذى اخترع المسرة فان « أديسون » هو الـــذى اخترع جهاز تقوية الصوت حتى يصبح واضحا مسموعا .

كان « أديسون » ينجح نجاحا عظيما فى أى فرع يختاره ، ولم يفشل فيما زاوله من أعمال حتى فى صباه ، وذلك لمقدرته التى لا حد لها على العمل ، ولعزيمته القوية .

كان لا يصبر على الوقت ، كان يلتهمه التهاما . كان يعمل عملا متصلا ، كأنما يريد أن يعمل فى الساعة الواحدة ما يعمله الناس فى عشر ساعات ، كان يكره أن يغيب عنه حل مشكلة علمية ، فتضيع عليه أسبوعا واحدا بغير جدوى .

وهذه الروح التى تضيق بالوقت ضيقا ، وتكره ضياعه لم تمنعه من أن يكون صبورا طويل الأناة فى دراساته وبحوثه ، وقد سئل فى أواخر حياته عن سر نجاحه فقال : كثيرا ما كان يخيل إلى ، وأنا أحاول اجتياز المرحلة النهائية فى سبيل اختراع ما ، أن حائطا من حجر الجرانيت ارتفاعه مائة قدم يعترض سبيلى ، على أننى فى هذه الحالة كنت أمضى فى محاولاتى ، ولا أكف عن معاودة الكرة مثنى وثلاث ورباع ، حتى ينهار حائط الجرانيت الذى اعترض سبيلى .

إننى لا أسمح لنفسى أن تيأس ، أو يدب إليها القنوط على أية حال ، وإن كثرت المرات التى ينالنى فيها الاخفاق .. وأذكر مرة ونحن نجرى تجربة ما ، أننا كنا على يقين أنها ستسفر عن النجاح التام ، ولكنها انتهت بالاخفاق ، وعاودنا التجربة مئات المرات ، والنتيجة هى هى لم تتغير ، مما أضعف عزائم من يعاوننى فى العمل ، فاشتد ضيقهم ، وتسرب اليأس إلى قلوبهم ولكننى أكدت لهم ، باسما مستبشرا ، أننا لم نخسر شيئا ، لأننا تعلمنا أن الطريق الذى سلكناه فى حل المسألة لم يؤد إلى قمة الجبل ، لقد كنا نتعلم من الاخفاق بقدر ما نتعلم من النصر الباهر .

وعاد أحد الصحفيين يسأل « أديسون » مرة أخرى عن سر عبقريته .. هل نبعت من ذكائه أم من عمله الدائم المتصل ؟ فأجاب :

« لا يسهم الذكاء فى تكوين العبقرية وتحقيق النجاح إلا بمقدار عشرة أجزاء من مائة جزء .. أما التسعون الباقية فهى تعب وعمل وكفاح مستمر » .

ولهذا سمى « أديسون » بالدينامـــــو البشرى إشارة أنه كان لا يكل من العمل ولا يمل .

وسئلت زوجته مرة عن حبه للعمل الدائم فقالت :

ينهض زوجى من نومه الساعة السابعة ويتناول طعام الفطور الساعة الثامنة ، ويذهب إلى مختبره الساعة التاسـعة ، وعندها يبدأ أعمال اليوم مع أربعة من مساعديه ، ويندر أن يأتى إلى البيت لتناول طعام الغداء ، وقلما يأتى للعشاء . وكثيرا ما تمر ساعات الليل الأولى وهو على هذا الحال ، وفى نصف الليـــل أدعـــوه بالمسرة فيرد قائلا :

ـ سآتى سريعا .. لقد كدنا ننتهى من العمل .

لكنه لا يأتى .. وفى الساعة الثالثة صباحا أعيد الكرة وأقول له :

ـ ترفق بصحتك يا أديسون .



كانت المطالعة والبحث هما العمل الدائم لتوماس أديسون

فيجيب قائلا :

ـ إننا على وشك الانتهاء .

فأسأله :

ـ هل أكلت شيئا ؟

فيجيب :

ـ أنه سيفكر فى الأمر .

ثم يضحك قائلا :

ـ إننا لم نأكل .

فأعرض عليه إعداد بعض « الشطائر » ، وقبلما يجيب معتذرا أقفل « المسرة » حتى لا أسمع منه كلمة « لا » .

وكثيرا ما يقضى « أديسون » فى مختبره ثلاثة أيام متوالية ، يستريح فى خلالها فترات لا تزيد الواحدة منها على عشرين دقيقة .. ينهض بعدها لاستئناف العمل .

●●●

ولا يمكن عند استعراض دعائم نجاح « أديسون » كمخترع عظيم وعالم جليل أن نغفل حبه للقراءة .. لقد كان قارئا من الطراز الممتاز ، وبذلك استطاع أن يلهم بكل صـــغيرة وكبيرة فى دنيـــا العلوم والرياضيات ، وقد وصف « أديسون » أهمية القراءة فى حياته فقال :

« لم أتلق فى حياتى علوما رياضية على يد مدرس ، ولم أدخل مدرسة ثانوية إطلاقا ولكننى تعلمت ما تعلمته عن طريق المطالعة وحدها ، وبرغم اختراعاتى لم أكن متخصصا فى علم الرياضيات ، ولكننى كنت أستطيع حل معظم المسائل الرياضية العالية ، بفضل دراستى الخاصة » .

وقد سئلت زوجته عن حبه للقراءة ، فقالت :

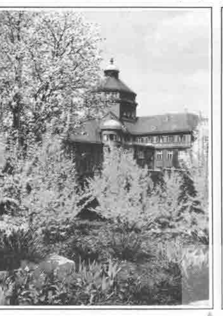
« المطالعة عمله الدائم ، وكان يقضى عدة ساعات كل يوم باحثا فى كتب العلم والتراجم ، فاذا تعب من موضوع علمى عاد إلى إجراء تجاربه .. إنه يؤمن بالقراءة كل الايمان ، ويرى فيها الطريق القويم لكل توفيق ونجاح .

وبجانب ذلك كانت له قدرة بدنية فائقة ، ساعدته على تحمل الجهود الشاقة ، ولا عجب فى ذلك ، فقد انحدر من أسرة سليمة البنية ، معمرة ، إذ عاش أبوه أكثر من مائة سنة .

وعندما بلغ أديسون نفسه الثمانين من عمره كان يصعد السلم من غير أن يلهث .. وكان يتمتع بعد هذه السنين الطويلة والجهود المضنية بجسم سليم وعقل سليم وأعصاب قوية هادئة .

شكل (٢ أ ، ب) نبات ونبات ، او هكذا تبدو الأمور من أول وهلة لكن احدهما (أ) قد اتخذ شكل النبات ، ومع ذلك فهو ينتمى لعالم النمو البلورى ، والتكوين هنا من أكاسيد الحديد والمنجنيز ، وتعرف ايضا باسم البلورات النباتية لأنها تشبه النبات





فنون أخرى غريبة

لكن دعنا من عالم البشر والقرود ، لندخل الى عالم اخر موجود معنا على هذا الكوكب ، ولهذا العالم فنونه ومدارسه ايضا ، ولقد ظهر منذ عشرات ومئات الملايين من السنين قبل ظهور الانسان ، ولا شان لنا هنا بالجن او الجان ، وان كانت بعض الأساطير ، تعيد هذه الفنون الغريبة والجميلة إلى الشياطين ، او اية قوى خفية تعشش فى بعض العقول ، فهى لا تريد ان تجهد نفسها ولا عقلها فى البحث والتفكير ولهذا فما ايسر عليها من سرد حكايات خرافية تعلل بها ما شـــاهدت ، وتفسر ما غاب عن ادراكها ، وبها تريح وتستريح ، وما أكثر الظواهر الطبيعية التى اقترنت بالخرافات والخزعبلات والأساطير ، ثم جاء العلم ليكون له فيها راى اخر يقوم على البحث والفحص والدراسة ، ليعيد الأسباب الى مسبباتها .

لهذا ندعوك ان تتأمل اولا فى الصور المنشورة ضمن هذه الدراسة ، فهى جميعا فنون مجسدة ، اى ليست رسما يستخدم فيه قلم وورقة ، او فرشاة ولوحة ، بل هى خامات مشكلة بانماط مختلفة ، ولقد تداخلت فيها الالوان بطريقة منمقة .. تأمل فيها جيدا ، فقد تتوصل الى سر بعضها ، وقد يغيب عنك بعضها الاخر .. وهى ـ على اية حال ـ تجمع بين فنون كلاسيكية وتجريدية وتشكيلية ، وما قدمناه هنا ليس الا قليلا من كثير ، لكنه يوضح جانبا من كل الفنون التى عرفتها مدارس الانسان الفكرية الجمالية .

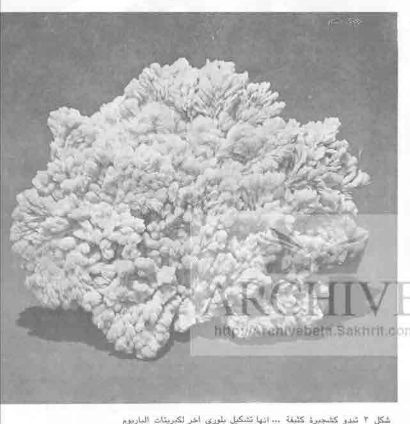
علينا الآن بما غاب عنك ، لنفضح سره ، ونوضح امره ، ونعيده إلى من شكله ونمقه واخرجه فيما ترى هنا من لوحات .. وهى ـ كما ذكرنا ـ ليست من صنع انس ولا جان ، بل جاءت على اساس نظام خاص يكمن فى المادة نفسها .. فهو نابع منها ، ومعبر عنها وبحيث قدمت لنا ثروة هائلة من الفنون التى تحفظها متاحف العالم كتشكيلات ولوحات مثيرة .. لكن ليس هناك من وقع عليه باسمه ، فليس لها ـ فى الحقيقة ـ من ذلك نصيب ، ومع ذلك فاللوحات ليست مجهولة النسب تماما .

وقد يطرا على الأذهان تساؤل حائر : هل يمكن للمادة ان تشكل نفسها بنفسها هكذا ، خاصة وان بعض التشـــــكيلات المعروضة توحى بوجود فن أصيل فى اظهارها واخراجها ؟ .. ثم هل يمكن ان يوجد فن بدون فنان ؟

لكى نجيب على ذلك ، فانه قد يحتاج الى صفحات وصفحات ، لكن يكفى ان نذكر ان المتعمقين فى اصول الخلق جميعا ، يعرفون ـ قبل غيرهم ـ ان هذا الكون كله ، ومن أوله الى أخره ، وبكل صوره وانماطه ـ ولا يختلف فى هذا عالم الجماد عن عالم الحياة- انما قام على نظام .. فمنه من جاء بعقل ، فترك لعقله ، فان اســـــتخدمه الاستخدام الامثل ساد ، ومن كان غير ذلك فالى الجحيم .. جحيم الارض ، ولا شان لنا هنا بجحيم السماء !

ومن الخلق ما جاء بغير عقل ، لكن اوحى فيه ايضا نظامه ، وهو فى الكائنات الحية نطلق عليه اسم الغريزة أو الدافع ، والغريزة ـ فى الحقيقة ـ لفظ مبهم ، وهى كالوحى الى حد ما ، فكما لا ندرك ما هى طبيعة الوحى بالضبط ، كذلك لا ندرك طبيعة الغريزة تماما ، انما جاء كل لفظ ليوافق انماط التفكير عند الناس ، ومع ذلك فالعلم لا يبحث فى أصول الوحى ، بل ترك ذلك لعقيدة الانسان فى المقام الاول ، ويبقى له مجال الغريزة مفتوحا ، وهو نظام مذهل عرفنا قليله وغاب عنا كثيره .. لكن ذلك

من أعمال الفنان .. لا هو جن ولا إنسان



شكل ٣ تبدو كشجيرة كثيفة ... انها تشكيل بلورى اخر لكبريتات الباريوم

موضوع اخر ، وقد نعود إليه فى دراسة قادمة .

النظام المذهل فى المادة

ومن الخلق كذلك ما جاء غازا او سائلا او جمادا ، ومع ان الناس لا يرون فى هذا او ذاك نظاما ، الا ان العلماء يعرفون ذلك تماما - يعرفون مثلا ان كل جسيم وذرة وجزىء انما جاء على اساس تالف وتناسق لينشا كل نظام لاحـق ، على اساس نظام سابق ، والدليل على ذلك ان العلماء قد استخلصوا من هـــذه النظم المـذهلة معادلاتهم وقوانينهم ، وبها يتعاملون مع العالم المادى وغير المادى ، ومن هنـــا نشات اصالة العلم ، لانه شيد صرحه على اساس متين ، يتجلى فى الكون وما حوى ، والوجود وما طوى ، اى كانما هم ناصروا الله فى قوانينه الراسخة ، وشرائعه الصامدة ، فنصرهم الله ، واعطاهم البصيرة النيرة ، والسبل الميسرة لغزو البحار والقفار والفضاء ، وعالمنا المتطور الذى نعيشه اليوم خير شاهد على ما نقول لما المتواكلون الحالمون فبشرهم بتخلف مرير !

إن ما تراه على هذه الصفحات من لوحات انما يعبر بالطبيعة عن نظام الجماد ، والجماد يتالف اساسا من جسيمات .. الجسيمات فى ذرات .. الذرات فى جزيئات .. نظم من داخل نظم من داخل نظم .. فكيف لا يعبر النظام المادى عن نفسه فى تشكيلات بديعة تنعكس عليه ، وتشير إليه ؟ .

ولقد عبر .. « ولكن اكثر النـــاس لا يعلمون » !

لكن التعبير هنا يتخذ انماطا شتى هى اقرب الى تصوراتنا عن كل تعبير يريد الانسان الفنان ان يحكيه لنا من خـــلال لوحة ، « ولا جديد تحت الشمس » - كما يقولون !

قارن مثلا بين التكوينين اللذين يشبهان الخياشيم (شكل ١١ ، ب) .. نجد بينهما مطابقة غريبة ، لكن هذا حى ، وذاك جماد .. هذا فطر ، وذاك حجر .. الفطر يعرف باسم « عيش الغراب » .. والحجر بلورات من مركب اسمه باريت (اوكبريتـــــات الباريوم) .. لكن جزئيات المركب الكيميائى قد انتظمت وتراصت وتالفت فى نظام تقلد به صورة الحياة ، كما يقلد الانسان مثلا على لوحاته منظراً طبيعيا .. فكانما الفكرة قد انتقلت من جماد الى عفن (الفطر) الى انسان .. الى لوحة .. الى تامل راق ينقلنا من عالم الى عالم الى عالم .. وهكذا .

او تامل فى الصورتين التاليتين (شكل ٢ ا ، ب) .. واحدة منهما لنبات ، والاخرى لجزيئات .. رغم ان الجزيئات هنـــا قد تناسقت فى الوان بنية وصفراء ، او خليط من الاثنين ، وبحيث تبدو للعين اكثر جمالا وبهاء .. ولقد جاءت درجات الالوان شاهدة على مركباتها ، لأن التكوين نفسه يتركب من اكاسيد الحديد والمنجنيز مع شوائب اخرى طفيفة ، فكانت هذه اللوحة التى لم يرسمها انسان ، بل رسمها النظام الكامن فى الجزيئات ، وايضا بالالوان .

ثم قد يتخذ التشكيل صورة اخرى مختلفة ، رغم ان الخامة واحدة ، تمعن مثلا فى شكل (٣) ، وحاول ان تتعرف على هويته .. التفرع تفرع نبات ، والاوراق كانما هى أوراق نبات ، او قد يراها احدنا غير ذلك ، فيعيد اصولها الى احدى تكوينات الشعب المرجانية ، وايا كانت الامور ، فالتكوين ليس من الحيوانات ، ولا كذلك من النباتات ، بل هو من عالم البلورات .. نفس البلورات التى تراها فى شكل (١١) .. اى

فها كبريتات الباريوم ، هذه بوجه ، وتلك بوجه اخر ، مثلها فى ذلك كمثل الانسان .. النوع واحد ، لكن الوجوه مختلفة ، ومن الاختلاف نقول إن هذا زيداً ، وذاك عبيداً .. وكذلك الحال فى هذه البلورات .. الخامة واحدة ، وهى كبريتات الباريوم ، لكنها تاتى ايضا بتكوينات مختلفة ، ومن هنا اتخذها العلماء بمثابة بصمات دالة على مركباتها ، اذ انهم لا يتعاملون عادة مع الظاهر ، بل الأساس عندهم الباطن ، وان كان الظاهر هنا مرتبط بالباطن ، ولا يعرف ذلك الا كل من تمرس فى دراسة هذه العوالم .

خداع غريب

وكما نعرف نحن مثلا فى حياتنا الشىء الأصيل من المزيف ، او كما يعرف الفنان الأريب ان كانت هذه اللوحة لاحد مشاهير الفنانين ، او انها تقليد ، كذلك يسير عالم الجماد على نفس المنوال ، لانه يزيف امام العيون صورا ، وبحيث يصبح من الصعب جدا التمييز بين الاصلى والتقليد .

لكن .. ماذا نريد بذلك مثلا ؟

لكى نجيب ، فلا اقل من ان ندعوك اولا لتتامل فى شكل (٤ أ ، ب) .. فان كنت ممن لديهم معرفة بعلم الحفريات ، فستقول انها نباتات من عصور جيولوجية قديمة تركت طبعاتها على الصخور ، وهذا صحيح .

ومع ذلك فان طبعة منها ليست نباتات حفرية على الاطلاق .. بل طبعة مزيفة طالما خدعت العلماء وضللتهم ، وفى هذا يقول واحد منهم « انه يبدو من الأمور العويصة ان تتمخض اية عملية اخرى – عدا الحفرية منها – عن انتاج مثل هذا التشابه المذهل الذى يظهر كزهرة من خلال تنظيم هذه البلورات .. ان هذا التشكيل الزهرى ليس وحيداً فى عالمه ، بل توجد تشكيلات زهرية اخرى تنتشر فى اماكن خاصة مهياة لذلك » .

والواقع ان شكل ٤ ج هو الصورة الحفرية المزيفة ، وهى تتكون من بلورات كبريتيد الحديد ، اما لماذا اخذت مثل هذا الشكل الزهرى الغريب ، فلا احد يعرف على وجه اليقين .

تجسيدات تجريدية

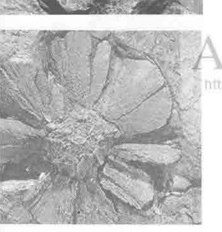
ولا تحسبن بعد ذلك ان الانسان هو الوحيد على هذا الكوكب الذى قدم لنا ما نعرفه بالفن التجريدى ، وعبر عنه رسماً او تشكيلا مجسداً ، وبحيث يتركنا لانطباعاتنا الخاصة فيما تصور وقدم ، فلعل انطباعاته تنسجم مع انطباعاتنا ، ومع ذلك فان هذا الفن قد ظهر فى الطبيعة قبل ان يظهر الانسان على هذا الكوكب بمئات الملايين من السنين !

ولكى ندلل على ما قدمنا فاوجزنا ، فلا اقل من ان نعرض جانبا من « متحف » الطبيعة الذى يحتفظ بين الصخور بمجموعة من التشكيلات المثيرة والغريبة .. ترى ، ما هو انطباعك عن النماذج التى تراها فى الصور التالية (اشكال ٥ ، ٦ ، ٧ ، ٨) ؟

إنها على اية حال اشكال تجريدية ، وربما كانت ابسط تعبيرا مما تراه للفنانين التجريديين .. فواحدة منها (شكل ٥) تعطى انطباعا بانها دودة ، او هى كما عبر عنها من قدماها لنا فى كتابهما الممتع « الوان فى باطن الأرض » – (ل . بولتين ، جون هوايت) .. « إنها تشبه الدودة التى تبدو وكانما هى تتحرك للأمام .. إن هذا التشكيل البلورى قد ظهر من خلال عملية ليست مفهومة تماما ، ولقد ظن البعض ان غرابة هذه الاتجاهات والالتواءات ربما تكون نشات من عملية تعرف باسم « التزحلق المزدوج » ، وهى ظاهرة تنتج من وقوع التشكيل البلورى تحت اجهادات ، كان يكون التجويف الذى نشات فيه قد شكلها على قالبه ، وربما حدث ذلك نتيجة لانهيار بطيء للتجويف بضغط جاءه من كتل تكمن عليه من اعلى » !

وايا كانت التفسيرات ، فان الامر يدعو حقا إلى الحيرة والدهشة ، لان التشكيل قد جاء وكانه مكون من راس بها عينان (واحدة ظهرت من اتجاه الصورة) ، وله عقل متموجه كالدودة ، بل وينتهى بمؤخرة مدببة كالذنب .. بقى ان تعرف ان مادة هذه البلورات من كبريتات الكالسيوم المائى (الجبس) .





شكل (٤ أ ، ب) تامل فى الصورتين جيدا فهما توضحان طبعات نباتية على الصخور من حفريات قديمة لكن احداهما مزيفة وليست طبعة نباتية رغم انها تبدو كذلك . إن أ – لنباتات حفرية إما ب – فهى بلورات كبريتيد الحديد التى اتخذت شكل زهرة حفرية ، وما هى كذلك .

ثم تجيء التشكيلات ٦ ، ٧ ، ٨ بهيئات توحى لهواة الفنون التجريدية بتصورات غير عادية ، فاولها (شكل ٦) من مركب

من أعمال فنان .. لا هو جن ولا إنسان



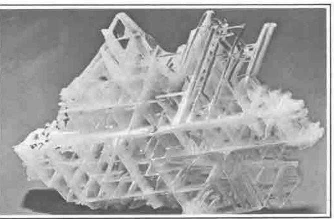
شكل ٥ .. نعم تشبه الدورة التى تتلوى .. ومع ذلك فليست هى الا بلورات ملح كبريتات الكالسيوم (الجبس) .

شكل ٦ تشكيل غريب يحمل أكثر من معنى وقد وجد هكذا بين الصخور فى البرتغال ، وهو يتكون من مركب تنجستات الحديد والمنجنيز .

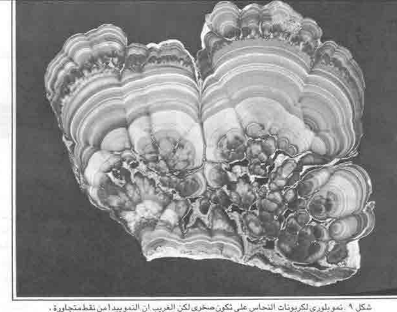




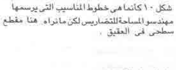
شكل ٧ فن تجريدى غريب من الفضة ولا تعليق .. فهو متروك لرأيك وتقديرك .



شكل ٨ تشكيل مثير من بلورات كبريتيت الرصاص وكأنما هو قطعة فنية من المعمار



شكل ٩ . نمو بلورى لكربونات النحاس على تكون صخرى لكن الغريب ان النمو بيدا من نقط متجاورة ، ثم يتالف فى خطوط متناسقة كانما هو يشبه الحلقات فى جذع شجرة .



شكل ١٠ كانما هى خطوط المناسيب التى يرسمها مهندسو المساحة للتضاريس لكن ما نراه هنا مقطع سطحى فى العقيق .

متالف من الحديد والمنجنيز والتنجستن .. او هى ـ كما يطلق عليها الكيميائيون ـ تنجستات الحديد والمنجنيز ، والتشكيل متروك لتقديرك ، لانه يحمل اكثر من معنى ، فكانما هو تمثال لانسان يقف خلف جهاز رصد ، وقد انهمك فى عمله ، او اى تصور اخر يطرا على البال .

والتشكيل الاخر (شكل ٧) يتكون من الفضة ، والذى بعده من كربونات الرصاص شكل (٨) ، وقد جاءت بلوراته بخطوط وزوايا وتكوينات غريبة حقا ، وكانما هو يترك لنا حرية التعبير عما ينطوى عليه من معان تجريدية .

متحف هائل

والواقع ان الطبيعة بمثابة متحف كبير وكانما هى تحتفظ فيه بلوحاتها الكثيرة جدا ، والمحيرة حقا . وهى لن تكشف عن اسرارها الخافية الا لمن استحق ذلك ، ولا يستحقه الا كل من نبش الصخور ، علها تفصح عن المكنون ، والنبش يحتاج إلى علم وجهد وصبر ومعرفة بالمتاهات التى تخبىء فيها الطبيعة فنونها من كل الاشكال وبجميع الالوان

إن الصور المعروضة هنا بعـــد ذلك لا تحتاج منا إلى كثير من التعليق ، لانها تبدو وكانما هى تتحدث عن نفسها (شكل ٩ ، ١٠ ، ١١) فتغنينا عن كل ما يمكن ان يوصف او يقال فى مثل هذا المجال ، ومع ذلك فلقد اكتفينا بالتعريف بكل صورة ، وعن طبيعة المادة التى كونتها ، اما لماذا جاءت هكذا ، فهو امر قد يتشعب فيه الحديث ويطول ، ثم ان هذه التكوينـــات لازالت غير معروفة اسبابها تماما ، لكنها تاكيداً ليست من عمل انس ولا جان ، ولا اية قوى خرافية مما لا يزال يعشش فى عقول الناس ، بل إن لكل شىء نظامه ، ولقد امكن تكرار بعض هذه التكوينات فى معامل العلماء ، لكن بعد ان عرفوا الاســـباب والعوامل التى تؤثر عليها فتشكلها ، ومع ذلك فقد بقى الكثير مما لا نعرف ، والزمن كفيل بجعلنا نعرف مالا نعرف .. فما اكثر ما يخفى على السمع والحس والبصر والفؤاد .

د . عبد المحسن صالح

شكل ١١ التشكيل يشبه قطعة حية من نسيج حيوانى ، ومع ذلك فهو احدى خامات الحديد والهيماتيت التى جاءت بهذا التكوين الفريد ، ويطلق عليها إسم الكلية الجديد ، لأنها اقرب إلى شكل الكلية الحيوانية .



المجذوب الذي كان

شعر : الدكتور عبد الله الطيب

اما بعد ، فقد اطلعت على العدد الممتاز من « الدوحة » ، عدد اول مارس ١٩٨٢ . وقرأت فيه قصيدة الأستاذ محمد المهدى المجذوب . ثم جاءت الصحافة السودانية تحمل نبأ وفاته ، وجاءت البرقيات تنعاه . وقد كان « المجذوب » لي اخ العمر وزميل الصبا والشباب . وإني باعث اليكم بصورة لي وله اخذت في سنة ١٩٣٩ في شهر سبتمبر اول يوم منه ، وله أنئذ إحدى وعشرون سنة ، ولي ثمانية عشر عاماً . وأبيات هذه القصيدة التي أبعث بها في رثائه خمسة وستون ، جاءت هكذا اتفاقاً . وإذ ذلك مقدار سنه بالاعوام العربية فقد عجبت من هذا الاتفاق . ولقد كان رحمه الله سيداً ضخماً ، نفساً وادباً وشعراً وسعة صلات في مودات القلوب . أشكر لكم إن نشرتم هذه الكلمة . ومهما يكن رأى بعض اهل العصر في الشعر الذي يلتزم قافية وبحراً ، فان الرثاء مما يلزمه ذلك ، إذ الوزن في ما ذكره الناقد « كلردج » يخفف من حدة الانفعال وينقله من حال الذاتية إلى حال مواصلة الآخرين ومخاطبتهم .

عبد الله الطيب
جامعة فاس ــ المغرب

أخٌ كانَ يَرْعاني وكانَ يُعِينُ ... ويحفظُ حقي عندَه ويَصُونُ
وكانَ رفيقَ العمْرِ من زَمَنِ الصِّبا ... إلى أن أتى عَصْرُ المشيبِ يحِينُ
نَعَتْه الصّحيفاتُ اللواتي سوادُها ... غُرابٌ هَوَى فوقَ السطورِ لعينُ
نظرتُ إلى العنوانِ لاحَ مفاجئاً ... بتأبينه ، رُكنٌ يهدُّ ركينُ
لقد خِفْتُ رؤْياي التي قد رأيتُها ... وبعض الرُّؤى تأويلُهنّ يقينُ
يقول مَشَتْ بالأمْس من خلف نعشه الـ ... ـجُموعُ وعادوا منه وهو دَفينُ
عليه من المولى سلامٌ ورحمةٌ ... سقى قَبْرَهُ غيثٌ عليه هَتُونُ
حروفُ اسْمِهِ لاشكَّ ، هذا نعيهُ ... ألا إن أيامَ الحياةِ دُيُونُ
ديونٌ سنقضيها ونصبحُ بعدَهَا ... أحاديثَ لو صخْرُ القلوبِ يلينُ
وهذا قضاءُ اللّه حُتْمٌ وكلُّنا ... إلى الموت أيامٌ لنا وسنينُ
نشبُّ ونستوفي الأشُدَّ وبَعْدَهُ ... نشيبُ وتَبْدُو في الأديم غُضُونُ
وتضْعُفُ أسبابُ البَقَاءِ وتَذْهَبُ الْـ ... ـغَضَارَةُ منَّا والبهاءُ يَبِينُ
وما هو إلا أنْ نَمُوتَ وخَلْفَنَا الْـ ... ـمَئَابُ وكلٌّ بالحسابِ رَهينُ
فنسأل ربَّ الناسِ لطفاً بِضَعْفِنا ... وعَفْواً وفينا بالحياةِ فتُونُ
مضَى الشاعر المجْذوبُ من لم يكنْ له ... نظيرٌ ولادانٍ إليه قرينُ
مَضَى الفحْلُ والخنذيذُ[1] والمفلقُ الذي ... سَيَبْكي يَسَارٌ فقْدَهُ ويَمينُ
مَضَى في سبيلٍ كلنا بسبيلِهَا ... لَنَا حَركاتٌ عندها فَسُكونُ
نَعَتْ شَاعِرَ العربِ الصحافةُ والذي ... مجالسَ أهلِ الفضْلِ كَانَ يَزِينُ
مَضَى حينَمَا شاقَ القلوبَ بِسِحْرِهِ ... ومُدت رِقابٌ نَحْوَه وعيُونُ
وكانَتْ بِلَادِي تقبر الناسَ قَبلَ أنْ ... يموتُوا وكَمْ فيهَا النَّفيسُ غَبينُ
طوتْهُ المنَايَا حِينَ غِبْتُ وليتَنِي ... شَهِدْتُ وعِنْدِي للحبيبِ حَنِينُ
طَوَتْهُ المنَايَا حينَ بَيْني وبَيْنَه ... بِعَادٌ وبونٌ في البلادِ بَيُونُ
طوَتْهُ غَيَابَاتُ المنيَّةِ إنني ... سأبكي عليه والفؤادُ حزينُ



الصورة النادرة التي أرسلها الدكتور عبد الله الطيب إلى « الدوحة » وتاريخها سبتمبر ١٩٣٩ وتجمع بين الطيب « على اليمين » والمجذوب « على اليسار » .

وكانت كـــداري دارُه فازورهُ … واشدو بشعرى والقريضُ لحُــونُ
وينشـدُنى من شعرِهِ ثمَّ بيننَا … مذاكرةٌ فيهـا الحديثُ شجُونُ
له من اساليب القصيدةِ مَذهبٌ … بصيرٌ بإيقاعِ الرَّويِّ رصـينُ
وفيه مع المعنَى الشريفِ عبارَةُ الـ … ـبليغ وفى اللفظِ الرشيق رنينُ
وجَارَى ذوى التجديدِ شاواً فبذهم … ولا غــروَ إذْ انَّ الاسَاسَ مَتِينُ
وكان إذا ألْقَى الكلامَ أفَـادهُ … بروزَ المعَـانِى واللسـانُ مبينُ
وكان إذا مَا رَافقَ الوَفْـدَ سيِّدا … كذاك النجيبُ الألمعيُّ يكـونُ
سـماحةُ اخْلَاقٍ ويُسْرٌ تفوقٍ … وشـيمةُ لُطْفٍ فى الخِطَابِ وَلِينُ
وكانت تجيد الخَطَّ والرسْـمَ كفُّه … وكَمْ صَلَحَتْ دنيـا بذاك ودينُ
وكنا رفيقىْ جاذبيَّـةِ الفـةٍ … وفكْـرٍ وذكرٍ والـودادُ مكينُ
كمَا كانت الأرْحَامُ تجمَعُ بيننَـا … وإرثُ مروءاتٍ سلفن ثمينُ
وقُرْبَى عَلَاقَاتٍ من البِرِّ والتُّقَى … وميثـاقُ صدق بينَهنَّ أمينُ
ووالدُهُ قد كان من بَعْـدِ والدِى … ابى وهْوَلى صنوٌ به وخـدينُ
جنينا جنَاةَ العـلْمِ عند مشايخ … شفتنا شروحٌ منهمو ومتـونُ
وقـد كان عبدالله شيخى يحبُّنـاً … وكان وسِرُّ اللهِ فيـهِ كنينُ
سقانا من المشْـمُولةِ الماءَ حينما … مدحنـاهُ ماءُ الفيضِ منه مَعِين
بكيتك يا مهدىُّ فقـدُكَ فاجِـعٌ … ورزؤك لا يلفَى علىَّ يهُـونُ
بكيتك لي وخْدِى نشيجٌ وعَبْرَةٌ … بفاسٍ ولي دمْـعٌ عليك سَخينُ
تركتُ يَرَاعى عنـدَه وقـرَاءتِى … وجادت بمجرى دمْعهنَّ شـئونُ
ذكرتُكَ إذْ كنَّـا معًا وشـبابنا … قشيبٌ وإذ منَّا الذوائب جـونُ
وكان يواتينـا الصحابُ فمنهمو … منيرٌ وشـعرٌ عندهمْ وفنـونُ
زمانا نرى الكرْدِىَّ فيـهِ وصالحـا … وبينهما خيـلُ القريضِ صُفونُ
وشيخ بنى العباس من ال مَـرَّح … تتيه به دالٌ لديْك ونـونُ
إذا ما انْبَرَى والبشرُ فى قَسَمَاتِهِ … بإنشادِهِ والسَّـمْتُ منه رزينُ
ولم يكنِ السرَّاجُ عنـا بمَعْزِلٍ … ولا هو عنا باللقـاءِ ضَنينُ
ولا كرَفٌ بَلْه الذين دَعَـاهم … إلى حَسَنٍ مَيْـلٌ لهُ وركـونُ
مضى ابن علىٍّ ذو الذكاءِ ذكاؤه … يشـعُّ به طَرْفٌ لـه وجَبينُ
ألمَّ بهِ الداءُ العضالُ فمَـا وَهَى … له لُبُّه والحـدُّ منـه سنينُ
وكان فَتًى قد كنتَ انتَ تحبُّـهُ … وتكرِمُه والحـقُّ منـه تَصُـونُ
وذلك جيلٌ قد مَضَى وكأنَّنَـا … بدار اغترابٍ والظـلَامُ يرينُ
مضى صنوُكَ الهادِى وقد كنتَ بعدَهُ … عزاءً لنا والحصْنُ منكَ حصينُ
فقد جاءَ هـذا الموتُ فيك يروعُنَا … بكارثةٍ منها الجبَـالُ عهُـونُ
يجاوز افناءَ العشيرةِ فجْعُـهـا … وفيها سـهولُ الصابرينَ حزونُ
على اننى فيهـا وراءَ عمومهـا … خُصِصْتُ ولى قلبٌ عليك حَنُونُ
خصوصيةً تُلْفَى بها قد تركتَنِى … وحيـداً فيا للدَّهر كيفَ يخُـونُ
خَلَفْتَ اخى لمـا اخى مات وانتحت … من الدهـرِ ابكارٌ إلىَّ وعـونُ
صروفُ زمانٍ فادحـاتٌ نِصَالُهـا … طوالٌ ذؤاباتٌ لهـا وقـرُونُ
ولولاك لم ابصرْ سـمرقَنْدَ إننى … برؤيتهَا حقاً إليكَ مَـدِينُ
صديقى صديقَ العمْرِ من اول الصِّبا … إلى أن اتى عصرُ المشيبِ يحينُ
ذكرتك إذ دارى بفـاسٍ بعيدةٌ … وها أنْتَ ذَا تحتَ الترابِ دفينُ
وها انذا ابكي عليـك بحـرقةٍ … وملء فؤَادِى رنَّـة وأنينُ
فهل تسمَعَنْ صوْتى فيـاربُّ لوعَـةٍ … وددت بهَا لو استطيع امينُ
عليك من المولى سـلامٌ ورحمةٌ … وأنتَ بفردوسِ الجِنـان قَمِينُ

تفسير الأسماء

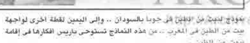
شيخنا الفقيه عبد الله النقر بن احمد بن جلال الدين المجذوب عم والد الفقيد ، رحمهم الله اجمعين ، توفى سنة ١٩٣٥ . منير هو الاستاذ منير صالح عبد القادر الأديب الشاعر حفظه الله وكان للفقيد رحمه الله صديقا أثيرا. الكردى وصالح هما الشاعران عبد الله حسن كردى وصالح عبد القادر والد الأستاذ منير وكانا رحمهما الله يتساجلان بالشعر ونسمعه منهما قبل نشره ، كان ذلك سنة ١٩٤٠ م. وشيخ بنى العباس الخ هو الشاعر المشهور محمد سعيد العباسي رحمه الله . ومرّح بتشديد الراء اختصار اسم الجزيرة ام الرحي التى بها قبر جده الشيخ الطيب بن البشير الولى الصالح رحمه الله . السراج هو الطيب السراج اللغوى الأديب الشاعر توفى سنة ١٩٦٣ قتيلا فى داره رحمه الله ، وكرف بفتح الكاف والراء هو الأستاذ الأديب الشاعر محمد عبد القادر كرف حفظه الله ، وحسن هو الأستاذ حسن بدرى رحمه الله كانت له مكتبة معروفة المكان بام درمان يجتمع عندها الادباء ويتساجلون استائر باكثرهم الحمام رحمه الله عليهم ، وابن علي ذو الذكاء هو الأستاذ الشاعر الأديب المحاضر محمد محمد على رحمه الله والهادى هو فضيلة الأستاذ القاضى محمد الهادى شقيق الفقيد رحمة الله عليهما رحمة واسعة .

(١) الخنذيذ : العظيم

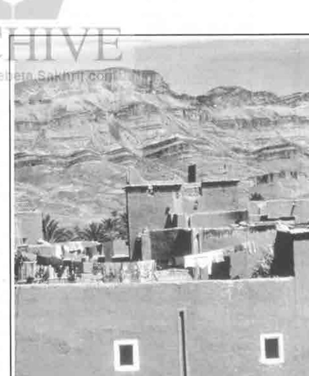
أغرب حدث معماري
في مركز بومبيدو الفرنسي

بيوت من طين في باريس

بقلم: نهى سمارة



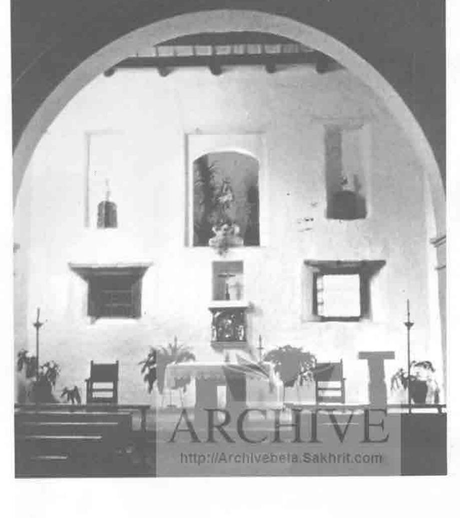
نموذج لبيت من الطين في جوبا بالسودان .. وإلى اليمين لقطة اخرى لواجهة بيت من الطين في المغرب .. من هذه النماذج تستوحى باريس افكارها فى إقامة بيوت من الطين .



إنهم يعودون للقديم لحل المشاكل المستعصية في المدن العصرية .. فمن منا يتصور أن تتجه اليوم مجموعة من مهندسى العالم إلى البيوت الطينية ليخرجوا من ازمة المساكن التى صنعتها البيوت الحديثة الشاهقة المشيدة بالحديد والأسمنت .. ومن منا يتصور ان يعكف خبراء المعمار فى باريس على دراسة نظريات مهندس عربى صمم قرية من الطين فى الاربعينات .. وإذا كنتم لا تصدقوا هذا الحدث الغريب فاننا نحملكم معنا إلى باريس لتعيشوا هذا الواقع الحى فى مركز بومبيدو ولتتعرفوا على الدعوة التى وجهها مهندس فرنسى لكافة رجال المعمار حتى يشتركوا فى بناء مدينة من الطين فى فرنسا !

فى مدينة مالى بافريقيا ، يمكنك مشاهدة هذا النموذج من البيوت الطينية .. واللقطة الاخرى للبيوت اليمنية ذات الأشكال الهندسية الجميلة والتى لا تصدق انها مشيدة من الطين

بيوت من طين في باريس



صالة فسيحة فى بيت من الطين ، يتمتع اصحابه بالراحة الكاملة والذوق الجميل

لان باريس عاشقة للتاريخ ، تعرف كيف تستقى منه رؤى للحاضر والمستقبل ، اقامت معرضاً فى مركز بومبيدو للمعمار الطينى ، حيث شاهد المتفرج واجهات بيوت طينية موضحة بالصور والحقائق ، وبافلام وثائقية ومحاضرات متعددة ، كلها تظهر اهمية العودة إلى المعمار الطيني كوسيلة سكن عصرية قادرة ضمن مفاهيم المعمار الحديث على اعطاء الرفاهية ، والاقتراب من المفاهيم الجمالية لكل شعب من الشعوب ..

بيوت الزمن القديم

وقد عرف المعمار الطينى منذ عشر الاف سنة ، فالطين هو اقرب مادة الى الانسان وهو وسيلة النحت الأولى الذى عبر فيها الانسان عن اشكال فى مخيلته .

ومازال المعمار الطينى سكنا وسقفا لثلث الكرة الارضية ، وهو اليوم يطرح من جديد كحل لازمة السكن القادمة بسبب ارتفاع مواد البناء من اسمنت وحديد وطاقة .

فالحقائق تقول انه بعد عشرين سنة يحتاج العالم إلى ٥٠٠ مليون سكن ، والسكن المستقبلي ليس المتميز بالسقف التراثي الذى عرفه الأجداد منذ الاف السنين ، وعرفته خاصة الحضارات الشرقية المنبثقة من ارضنا العربية .

وقد عرفت المنطقة العربية هذا الفن المعماري أول ما عرفته فى سور بابل ، الذى بني من الطين فى القرن السابع قبل الميلاد ، وكان يضاهى فى ارتفاعه ضعفى مركز بومبيدو الحالى فى باريس !

كما عرف فى الاردن فى مدينة جرش ، وتعتبر من اقدم مدن التاريخ التى بنيت من الطين ، ومازالت اثارها قائمة حتى اليوم مكافحة العوامل الطبيعية ومستمرة بامتداد الزمن .. كذلك عرفته صحراء اليمن فى تطور هندسى من المعمار الطينى مازال المهندسون العصريون مندهشين بجمالياته وصلابته الممتدة مع الزمن !

الصلابة والاستمرار

وفى فرنسا لا يوجد قانون يمنع بناء مبنى من ستة طوابق من مادة الطين ، فبيوت الطين لم تعد تاريخا وتراثا ، وإنما مساكن مجهزة بأحدث التجهيزات فى المدن النموذجية بالغرب !

وقد صرح « جون ديتير » المهندس المعمارى الذى جهز ـ عامين ـ لمعرض مركز بومبيدو فى مؤتمر صحفى :

« ليس نزوة الحنين الى الماضى الذى دعانا لاحياء تراث الطين المعمارى ، إنما لزمة الطاقة وارتفاعها واثرها على جوانب حياتنا ، وارتفاع اسعار الاسمنت والحديد ،

بيت شرقي في اوربا ، او بيت اوربي في الصحراء ، ففي بلاد عربية يفرض واقع المناخ الحار المحلي طراز البيت ، فالبيت العربي المتأمرك (حسب رأى حسن فتحى) بدلا ان يتوجه بانفتاحه نحو فناء الدار ، مستودع الهواء العليل ، يواجه الشارع العام بغباره وفحيحه ولهيب حرارة الصيف فالجدران والواجهات الزجاجية في الصحراء الملتهبة بامكانها ان تجذب الاشعة ما فوق البنفسجية ، مثل اشعة الشمس !

وقد شدد حسن فتحى كثيراً على سقف الدار كرمز للسماء في البيت العربي ، وقال بان السبب هو ان البدوى معتاد على امتداد السماء في الصحراء . بالاضافة إلى ان تكلفة الطين كسكن محدود وبقدرة الفلاح نفسه ان يبني سكنه ويأخذ مكانه تحت هذه الشمس .. وخاصة أن مادة الاسمنت والحديد باهظة الثمن وبعيدة عن قدرات الفلاح المصرى المادية !

دعوة للمهندسين

إن فرنسا لم تنس نفسها في هذا المعرض فقد قدمت « كوانترو » الفرنسي الذى ولد سنة ١٧٤٠ في ليون والذى بنى قصورا وكنائس من الطين بالقرب من مدينة ليون !

وقد دعا منظم معرض المعمار الطينى «جون ديتير» كل مهندسي العالم العصريين إلى المشاركة لتنفيذ بلدة في فرنسا تدعى « ليل دابو » ، وهى في بالمساكن الطينية واقامة قرية نموذجية فيها كل إمكانيات الرفاهية والحداثة والمجالات المطلوبة لسكن هذا العصر .. وسيتم انتهاء هذه القرية سنة ١٩٨٣ !

ورغم ان السكن هو الحق الشرعى للانسان الذى يعيش تحت الشمس فان تكاليفه تكبر لدرجة انه أصبح بعيداً عن متناول الكثيرين في العالم ، واحصاءات اليونسكو تقول ان ثمانية الاف مليون انسان في العالم الثالث معرض للموت المبكر بسبب الاوضاع السيئة التى يعيشون فيها !

والمعمار الطينى ربما يكون هو الحل الأمثل لتلك الملايين التى تحلم بالحياة تحت سقف يظل حياتها بالسعادة والراحة والاطمئنان !

نهى سمارة



عملية بناء بيت من الطين في ريف الجزائر .. ومن فكرة هذا البيت يستوحي العالم اليوم الحل الأمثل لمشكلة أزمة المساكن

هذا كله جعلنا كمهندسين معماريين نشحذ اذهاننا لا يجاد ثورة في التقنيات المعمارية ، ولم يكن السلف إلا اكثرنا حكمة ، فهو الذى يحمل المفتاح بيده ، لانه أوجد السكن الطينى الذى عرفه بعد سكن الكهوف ، ووجد فيه مادة طيعة قادرة على التكيف مع حرارة جسد الانسان ، فهو يعزل الحرارة كما يخفف البرودة ، ويبعدنا عن كلفة الطاقة وادوات التهوية والتدفئة .. وإن إعداده لا يحتاج الا لقوالب بسيطة تجف بواسطة الهواء والشمس ، وهو يحمل في مادته صلابة البقاء والاستمرار كما تحمله منازل الاسمنت والحديد » !

نظريات مهندس عربي

وقد عرفت الحضارات الاسلامية المعمار الطيني في مساجدها وجوامعها الشاهقة ، وفي مساكنها ، واستعملته ايضا كالاسوار الدفاعية .. وقد استعملها على سبيل المثال هانيبال . والتاريخ يقول ان هانيبال استعمله في حروبه كسدود ومخازن لاسلحته !

ولعل حسن فتحى ، المهندس المعمارى المصرى هو اول من حمل صرخاته في هذا العصر ، كان ذلك سنة ١٩٤٠ ، ثم صمم مدينة الجرنة الجديدة في وادى الاقصر ، ودعا الفلاحين لبناء مساكنهم والاقتراب من واقع حياتهم في التعايش مع مادة الطين كسكن وقد اتسعت هذه القرية النموذجية لالف عائلة !

وقد أفرد مركز بومبيدو مساحة واسعة لانتاج حسن فتحى ونظرياته التى اصبحت معاهد هندسية في الغرب تتبعها وتدرسها كنهج هندسي متكامل البناء !

وحسن فتحى الذى مازال حيا ويعيش في بلاده مصر كان من دعاة العودة إلى الجذور والتراث كسكن ، فليس من المعقول تشييد





لقطتان من حفل افتتاح الاسبوع الفلسطيني فى الدوحة .. الاولى لسعادة عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام يفتتح الاسبوع .. والثانية لسعادته وهو يستمع لحديث يسن الشريف

على هامش الأسبوع الفلسطيني

عندما تنعكس آلام الوطن في الفن والثقافة

بقلم : نبيل خالد الأغا

على مدى اسبوع كامل تفاعلت الدوحة مع الاسبوع الثقافى الفلسطيني الذى اقيم لأول مرة فى دولة قطر فى الفترة الواقعة بين ١٠ ، ١٧ من ابريل « نيسان » الماضى .

وقد دعت لاقامة هذا الأسبوع واشرفت عليه إدارة الثقافة والفنون ـ بوزارة الاعلام ـ بالتعاون والتنسيق مع مكتب منظمة التحرير الفلسطينية فى الدوحة .

وعند ساعة الافتتاح بدت باحة فندق رمادا على هيئة لوحة بانورامية خلابة حيث ازدانت بالاعلام القطرية والفلسطينية ، وباللافتات الوطنية التى تعبر عن صدق الاخاء ، وصادق المودة بين الأشقاء العرب .

فى الساعة الرابعة قام سعادة الاستاذ عيسى غانم الكوارى وزير الاعلام بافتتاح فعاليات الاسبوع ، وكان برفقته السيد صلاح خلف (ابو اياد) عضو اللجنة المركزية لحركة التحرير الوطني الفلسطيني « فتح » وقد حضر حفل الافتتاح السيد محمد عبد الرحمن الخليفي وكيل وزارة الاعلام ، والسيد يحيى يخلف الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين ، والسيد ياسين الشريف مدير مكتب منظمة التحرير الفلسطينية بالدوحة ، اضافة الى عدد من السفراء العرب والاجانب وكبار المسئولين وعدد كبير من المواطنين .

وبعد ان قص سعادة الوزير شريط الافتتاح قام بجولة فى معارض الفن التشكيلى ، ورسوم الاطفال ، والكاريكاتير ، والصور الفوتغرافية ، والكتاب والتراث الشعبى « صامد » ومعرض الزهور .

وقد رحب سعادته باقامة الاسبوع ، واشار إلى اهمية توقيت قيامه حيث تزامن مع الوقت الذى اخذت فيه انظار العالم تتجه نحو النضال العادل للفلسطينيين فى الأرض المحتلة الذين ضربوا اروع الأمثلة فى التضحية والصمود ، مؤكدين انهم اشد بأسا من البطش الصهيوني .

واضاف سعادته بان لهذا الأسبوع معنى كبيرا حيث يؤكد ان الشعب الفلسطيني قادر على التمسك بهويته الحضارية والثقافية رغما عن محاولات



مجسم لقبة الصخرة



المناضل فهد القواسمه يتحدث فى الندوة ، وقد ظهر زميلاه الشيخ رجب التميمي ومحمد ملحم



لوحة « الملك لله » للفنان الفلسطيني نبيل عناني

العدو المستمرة لطمس وتشويه هذه الهوية

واكد سعادته بان الحرب بيننا وبين العدو الصهيوني ليست حربا عسكرية فحسب وانما هى حضارية ثقافية يحتم علينا الواجب ان نعمل على حفظ تراثنا ، والوقوف امام حملات التشويه الصهيونية ضد الشعب الفلسطيني ، والشعوب العربية وقد اعرب سعادته عن سروره لما شهده فى المعرض من اعمال تعكس تصميم وارادة الشعب الفلسطيني على استعادة ارضه والدفاع عن حقوقه المشروعة .

واكد من جديد على موقف قطر الثابت من القضية الفلسطينية ، والمتمثل فى مساندة الشعب الفلسطيني لاسترداد حقه وتقرير مصيره ، واقامة دولته المستقلة على ارضه بقيادة منظمة التحرير الفلسطينية ممثله الشرعي والوحيد .

معارض مختلفة

وضم الاسبوع الفلسطيني عـــــدة معارض :

● اشتمل معرض الفن التشكيلي على ستين عملا لاكثر من عشرين فنانا من أعضاء الاتحاد العام للفنانين التشكيليين الفلسطينيين بالكويت وسوريا ولبنان والأرض المحتلة وقطر .

ومن بين هؤلاء الفنانين : توفيق عبد العال ، تيسير شريف ، نبيل عناني ، عماد عبد الوهاب ، سليمان منصور ، امين شموط ، ابراهيم هزيمة ، جمانة الحسيني ، لطفية يوسف ، ياسر ابو سيدو وغيرهم .

كما شارك الفنان العربي المعروف حلمي التوني بعدة لوحات فنية رائعة . ويلاحظ ان معظم اللوحات يغلب عليهــــا طابع « القرية الفلسطينية » التي اتخذها فنانو الأرض المحتلة شعارا لاعمالهم خلال العام الماضي بعد ان اتخذوا « ارض فلسطين » شعارا لأعمالهم فى عام ١٩٨٠ ، وستكون « القدس » شعارا لاعمالهم فى العام الحالي

● واحتوى معرض رسوم الأطفال على ٢٤ لوحة من اللوحات التى شاركت فى مسابقة « فلسطين » التى اقيمت فى دولة قطر مؤخرا وشارك فيها أكثر من ٣٠٠ طفل عربى .

● اما بالنسبة لفن الكاريكاتير ورسومه فقد اقتصر العرض على ٢٣ لوحة ابدعتها يد الفنـــان الموهوب ناجى العلى ، الــذى استطاع ان يترجم بخطوطه ورسومه كل همومنا ومعاناتنا القومية .

● أما التصوير الفوتغرافى فقد اشرفت

















الشاعرة مي صايغ — الشاعر سعيد تيم — الشاعر مريد البرغوثي

الشاعر امجد ناصر — الاستاذ غالب هلسا — المناضل مهدي بسيسو

الدكتورة رضوى عاشور — الاستاذ مصطفى ابو علي

جانب من المدعوين فى الأمسية الشعرية

بعض المشاركين فى فعاليات الأسبوع الثقافي الفلسطيني

عليه دائرة الاعلام الموحد بمنظمة التحرير الفلسطينية ، واشتمل على عشرات الصور الفوتغرافية الحية التى تمثل قسوة حياة المعتقلين الفلسطينيين فى سجون الاحتلال ، وانتفاضة الشعب الفلسطيني ، وآثار الغارات الصهيونية على بيروت والمخيمات الفلسطينية بلبنان .

● وبالنسبة للتراث الشعبى ، فقد اشتمل المعرض على انماط عديدة من الأزياء الشعبية الفلسطينية ، ولوحات نحاسية وخشبية ، ومعدنية ، ومجسمات لمدينة القدس مصنوعة من الخزف ، وبعض اعمال التريكو والسجاد اليدوي ولعب الاطفال ، وجميع هذه المصنوعات من انتاج مؤسسة « صامد » التى تملك حوالى اربعين مصنعاً ومشغلا فى لبنان . ويزيد عدد العاملين والعاملات بها عن خمسة الاف فرد . وقد حققت هذه المؤسسة الوطنية انجازات كبيرة على المستويين العربى والدولى .

● وفى معرض الزهور رأينا عدة اشكال فنية جذابة من الزهور الطبيعية والصناعية ، وبعض الأشغال اليدوية ، وقام بالاشراف عليه الاتحاد العام للمرأة الفلسطينية بالدوحة .

وهذا بخلاف العروض الفنية الرائعة التى اقيمت على مسرح سينما الخليج ، حيث قدمت فرقة « العاشقين » (١٥ عضوا) ملحمة غنائية مطولة عن الشهيد عز الدين القسام ، بينما قدمت فرقة « بيت ابناء الصمود » (٣١ عضوا) مجموعة رقصات ودبكات شعبيةفلسطينية ، وبعض الاغانى والمواويل الوطنية ، وبالنسبة لفرقة موسيقى الأشبال فقد كانت تؤدى معزوفاتها فى اغلب اوقات الفعاليات المختلفة ، واقامت عدة حفلات فى منتزهى « الدوحة » و « الخور » .

أمسية شعرية

وفى اليوم الثانى من اسبوع العطاء الفلسطيني كان اللقاء الممتع مع الشعراء الأربعة : مي صائغ ، ومريد البرغوثي ، امجد ناصر ، وسعيد تيم .

وقد احتشد جمهور كبير من المتلقين للاستمتاع بهذه الأمسية ، وبكلمة رقيقة موجزة قدم الاستاذ موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون شعراء الأمسية ، وكانت البداية بالشاعر مريد البرغوتي استهل قصائده قائلا : فى هذا الكون كواكب .. فى الكواكب أرض .. فى الأرض قارات .. فى القارات اسيا .. فى اسيا بلاد .. فى البلاد فلسطين .. فى فلسطين مدن .. فى المدن شوارع .. فى الشوارع مظاهرة .. فى المظاهرة شاب فى صدره قلب .. فى قلبه رصاصة .

ثم القى الشاعر امجد ناصر قصيدة بعنوان « انتصار الحق » حيا فيها نضال شعبنا الفلسطيني فى الوطن المحتل ، ووقفته الجبارة امام الغزاة المحتلين .

ثم القت الشاعرة الفلسطينية الموهوبة مي صايغ قصيدتين رائعتين ، لنسمعها تقول فى نهاية قصيدتها « ماء البحر لم ينضب » :

تعالوا فى شراييني
لأزرع الف اغنية
واوقظ الف امنية
واكتب فوق جدران الهواء الزرق اشعاري
واطلقها باجنحة الحساسين
تعالوا فى شراييني
لأرحل عن رصيف دمي
وعن لسع القرنفل فوق أسِرّة الجرحى
وعن وجع اقتلاع الروح من جسدي
وعن موت الرياحين

تعالوا فى شراييني
ليأتى البحـــر
تأتى غابة الكينا
لأولد مرة أخرى
لأنجب مرج اطفال
واحيا مرة فى العمر
اقطف نجمة زرقاء
احرق عند خطوتكم قرابيني .

وكان ختام مهرجان الشعر قصيدة لاهبة القاها الشاعر المبدع سعيد تيم جاء فيها :

زمن الرداءة ان جرحي غـــائر
لكانما محياي فيك عقـــــاب
لكانما الأمواج تهجـر شـــطها
وتند عن اماقها الأهـــــداب
لكانما الأشجار تترك جـــذرها
من اهلهـــا تتبرأ الانســـــاب
فمن المحيط الى الخليج قبـــائل
تغزى فلا عـــرب ولا اعـــراب
يارب انت العـــدل هـل تلج
الشموس بيوتنا ، وبيوتنا سرداب
يارب هـــل حق يـــرد لعـــالم
ما للضـــعاف بعـــربه أثـــواب

الرواية الفلسطينية

وفى اطار فعاليات الاسبوع الثقافى القت الدكتورة رضوى عاشور استاذة الأدب الانجليزى بجامعة عين شمس محاضرة بعنوان « اتجاهات فى الروايـــة الفلسطينية » . واستهلت محاضرتها بالحديث عن رواية « رجال فى الشمس » للاديب الفلسطيني غسان كنفاني والتى صدرت عام ١٩٦٣ م ، وقد اعتبرت الدكتورة رضوى هذه الرواية « اول انجاز فلسطيني هام فى مجال الرواية » ، وقارنت بينها وبين رواية كنفاني الثانية « ما تبقى لكم » .

وقالت بان الانتاج الروائى الفلسطيني كان مختلفا عن الانتاج الشعري فى مواكبته الواقع التاريخي ومتطلباته السياسية ، ففى حين ازدهرت القصيدة الفلسطينية فى الثلاثينات والأربعينـات معبرة عن الواقع النضالى فى الرواية الفلسطينية بقيت حضورا خافتا الى حد الغياب تقريبا .

وفى معرض بحثها عن السبب فى عدم وصول الرواية الفلسطينية الى الجماهير قالت المحاضرة : ربما لأن الشاعر الفلسطيني كان يرتكز الى تراث شعري عربي تليد وهو ما كان يفتقده الروائى الفلسطيني .

وقالت الدكتورة رضوى : ان الستينات قد قدمت الى جانب الشعراء الفلسطينيين الذين ظهروا فى الخمسينات كمعين بسيسو ويوسف الخطيب شعراء الأرض المحتلة كمحمود درويش وسميح القاسم ، اما فى مجال الرواية فلم تكرس الستينات الا روائيا فلسطينيا واحدا هو غسان كنفاني ، وكان لجبرا ابراهيم جبرا روايتان باللغة الانجليزية هما « صراخ فى ليل طويل ١٩٤٦ » و « صيادون فى شارع ضيق ١٩٦٠ » ويدخل الكاتب الفلسطيني الى السبعينات ويتصالح جبرا مع اللغة العربية ويبدأ فى الكتابة بها ، ويطرح المناضل اميل حبيبي ـ الذى يعيش فى فلسطين المحتلة منذ عام ٤٨ ـ نفسه كروائى فيصدر مجموعة قصصية أولا ثم رواية « الوقائع الغريبة فى اختفاء سعيد ابى النحس » .

ثم يظهر جيل جـــديد من الروائيين الفلسطينيين المتقاربين فى العمر والتجربة ومنهم : يحيى يخلف ، وسحر خليفة ، وليانا بدر ، وتوفيق فياض .

واختتمت الدكتورة رضوى عاشور محاضرتها القيمة موضحة ان الرواية الفلسطينية فى مرحلة تأسيس وبناء كادب وطنى يتابع المشهد الفلسطينى فى تعقيداته ومتغيراته ، ويجسد التجربة المشتركة ، والروائيون الفلسطينيون تماما كالشعراء والفنانيين التشكيليين يدخلون معركة على جبهة واحدة من اجل تثبيت الذات الجماعية التى اصيبت بنكبات ونكسات متعددة .

النضال فى الأرض المحتلة

تميز اليوم الرابع من الأسبوع الثقافى الفلسطيني بتحوله الى تظاهرة تأييد لمواطني الأرض المحتلة خاصة بعد جريمة اطلاق الرصاص على المصلين فى المسجد الاقصى المبارك .

فقد توافد مئات الأشخاص الى قاعة الاحتفالات بفندق رامادا للاستماع الى ندوة المناضلين الثلاثة الذين ابعدتهم السلطات الاسرائيلية عن « أوجه النضال فى الأرض المحتلة » .

فى البداية تحدث السيد فهد القواسمة رئيس بلدية الخليل فشرح محاولات عودته وزميليه فقال : لقد عملنا كل ما نستطيع عمله من اجل عودتنا الى مدننا واهلنا ليس لأن العيش هناك ارحب واهنأ ، بل لأننا لا نقبل بديلا عن الوطن ، ولقد حصلنا على ثلاثة قرارات من الأمم المتحدة لاجل عودتنا ولكننا لم نتمكن،وتساءل السيد القواسمة بدهشة : كيف يعقل ان تتم عودة شعب بكامله ، والصهاينة يرفضون اعادة ثلاثة اشخاص فقط ؟

واشار الى ان القضية الفلسطينية قد حصلت على ٤٥٠ قرارا حتى الآن لصالحها ولكنها كانت تفتقر الى اهم قرار وهو قرار القتال من اجل التحرير والعودة ، ويجب على الأمة العربية ان تدرك بأن تحرير فلسطين لا يمر عبر الأمم المتحدة ، انما يتحقق بشرعية البندقية والصاروخ .

ثم تحدث السيد محمد ملحم رئيس بلدية حلحول ، وضرب بعض الأمثلة عن معاناة الشعب الفلسطيني تحت نير الاحتلال ، وقدم تحليلا موضوعيا لابعاد الانتفاضة فى الأرض المحتلة ، وقال بأنها تعتبر نقطة تحول وبداية عصيان مدنى ، واشار الى ان سكان الجليل والمثلث قد تضامنوا مع اخوانهم سكان الضفة الغربية وقطاع غزة ، واعتبر أن وجود بيجن وشارون وايتان وميلسون فى الحكم هو اكبر سند للفلسطينيين كي يفضـــحوا الاحتلال الصهيوني ويعروه امام العالم ، وتمنى السيد ملحم فى نهاية كلمته ان يكون اضراب يوم الأربعاء الذى تم فى العالم الاسلامى بداية ايجابية لمتغيرات حقيقية يمكن ان تساهم فى تحويل حجر الطفل الفلسطيني إلى صاروخ ، ونادى لذلك بايقاف الحرب العراقية الايرانية وتوجيه كل الجهود والبنادق لمواجهة العدو الصهيوني الشرس .

وكان اخر المتحدثين فى الندوة فضيلة الشيخ رجب التميمي القاضي الشرعي لمدينةالخليل فوجه اروع التحايا لشهداء المسجد الأقصى ولكل الشهداء الذين قضوا فى سبيل فلســطين والاسلام ، واتهم سلطات الاحتلال بتدبير حادث المسجد الأقصى ، وقال ان بيجن وعصابته يعملون ضمن مخطط مدروس للقضاء على المقدسات الاسلامية وابتلاع ارض السلام

واشار الى حوادث الاعتداء على الحرم الابراهيمي فى مدينة الخليل ، وقال بأن اليهود قد احتلوا جميع اجزائه ليقيموا





△ فرقة موسيقى الاشبال تعزف الحانها في منتزه الدوحة

▷ فرقة العاشقين تؤدي رقصة الدبكة

عندما تنعكس آلام الوطن في الفن والثقافة

صلواتهم فيه ، ولم يبق للمسلمين اليوم سوى خمسة امتار فقط من مساحة المسجد الكبيرة .

وأكد الشيخ التميمي (٧٢ عاماً) ان المسجد الاقصى هو فلسطين ، لأن الله سبحانه وتعالى حينما اسرى بعبده الى هذا المسجد بارك فيما حوله (اي فلسطين) ولذلك فان التفريط باى شبر فلسطيني هو تفريط بالأقصى ، وخيانة لله ولرسوله وللمؤمنين .

تجربة أسير

وضمن فعاليات الاسبوع الثقافي القى المناضل مهدي بسيسو عضو المجلس الثوري لحركة « فتح » محاضرة شيقة عن تجربته كاسير فى سجون الاحتلال الصهيوني لمدة تزيد عن التسع سنوات .

بدأ محاضرته بالقول بأنه لا يريد أن يتحدث عن الالام الجسدية فى معاناته كاسير وهى نموذج لحالات الاف الاسرى الفلسطينيين فى السجون الصهيونية . لكنه طالب باستمرار الدعم والمساندة لهؤلاء الابطال الذين يعيشون فى اقسى ظروف الاعتقال ، وانه لا يملك القدرة اللغوية للتعبير عن قسوة تلك الحياة .

وشرح المحاضر كيفية اعتقاله عام ١٩٧٠ حيث كان على رأس مجموعة فدائية من سبعة اشخاص مخرت عباب البحر المتوسط على ظهر زورق صيد صغير متجهة إلى فلسطين المحتلة .

ورغم ان المدة المقررة للوصول كانت يوماً واحداً الا انها امتدت ثلاثة ايام بسبب عطل اصاب الغادم ، ولكن تم الوصول إلى الشاطىء الفلسطيني المحتل عند الشروق حيث تمكنت دوريات العدو من كشف المجموعة ، « فحوصرنا بقوات بحرية وجوية ، ولم نجد مفرا من الاستسلام . بعد ان افرغنا كل سلاحنا وذخيرتنا فى قاع البحر ، ثم حملونا معصوبى الاعين مصفدى الايدى والاقدام » .

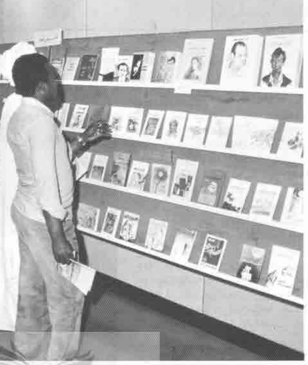
واوضح المناضل بسيسو ان التحقيق معه استمر ثلاثة اشهر تحت التعذيب الرهيب ، وقد شاهد فى الزنازين الضيقة الجدران الملطخة بالدماء اسماء المعتقلين السابقين ، واشار الى انه تنقل فى كل المعتقلات الاسرائيلية تقريبا ، وان العدو كان يباشر التحقيق مع المعتقلين ضمن خطة علمية مدروسة ومحكمة .

واشار الى ان العدو كان يهدف من وراء كل هذه المضايقات الى تحويل الفدائي الأسير الى عميل او الى انسان مفرغ من محتواه الوطني عبر مخطط نفسي رهيب يشيع فيه اليأس ، هذا عدا عن اسلوب التصفية الجسدية .

ونظرا لسوء المعاملة فى السجون الإسرائيلية فقد اضطر المعتقلون العرب مرات كثيرة الى الاضراب عن الطعام مما اجبر العدو على الاستجابة لبعض طلباتهم البسيطة .

الجوانب المشرقة

ثم تطرق المناضل مهدي بسيسو للحديث عن الجوانب المشرقة فى تجربة الاعتقال فقال : إن اهم ما كان يميز تجربتنا هو اعتقادنا اننا نشكل فى السجون الاسرائيلية احتياطا اضافيا لرفد الثورة الفلسطينية بعد خروجنا من السجن ، وارجو ان لا يتصور احد اننا كنا نعيش فى سجوننا فى حالة خوف ، بل ان تجربتنا افادتنا كثيرا فى التعرف على عدونا



△ متفرجون امام معرض الصور الفوتغرافية

▷ جانب من معرض الكتب الفلسطينية

الصهيوني عن قرب ، وقد اكتشفنا كم هو مذعور وجبان .

واشار الى ان المعتقلين كانوا يشتركون فى انتخابات سرية ديمقراطية لاختيار الخلايا والقيادات التى تجمع المعتقلين ، وكانت هناك قيادة موحدة تنظم حركة الاضرابات ، ونشر الاخبار والمعلومات الجديدة ، وتعبئة المعتقلين ثوريا .

وفى ختام محاضرته المثيرة اكد مهدي بسيسو على ان تجربة الاعتقال علمته ان العدو لا يفهم سوى لغة القوة ، وان الفلسطيني ما دام يمتلك الايمان بالله وبعدالة قضيته فلن ييأس ابدا وسينتصر على اعدائه باذن الله .

تقييم العرس الفلسطيني

هذا ما سمح به الحيز المكاني والزماني لعرض فعاليات الأسبوع الثقافي ، وهناك فعاليات اخرى لا يتسع المجال لعرضها ، مثل الندوة التى احياها المخرج الفلسطيني المعروف مصطفى ابو علي عن « القضية الفلسطينية فى السينما العربية » ، ولعلنا نعود لها فى مقالة مستقلة .

كذلك وقائع المؤتمر الصحفى الذى عقده السيد يحيى يخلف الأمين العام لاتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين حول الأسبوع الثقافى الفلسطيني فى الدوحة ، والذى وجه فيه الشكر والتقدير لدولة قطر على استضافتها لهذا العرس الفلسطيني .

ولقد كان مقررا أن تكون خاتمة الأسبوع الثقافى امسية شعرية يحييها الشاعر الكبير محمود درويش ، ولكنه اعتذر عن الحضور الى الدوحة فى اللحظات الاخيرة نظرا لتطورات الأوضاع الامنية فى بيروت

وعن تقييمه لفعاليات الأسبوع الثقافى الفلسطيني قال لى الاستاذ موسى زينل مدير ادارة الثقافة والفنون : ان الاسبوع الثقافى الفلسطيني يختلف - ويجب ان يختلف - عن اى اسابيع ثقافية اخرى ، لأن القضية الفلسطينية يجب أن تطرح نفسها من خلال كل فقرة او نشاط او اية فعالية أخرى .

وفى اعتقادى ان الأسبوع الفلسطيني قد حقق نجاحا باهرا ، بل انه كان من انجح الاسابيع الثقافية التى شهدتها دولة قطر .

والذى ساعد على هذا النجاح ان توقيت اقامته قد تزامن مع الانتفاضة الفلسطينية فى الاراضي المحتلة .

... هذا وقد حضرت إلى قطر لمشاهدة فعاليات الأسبوع وجوه فلسطينية عديدة منها : ياسر عبد ربه ، الدكتور حنا ناصر ، اسماعيل شموط ، ناهض الريس ، غازي عبد القادر الحسيني ، عبد العزيز السيد احمد ، زياد عبد الفتاح ، صلاح التعمري ، محمد ابو ميزر ، وليد ابو بكر ، صبحى ابو كرش ، نبيل عمرو ، ناجي العلي ، محمد الظاهر ، أمين مصطفى ليانا بدر ، اسماء الجراح ، هند جوهرية .

كما حضرت جميع فعاليات الأسبوع الثقافى الشريفة دينا عبد الحميد استاذة الأدب الانجليزي فى جامعة القاهرة سابقا

واخيرا .. « فبهذا الاسبوع الثقافى الحافل اكتسبت العلاقات الفلسطينية القطرية بعدا انسانيا جديدا ، لأن الأسبوع فى جوهره يمثل حرصا مشتركا على رعاية « الامل الفلسطيني » الذى استضافت دولة قطر قافلته الفنية والأدبية والفكرية خلال مسيرته الحضارية التى تغذ السير قدما لتدق ابواب النصر .

وبرغم كل اهوال خصوصية الوضع الفلسطيني فسيظل العطاء الفلسطيني قومي التوجه ، مرصود الانارة الى طريق الوحدة العربية » . .

نبيل خالد الأغـــا



سيدة مجتمع .. للفنان العالمى انطوان فان ديك

مكتبة الكونجرس أكبر مكتبة في العالم

بقلم : فوزي تادرس



مكتبة الكونجرس التى تضم اهم كنوز المعرفة الانسانية .. وعلى الصفحة المقابلة لقطة للقاعة الكبرى فى المكتبة الشهيرة

- تضم ٢٠ مليون كتاب منها ١٥٠ ألف كتاب عربي
- صورة الفيلسوف الإسلامي "الفارابي" تحتل الصدارة في قاعة المكتبة العالمية

تقع المكتبة فى مواجهة الكونجرس حيث تضم بين جدرانها كنوز المعرفة التى سجلتها خواطر وعبقرية الانسانية .

وتختلف مكتبة الكونجرس فى نشأتها عن المكتبتين العالميتين الآخريتين : المكتبة الوطنية فى فرنسا والمكتبة البريطانية فى انجلترا والتى كان اسمها مكتبة المتحف البريطانى .

يرجع فضل انشاء المكتبة الوطنية الفرنسية إلى الملوك الفرنسيين الاوائل منذ وقت شارلمان الذى حكم من سنة ٧٦٨ إلى سنة ٨٠٠ . واتسعت المكتبة فى عهد لويس الرابع عشر ، والذى حكم من ١٦٤٣ إلى ١٧١٥ . ولقد كانت نواة المكتبة البريطانية هى مجموعة سير هانس سلون الطبيب ، ومجموعة الملك جورج الثانى والذى حكم من سنة ١٧٢٧ ـ ١٧٦٠ ، واضيفت اليها فيما بعد مجموعات جورج الثالث والذى حكم من ١٧٦٠ ـ ١٨٢٠ .





جانب من مبنى المكتبة العالمية التى تضم اعظم المجموعات المكتبية فى الولايات المتحدة الامريكية

وعلى العكس ، فان مكتبة الكونجرس تختلف فى تاريخ نشأتها . فهى تتمتع بتاريخ ديمقراطى .

إنها - كما يذكرنا الاسم - قد بنيت وجمعت مجموعاتها بمجهودات رجــــال الكونجرس والذين كانوا متخصصين فى الدراسات القانونية متمرسين فى النظـر والرجوع فى أعمالهم اليومية إلى الكتب والمراجع لاستقاء القوانين والوقوف على تفسيراتها وتطبيقاتها . لمثل هذا الماضى ، كان منطقيا ان يهتموا ببناء مكتبة للوقوف على القوانين والانظمة الوطنية والعالمية كى يرجعوا اليها . وفى الجانب الآخر ، فان مكتبة الكونجرس قد بناها ممثلو الشعب وواضعو قوانينه وحماة حقوقه من اجل خدمة الشعب ، فلا اقل من أن تكون المكتبة بالتالى ملكا للشعب وليست قاصرة على ممثليه ، وهذا هو وجه الاختلاف فى ظروف نشأتها ووظيفتها حيث يؤمها الناس بغض النظر عن جنسياتهم ، وبدون قيد او شرط او تصريح دخول كما يحدث فى المكتبتين العالميتين الاخريتين .

وتاريخ نشأة مكتبة الكونجرس يعود إلى تكوين أول كونجرس امريكى عام ١٧٨٩ ، إذ تقرر تأسيس مكتبة للرجوع اليها فى حالة إصدار قوانينهم . وكانت تلك هى الانطلاقة الأولى فى تاريخ المكتبة . ولقد قرر الكونجرس ان تقوم بخدمة الحكومة الفيدرالية وفى نفس الوقت تكون مركزا ثقافيا وتاريخيا للدولة الناشئة .

فى عام ١٨٠٠ بدات المكتبة باستيراد ١٥٠ كتابا فى ٧٤٠ مجلدا من انجلترا ، كانت تلك المجموعة تضم الكتب القانونية ، والسياسية ، والاقتصادية ، والتاريخية وبعض الخرائط . مثلما صـــــدر قـــانون جيفرسون - الرئيس السابق للولايات المتحدة والذى يقضى بان مكتبة الكونجرس هى مكتبة الولايات المتحدة ، وان نشاطها فى خدمة أعضاء ولجان الكونجرس ، والى الادارات القانونية وللمكتبات الامريكية والعالمية ، والباحثين ، والعلماء ، والادباء والفنانين وغيرهم .

وفى سنة ١٨١٤ وقعت احداث خطيرة فى الولايات المتحدة ، اذ زحف الانجليز إلى واشنطن ، وقاموا بحرق مبنى الرئاسة ، وحطموا دار الوثائق ، وتركوا مكتبة الكونجرس كوما من الرماد بعد ان ابتلعتها النيران .

ونتيجة لذلك ، قامت المكتبة بشراء المجموعة الخاصة بالرئيس جيفرسون والمكونة من ٦٫٤٨٧ مجلدا نظير مبلـــغ ٢٣٫٦٥٠ دولارا . وهذه المجموعة توصف بانها اعظم المجموعات المكتبية فى الولايات المتحدة .

لقد قضى جيفرسون خمسين عاما من حياته ليجمع مكتبته ، فهى بحق تعكس اهتماماته السياسية ، والفلســـــفية ، والتاريخية . وكان جيفرسون يصنف مجموعته وفقا لتصنيف « فرنسيس بيكون » الذى يحدد ثلاثة انواع من العلوم : الذاكرة - السبب - الخيال ، ولكن جيفرسون طور هذه العلوم الى ٤٤ علما اقام عليها تصنيفا لمجموعته .

كانت هذه هى النواه التى نمت بعد ذلك واصبح رصيد مكتبة الكونجرس ٨٢ مليون قطعة تضم أشكال الأوعية التى تحتوى على الفكر الانسانى ابتداء من البرديات حتى احدث الأوعية . وبنفس هذا الرصيد الى ثلاثين مليون مخطوطة تضم جميع الافكار الادبية والتاريخية والسياسية والعلمية والثقافية ، وبها ستة ملايين قطعة موسيقى من الكلاسيك إلى « الروك اند رول » ، ومليون

اسطوانة من الاغانى الشعبية ، واكثر من مليون فيلم ، وخمسة ملايين ميكروفيلم ، وثلاث عشرة مليون صورة اصلية لاحداث تاريخية وسياسية وشخصيات عالمية وعلمية ، وستة ملايين خريطة واطلس ، وعشرون مليونا من الشكل التقليدى للاوعية وهى الكتب . هذا بالاضافة إلى اوراق ثلاثة وعشرين رئيس سابق للولايات المتحدة .

اما رصيد مكتبة الكونجرس باوعيته المختلفة فهو موجود فى ٤٧٠ لغة مختلفة .

فى قلب العاصمة

هذه المجموعة العظيمة موجودة فى عدة مبان فى قلب العاصمة الامريكية وفى بعض الولايات الاخرى . ويوجد ثلاثة من هذه المبانى فى منطقة واحدة يربط بينهما انفاق تحت الارض .

أقدم هذه المبانى يعتبر علامة مميزة ومركزا ثقافيا وسياحيا يؤمه زوار العاصمة هو مبنى « توماس جيفرسون » . وقد اسس سنة ١٨٩٧ على طراز عصر النهضة الايطالى ، واستغرق بناؤه ثمانى سنوات . غطيت جدران هذا المبنى من الداخل بالرخام الايطالى الابيض وتحتوى قاعاته وممراته على تماثيل مقامه على اعمدة رخامية مرتفعة تمثل اشكال الحضارة المختلفة قام بتصميمها خمسون فنانا . وتقع فى هذا المبنى القاعة الرئيسية للمطالعة والتى يمكن مشاهدتها من شرفة او منصة الزوار ، والتى تنهض على ارتفاع ١٦٠ قدما من قاعة المطالعة المثمنة الشكل . وتشمل قاعة المطالعة على ٦٠٫٠٠٠ مرجع . ويقع فيها جزء من الفهرس العام ، والذى يشمل ٢٥٫٠٠٠٫٠٠٠ بطاقة بالمؤلف والعنوان والموضوع وبطاقات إضافية حسب المداخل المختلفة . وبها مكاتب تتسع لمائتين وعشرين باحثا . وتعتبر هذه القاعة الرئيسية قلب المكتبة إذ انها تتصل بالاقسام الموجودة فى المبنيين الآخرين باجهزة كهربائية وبضغط الهواء حتى تصل الكتب فى دقائق الى الاساتذة والباحثين الذين يطلبونها .

ويقع خلف المبنى الاول ، مبنى « جـــون ادمز » وقد شيد عام ١٩٣٩ . وإلى جانبهما يقع مبنى « جيمس ماديسون » ومساحته تساوى مساحة المبنيين الآخرين وقد استغرق بناؤه عشرين عاما وافتتح سنة ١٩٨٠ . والانفاق الثلاثة التى تربط بين هذه المبانى الثلاثة فى (حركة مرور) دائم

لوحة بالحفر لتصوير فنان لحفل الشاى فى بوسطن وهى ضمن مجموعة بعنـــوان « حرية البلاد » .. ولقطة اخرى لهذا المبنى محاطة بمشعل العلم



مزدحمة بالآلات الميكانيكية والكهربائيـــة وباجهزة الضغط الكهربائية لنقل الكتب منها وإليها . ويتحرك فيها الامناء والقراء بدلا من عبور الشوارع .

المجموعة العربية

والمجموعة العربية بقسم الشرق الأوسط بمكتبة الكونجرس يبلغ عددها ١٥٠ الف مجلة ، قام باختيارها متخصصون فى الدراسات العربية والاسلامية . يشاركهم فى اختيار الكتب العربية متخصصون آخرون فى نفس الميدان ومركز عملهم بالقاهرة حيث يوجد فرع للمكتبة مهمته الأولى شراء المطبوعات العربية التى تصدر فى مصر وفى العالم العربى . يشرف على هذا الفرع متخصص فى الدراسات العربية والاسلامية ويساعده احد اساتذة المكتبات بجامعة القاهرة والذى يعمل مستشارا لمكتبة الكونجرس لمكتبها فى مصر وفى العالم العربى ، يقوم مكتب القاهرة باختيار الكتب العربية ويعدها اعدادا فنيا مبدئيا ويرسلها الى المكتبة الرئيسية فى واشنطن لتتم عملية الاجراءات الفنية الكاملة من فهرسة وتصنيف وطبع بطاقات .

الى جانب عمل مكتب القاهرة ، فان رئيس قسم الشرق الاوسط وهو عالم متخصص فى الدراسات الاسلامية والعربية ، يقوم برحلات سنوية فى انحاء العالم لشراء الكتب النادرة المتعلقة بهذه الدراسات ومن هذه الكتب النادرة مثلا مجموعة الشيخ المنصورى ، احد علماء الازهر الشريف الذين كانوا يهتمون باقتناء الكتب والمخطوطات النادرة وتعتبر مجموعته التى تحتفظ بها المكتبة تحت اسمه ، من اندر المجموعات العربية فى العالم الامريكى .

الى جانب بناء مجموعة عربية متخصصة ، فان قسم الشرق الاوسط يقوم باعداد البرامج الثقافية العربية والاسلامية ودعوة العلماء

المتخصصين من العالم العربي للاشتراك في هذه الندوات . ومن الذين اشتركوا في العام الماضي من العالم العربي الاساتذة الدكاترة ، سهير القلماوي ، لويس عوض ، زكي نجيب محمود ، والشاعر المعروف نزار قباني .

مكتبة خاصة للمعوقين

ولعل اعظم عمل انساني تقوم به مكتبة الكونجرس هو ما تعده للمعوقين . فقد انشات لهم مكتبة خاصة في مبنى رابع خاص يبعد بعض الشيء عن المباني الثلاثة السابق ذكرها . وتتم عملية اختيار الكتب لهذه المكتبة من كتب مشاهير الرجال والعظماء ، ومن الروايات ، ومن الكتب التي احرزت قصب السبق في عدد النسخ المباعة منها . ويبلغ رصيد هذه المكتبة ٢٥٫٠٠٠ عنوان . وفي كل سنة يتم اخراج حوالي ١٫٩٠٠ عنوان لكي تكون جاهزة للاعارة . ويتم تسجيل ٧٠٠ عنوان على اشرطة التسجيلات او على اسطوانات او تنقل بطريقة بريل . ويتم نفس الشيء بالنسبة للمجلات المطلوبة ، وبالنسبة للنوتات الموسيقية . وتقوم المكتبة بارسال هذه الكتب بعد نقلها وفقا لما يحتاجه القاريء المعوق ، ومعه جهاز عرضه او استعماله بدون تكاليف بريد .

وتعتبر ادارة خدمات ابحاث الكونجرس من اهم الادارات الموجودة في المكتبة . ولعل السرعة في العمل وفي الانجاز هي ما يميز هذه الادارة . فلابد من إعداد البحث الذي يطلبه عضو الكونجرس في اقصى سرعة حيث يمكن الاستفادة به اثناء انعقاد الدورة يوجد بهذه الادارة ٥٩٠ باحثا متخصصا في موضوع معين من موضوعات المعرفة الانسانية او في منطقة معينة . ولهذا نجد امام كل باحث جهاز كومبيوتر ليساعده على ضبط الاجابات ولتخزين المعلومات واسترجاعها وللاجابة السريعة بالمعلومات المطلوبة . وهناك فئة محللي البرامج التي يقرها الكونجرس لمتابعة اعمال هذه البرامج ونجاحها او فشلها ، ولذلك يعمل بهذه الادارة المستشارون والقانونيون . ثم تهتم هذه الادارة بتعيين المتخصصين في المخترعات العسكرية والبرامج الصحية والتامينات الاجتماعية ومشاكل الاسكان والتعليم .

اكبر مجموعة قانونية

وتعتبر مكتبة الحقوق اقدم المجموعات بالمكتبة وإن كانت اصغرها قياسا بالمجموعات الاخرى ، وتضم هذه المكتبة اكبر مجموعة قانونية في الولايات المتحدة وفي العالم ، وهي لا تغطي القانون الامريكي ولكنها تضم المراجع والقوانين العالمية المختلفة والعاملون بها حقوقيون من انحاء العالم ، كل حسب المنطقة التي يغطيها ، ويشترط ان يكون حاصلا على درجة قانونية من هذه المنطقة الى جانب شهادة الحقوق الأمريكية ليستطيع الالمام بالقانون المقارن .

ولكي يكون متمكنا من الاجابة على اسئلة رجال الكونجرس ، واعضاء المحاكم ، ورجال القانون الذين يستعينون بمعرفة الاوضاع والقوانين المختلفة لحل مشاكل المهاجرين الذين يعيشون هناك . هذا بالاضافة إلى ان هذه المكتبة تمد اعضاء الكونجرس بالمعلومات والقوانين الخاصة بالبلدان المختلفة والتي يقيمون معها معاهدات صداقة او علاقات اقتصادية وتجارية وسياسية .

مصدر هام لكتابة التاريخ

وإدارة الصور تأسست سنة ١٨٩٩ بعد ان ايقنت المكتبة منذ السنوات الاولى اهمية علاقة الصور التي يلتقطها الفنانون ورجال الصحافة ، ويبلغ عدد رصيد المكتبة من هذه الصور ثلاث عشرة مليون صورة مختلفة من كاريكاتير سياسي ، إلى صور نادرة من افريقيا وسيبيريا وصور الحرب اليابانية الروسية ، وبها مجموعة نادرة من صور العمارة الأمريكية . لقد اصبحت هذه الادارة مصدرا لكتابة التاريخ والاقتصاد ، وبخاصة في فترة انهيار الاقتصاد الامريكي في الثلاثينات حيث امدت هذه الادارة المؤلفين ، والناشرين ، ورجال التليفزيون ، والكتاب ، والادباء بفيض هائل من المعلومات ، مثلما امدت رجال التاريخ ، ومصممي اغلفة الكتب ، بما يدعم نصوص اعمالهم التي يكتبونها . ومن جهة اخرى فان هذه الادارة ، تحفظ من خلال ما تملكه ، قصة نجاح الامريكيين وفشلهم واحتياجاتهم واحساساتهم بالحياة اليومية ولذلك فانه الى جانب الكلمة المكتوبة .. كانت هذه الصور ، مصدرا ثريا بصور الحياة الامريكية في سنوات اكتشافها الاول .

الفنون الشعبية والموسيقى

في عام ١٩٢٨ انشات مكتبة الكونجرس مركز ارشيف للاغاني الشعبية ، وقد عمل فيه مشاهير المهتمين بالفنون الشعبية على رأسهم « آلان لوماكس » و « روبرت جوردان » لقد طاف هذان الفنانان وغيرهما بالمدن القديمة ، والأحياء الشعبية ، والسجون ، وكهوف الجبال ، والوديان ، وجمعوا منها الاغاني الشعبية ، وقام معمل التسجيل

قرن أجوف كان يتخذ لوضع البارود بداخله .. وهو ضمن محتويات المكتبة





لوحة نادرة تمثل إحدى المعارك الحربية... وهى ضمن المجموعات الفنية فى المكتبة

الخاص بالمكتبة بتسجيل هذه الاغانى واعدادها فنيا .

وفى سنة ١٩٧٨ اصدر الرئيس فورد قرار بانشاء مركز التراث الشعبى الامريكى بالمكتبة . ومهمة هذا المركز نشر وجمع التراث الشعبى ، ومواد الثقافة الشعبية . ويعمل به متخصصون فى التراث الامريكى الشعبى . ويقدم هذا المركز حفلات وعروضا شعبية فنية من موسيقى وعرض أزياء . ويتعاون هذا المركز مع مركز ارشيف الاغانى .

اما عن اهتمام المكتبة بنشر الوعى الموسيقى ، فقد شجعته إلى ابعد الحدود إذ قامت ادارة المكتبة بانشاء قاعتين كبيرتين لتقديم العروض الموسيقية والسيمفونيات والاوركسترات . اسبوعيا بالمجان . مثلما تبث هذه العروض نفسها بواسطة محطات الاذاعة الموسيقية فى الولايات المتحدة واوروبا . وتتسع القاعة الكبرى لخمسمائة كرسى تمتلىء عن آخرها بهواة الموسيقى مساء كل جمعة .

تخصص مكتبة الكونجرس قاعات جميلة مجهزة ومفروشة باغلى الاثاث وتطل على اجمل المناظر . وفى هذه الغرف الوثيرة تستضيف الشعراء الاعلام لمدة سنة او سنتين . تتكفل باقامتهم ومرتباتهم . وتخلق لهم الجو المناسب للكتابة والتاليف ، ثم تقوم المكتبة بتسجيل ما جادت به قرائحهم على اسطوانات باصواتهم . ودعوة الشعراء والادباء تمتد الى خارج الولايات ومن بلدان العالم المختلفة ، مثلما تقوم المكتبة بتوزيع تسجيلاتها على محطات الاذاعات العالمية .

وهناك امسية شعرية يوم الاثنين من كل اسبوع يلتقى فيها مشاهير الادباء والمعجبون بهم للاستمتاع باحاديثهم وقصائدهم . وتذاع هذه الامسيات الشعرية على محطات الاذاعة والتليفزيونات ايضا .

وتساهم مكتبة الكونجرس فى البرامج الثقافية والتعليمية فتدعو الادباء والعلماء من مختلف جهات العالم لالقاء محاضرات وعقد ندوات ، من اجل تنمية الثقافات المختلفة للشعب الامريكى . وعلى سبيل المثال فقد ساهمت المكتبة فى برنامج « مصر اليوم » الذى استمر ثلاثة اشهر .

دراسات المناطق وخدمات الكومبيوتر

وهناك ما يسمى «إدارة دراسات المناطق» وهى مقسمة وفقا للغة المنطقة التى تخدمها فهناك مثلا اقسام الشرق الاوسط ، وامريكا اللاتينية ، واوروبا الوسطى ، واللغات السلافية ، والقسم الاسبانى ، والقسم البرتغالى ، ويعمل فى هذه الادارات متخصصون فى ميادينهم وكل من هذه الاقسام تمتلك قاعة خاصة بها للقراءة ، وقاعة خاصة للمراجع التى تفيد فى الدراسة والبحث .

ولقد ادخلت ادارة خدمات ابحاث الكونجرس على الكومبيوتر ملخصات لكل القوانين الجارية . إنها تضيف ٣٠٫٠٠٠ قانون فى كل سنتين من انعقاد دورة الكونجرس . وهذه القوانين يمكن استرجاعها بسهولة ويسر . وايضا وضعت هذه الادارة ٢٥٫٠٠٠ تقرير حكومى .



لوحة أصلية تمثل تصورا فنيا عن الاستسلام في « ساراتوجا » .. وهي ايضا ضمن مجموعة حرية البلاد

وعشرات الالاف من المقالات المنشورة فى الصحف التى يمكن استرجاعها بالمؤلف وبالعنوان وبالموضوع .

كذلك قامت مكتبة الكونجرس بادخال مجموعاتهـــا على الكومبيوتر للكتب التى نشرت منذ عام ١٩٦٩ ، ويجرى العمل الآن باضافة سنوات اخرى حتى يأتى الوقت فتضع المجموعة كلها على الكومبيوتر ..

اما بالنسبة للقارىء العادى الذى يتردد على المكتبة راغبا فى الحصول على معلومات ببليوجرافية لبحثه ، فان هنـاك عشرات من اجهزة الكومبيوتر موجودة فى متناوله . وباستطاعته ان يقرا التعليمات الموجودة بجوار الجهاز وعليه ان يتتبع خطواتها . كما انشأت المكتبة حجرة خاصة بها عشرات من اجهزة الكومبيوتر لتدريب الذين لديهم رهبة من استعمال هذه الاجهزة ويقوم امناء خدمة المراجع بتدريبهم لمدة تستغرق اقل من الساعة يستطيعون بعدها ممارسة البحث واستعمال الاجهزة بطريقة صحيحه وسريعة .

وفى جميع أقسام المكتبة توجد مئات من اجهزة الكومبيوتر يقوم بالاستعانة بها امناء ادارة الاجراءات الفنية واقسامها المختلفة من فهرسة وتصنيف ، وتزويد ، ويبلغ عدد العاملين بها أكثر من ٢٥٠٠ امين ، ويستعين ايضا بالكومبيوتر اقسام المكتبة المختلفه من خدمة مراجع ، وبحـــوث ، والادارت المالية وغيرها .

الفهرسة والتصنيف

هناك أكثر من ٣٥,٠٠٠ مكتبة امريكية تعتمد اعتمادا كليا على بطاقات مكتبة الكونجرس التى تقوم ببيعها لهم بثمن زهيد للغاية : والعمل المكتبى – فنيا – يشتمل على مئات من قواعد الفهرســـــة والتصنيف ، وقواعد لاختيار المداخل المختلفة ، وتاسيس رؤوس موضوعات للكتب بحيث يسهل الوصول اليها ، لذلك رات مكتبة الكونجرس ان تقتحم دور نادية هذه العمليات للمكتبات الامريكية والعالمية ولقد وفرت المكتبات الاخرى ذلك الجهد

تعليم الهندوستانية .. وهى من الاعمال الجدارية

المصنى نظير شراء البطاقات .

● ●

والان .. يبرز سؤال : كيف تحصـــــل المكتبة على اوعية الفكر ؟

تقوم المكتبة بعمليات الشراء او التبادل او عن طريق قانون الايداع الذى بموجبه تودع خمس نسخ من كل كتاب يصدر فى الولايات المتحدة .. وبالنسبة للكتب الاخرى التى تنشر خارج الولايات ، رات المكتبة انشاء مكاتب لها فى اغلب البلدان تقوم بعملية الشراء . فهناك مكاتب فى الشرق الاوسط ، الشرق الاقصى ، يوغوسلافيا ، افريقيا الجنوبية ، نيروبى حيث يغطى حركة النشر فى اثيوبيا ، وكينيا ، وملاوي ، والصومال ، والسودان ، وتنزانيا ، واوغندا ، وزامبيا ، وغيرها من بلدان المنطقة ، ويغطى فرع جاكرتا بلادا مثل اندونيسيا ، ماليزيا ، سنغافورة ، وغيرها . ويغطى فرع القاهرة العالم العربى وشمال افريقيا . وهناك مكاتب فى اوروبا لتغطية حركة النشر الاوروبى .

وهذه المكاتب تهتم بشراء الكتب من هذه البلاد فيما عدا الكتب المترجمة من اصول اجنبية ونقلت الى لغة هذه البلاد ، والكتب العلمية ، وكتب الاطفال ، وكتب المناهج المدرسية . ويشرف على هذه الفروع ابناء متخصصون فى المنطقة الجغرافية التى يعملون فيها . هذا ويبلغ عدد الفروع فى العالم ٤٢ فرعا يرسل الكتب جوا الى مكتبة الكونجرس .

واخيرا لعل فلسفة مكتبة الكونجرس التى تجعلها تهتم بالمعرفة الانسانية فى العالم اجمع انها تعتبر الولايات المتحدة ذات تاريخ وماض فريد يختلف عن تواريخ بلدان العالم اجمع . وهى تعتبر حتى لغتها الانجليزية ـ كما يقول امينها ـ لغـــــة مستوردة فالولايات المتحدة مستمرة فى ان تقبل المهاجرين من مختلف العالم . وهؤلاء المهاجرون لهم خلفية تاريخية وثقافية واجتماعية وسياسية مختلفة ـ ويعتقد امين المكتبة وهو الحائز على جائزة « بولتزر » العالمية ان مسئولية المكتبة يجب ان تشبع رغبات سكانها (المهاجرين) بان تمتلك كتبا فى لغتهم الام ـ لهذا فلا غرابة من وراء ذلك المنطق الانسانى ان تكون مكتبتهم الوطنية مكتبة عالمية .

فوزى تادرس
خبير اليونسكو
جامعة قطـــر



المـــــراجـــــع

1. AVRAM, HENRIETTE D., LENORE S. MARUYAMA, AND JOHN S. RATHER, " AUTOMATION IN THE PROCESSING DEPARTMENT OF THE LIBRARY OF CONGRESS. "

   LIBRARY RESOURCES AND TECHNICAL SERVICE, V 16, SPRING 1972

2. EVANS, LUTHER H.," THE STRENGTH BY WHICH WELIVE " ALA BULLETIN, V.44 , OCTOBER, 1950.

3. GOODRUM, CHARLES, " TREASURE OF THELIBRARY OF CONGRESS. N.Y.: HARRY N. ABRAMS, 1980.

4. KLINE FRED, THE LIBRARY OF CONGRESS: THE NATION'S BOOKCASE" IN NATIONAL GEOGRAPHIC MAGAZINE. V. 148, NOVEMBER 1975.

5. LETHBRIDGE, MARY AND JAMES W. MCCLUNG " THE LIBRARY OF CONGRESS " IN ENCYCLOPEDIA OF LIBRARY AND INFORMATION SCIENCE. V.15, 1975.

6. PUTNAM, HERBERT, " THE LIBRARY OF CONGRESS AS A NATIONAL LIBRARY " LIBRARY JOURNAL, V. 30 SEPTEMBER 1905.

7. SYNDER, SAMUEL S., "AUTOMATION AT LC: PHILOSOPHY, PLANS, PROGRESS, " LIBRARY JOURNAL, V.90, NOVEMBER 1, 1965.

ليست هذه الصورة فى احد المراعى ولكنها فى متحف الفن الحديث فى باريس ، فالخراف اصطناعية وتبدو خلفها « علب » « الفنان » اندى ورهول »

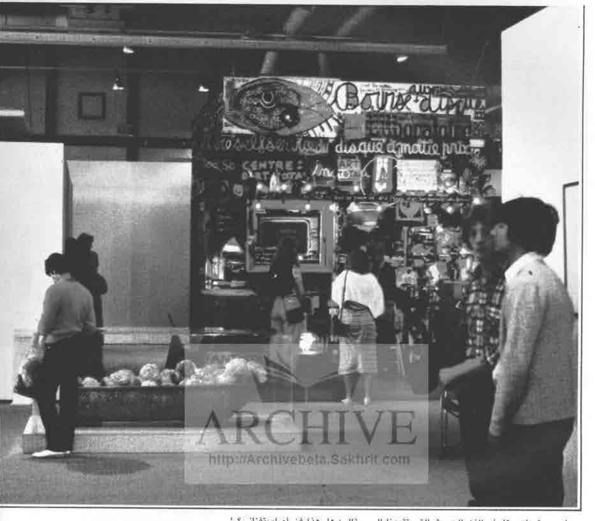
● فنان يحارب الجمال ويضيف إلى "الموناليزا" شاربين ولحية!



مدرسة فنية جريئة شعارها :

تشويه الأعمال الفنية!

بقلم : عبود عطية



بعض محتويات متاحف الفن الحديث التى تقودنا إلى سؤال : هل هذا فن ام استفزاز ؟ !

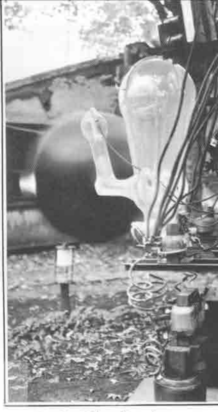
.. وفنان يمزق لوحاته بالسكين ويقدمها للجمهور بدون ألوان أو رسوم !

صحيح ان الأكاديميين الفرنسيين قد صعقوا سنة ١٨٦٢ عند رؤيتهم لوحة «غذاء على العشب» للرسام «ادوارد مانيه» هذه اللوحة التى التف حولها عدة فنانين عرفوا فيما بعد بالانطباعيين . وصحيح ان « فان جوخ » صدم معاصريه عندما عرض امام عيونهم بعض لوحاته التى تمثل احذيته القديمة او بعض ثمار البطاطا . وصحيح ان الجراة كانت دوما ضرورية ، أو صفة ملازمة لكل فن جديد . ولكن هذه الجراة اصبحت فى العصر الحالى عنصرا رئيسيا فى الانتاج الفنى ، وتحولت على ايدى بعض الفنانين الى هدف ، ولم تعد مجرد وسيلة . حتى باتت مسؤولة عن الانقباض الذى نشعر به فى بعض الأحيان عند سماعنا عبارة « الفن الحديث » !

ما هى الأشكال الجريئة فى الفن الحديث ؟ والى اية درجة وصلت المبالغة فى الجراة ؟

قبل الاجابة على هذا السؤال ، لابد من العودة الى تاريخ وتطور الاحداث الجريئة التى ادت الى هذا التغيير الغريب والمفاجىء فى الفن الحديث

فى النصف الثانى من القرن التاسع عشر ، بدات تظهر فى اوربا بعض الاصوات الداعية الى تحرير الفن من كل قيد او شرط . ومن ابرز هذه الاصوات يمكننا ان نذكر تيوفيل غوتييه، ولو كونت دى ليل ، وبودلير . الذين اسسوا مجلة تحت اسم « لوبارناس كونتانبوران » وبلوروا عبرها نظرية « الفن الحديث » . هذه النظرية ساعدت الى حد بعيد على ظهور الانطباعيين فى الرسم ، وقطع علاقتهم بالربون التقليدى الذى كان متمثلا فى السلطة والكنيسة والارستقراطية



مصابيح وآلات مغناطيسية تحرك كرات ضخمة من المعدن ... والموناليزا بشاربين وذقن .. فى محاولة لتشويه الأعمال الخالدة !

ومن ثم البرجوازية . ولكن هذه النظرية عرفت ، وبسرعة كبيرة اشد التفسيرات تطرفا ، مما ادى الى انحطاط الانطباعية وظهور التكعيب ثم التجريد .

التوقيع على زجاجة

وفى سنة ١٩١٣ ، رسم ماليفيتش لوحة تدعى « مربع اسود » (موجودة حاليا فى متحف لينينجراد) وبالفعل لا يوجد فى اللوحة سوى مربع اسود . وفى سنة ١٩١٤ عرض نفس الرسام فى نيويورك لوحة تدعى « مربع ابيض على خلفية بيضاء » ولم يكن فى اللوحة اى شىء يستحق الذكر . إلا أن جذور الجراة الحديثة التى سيعرفها جيلنا فيما بعد ، تعود الى نفس العام ، والى ما كان يحدث الى جانب التجريد .

وفى سنة ١٩١٤ ، دخل الفنان مارسيل دوشان الى احد المخازن ، واشترى حمالة زجاجات فارغة ، وبدون ان يقوم باجراء اى تعديل على هذه القطعة ، قام بتوقيع اسمه عليها ، وعرضها على انها قطعة فنية .

وفى سنة ١٩١٨ ، قام تريستان تزارا بكتابة « ميثاق الدادائية » ، وهى المدرسة التى يعتبر مارسيل دوشان احد كبار اساتذتها ، وحددها كما يلى : « انها ليست بداية الفن ، بل بداية الاشمئزاز »

وفى مكان اخر يقول : « ان هذه الحركة هى حركة هدم وتدمير ... تهزا من كل القيم المقبولة مثل الوطن والدين والاخلاق والشرف ... إنها انفجار اليأس عند الفنان الذى يشعر بان الهوة تكبر باستمرار بينه وبين المجتمع وزمانه » !

مارسيل دوشان شانه شان باقى فنانى الدادية يرفض الجمال ، او بالأحرى المفهوم التقليدى للجمال الفنى ، ويدعو للعمل من اجل « اللا فن » !

وفى سنة ١٩١٩ ، اى فى السنة الثانية من عمر السريالية ، تابع « دوشان » محاربته للجمال الفنى المعروف ، وذلك عن طريق افتتاح تيار جديد يقضي بتشويه بعض قمم الأعمال الفنية المشهورة . إذ قام باعادة رسم لوحة « الموناليزا » ، بعد ان اضاف اليها شاربين ولحية معتمدا على التحليل الفرويدى الذى يقول بان الموناليزا كانت رجلا احبه ليوناردو دي فنشي ، لان هذا الاخير كان منحرفا .

ولكن ، وان لم تعش الدادائية طويلا (خمس سنوات فقط) ، فقد كان لحركات مارسيل دوشان تاثير كبير على جيل اخر من الفنانين سيظهر بعده باربعين عاما تقريبا ، وبالتحديد فى بداية الستينات ، ولكن هذه المرة باشكال اكثر حدة ، ولأسباب مختلفة تماما !

العداء ضد الجمال

وكان تاثير « مارسيل دوشان » على الفنانين ينحصر فى :

● فئة حاولت الجمع بين تقنية « دوشان » والدادائية من جهة والجمال من جهة اخرى ، وافضل مثل يمكن ان نعطيه هو « ماتلين » الذى اعاد رسم « الموناليزا » مرتين بشكل ساخر ومتهكم تارة وهى تمسك بقسم من وجهها بيدها والى جانبها عبارة « هذه هى ابتسامتى » ، وتارة بشكل امراة تقف فى وضع منفر قرب لوحتها الممزقة !

● فئة بلغ تطرفها فى رفض الجمال ومفاهيمه التقليدية حده الاقصى . هذه الفئة هى التى قدمت اكثر الأشكال جراة فى تاريخ الفن على الإطلاق . هذا اذا سلمنا جدلا بان انتاجها كان فنا ، وللدخول فى تفاصيل هذه الأشكال يجب ان نتذكر ما كانت عليه مرحلة الستينات !

فقد جاءت فترة الستينات حافلة بالاهتزازات من كل نوع ، وزلزلت الاوضاع التى كانت قائمة وقتئذ ، من استقلال الجزائر مع كل الآثار التى خلفها داخل فرنسا ، الى نزول الانسان على سطح القمر ، مرورا باغتيال كنيدى ، جيفارا ، مارتن لوثر كينج وحرب فيتنام ، وعدم حساسية الرسميين الاميركيين تجاه الاحتجاجات الصادرة بشان

تشويه الأعمال الفنية!



المونالیزا تقف بجوار لوحتها الممزقة .. تفكير غريب قدمه الفنان « ماثلين » !

« أشياء بيضاء على الطريق » عنوان لوحة للفنان الايطالي « انموستينو بونالومي »



هذه الحرب ، بالاضافة الى ظهور الهيبيين كرافضين سلبيين ، اضافة الى الأزمة الكبيرة فى الفكر الغربى والتى حاول الغرب حلها عبر الاستمرار قدما فى اللجوء الى العقلانية ، كل هذا جعل فنانى الستينات يشعرون بياس وخيبة عميقة . هذا الياس سيتفجر بشكل واضح فى الفن ، وفى هذه الفترة بالذات ، سيعرف الفن اكبر عداء تجاه الجمال ، وهو عداء وصل الى حد جعل بعض المنظرين يؤكدون امكانية ايجاد فنان تشكيلى لا يكون بالضرورة رساما او نحاتا . وهنا كان لابد ان تبرز ايطاليا لتحتل دورها الطليعى من جديد .

العنف والفكرة والاستفزاز

إن ايطاليا التى تاثرت بكل اهتزازات الستينات العالمية ، عرفت ايضا اهتزازات خاصة بها . فبين عامى ١٩٥٣ و ١٩٦٣ ، استطاعت ايطاليا اعادة بناء اقتصادها بسرعة فريدة من نوعها . تطورت الصناعات الكيميائية والمعدنية والميكانيكية وسمح بتحديث البلاد على الطريقة الاميركية . ولاول مرة فى التاريخ الايطالى الحديث ازداد عدد الاناس ، ومن كل الطبقات ، الذين احتكوا بالمنتجات الصناعية الجديدة والفوها . وفى سنة ١٩٥٧ ظهرت سيارة الفيات ٥٠٠ التى كانت علامة بارزة ، وقفزة كبيرة باتجاه الانجراف فى الاستهلاك الجديد .. خلال هذا الوقت ، بدا منظرو الفن فى ايطاليا بالدعوة الى التزام الفن بالصناعة ، ودمج التصميم الصناعى بالجمال الفنى . وفى سنة ١٩٦٠ قدم « فرنشيسكو لوسافيو » عملا فنيا عبارة عن صفيحتين متقاطعتين من المعدن تحت اسم « معدن اسود غير شفاف ومنسجم » (حاليا فى مجموعة ف . ستريتى) !

وهنا انقسمت مسيرة التيار السابق الى ثلاثة اقسام :

● العنف : العنف الاجتماعى والسياسى والعسكرى الذى تفجر فى الستينات ، وجد ارضا خصبة فى الفن . الفنان « ارمان » الذى لم يعد رساما او نحاتا بدا بشراء الات موسيقية (قيثارة كمنجة ، بيانو ...) وحرقها ، او حطم بعض اجزائها بالفاس ، ليقوم بعدها بعرض بقايا هذه الالات على انها قطع فنية !

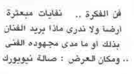
اما الفنان الايطالى « لوتشيو فونتانا » ، ففى البدء كان يطلى قماش اللوحة بلون واحد ، ومن ثم يقوم بتمزيقها بالسكين . إلا انه بعد وقت قصير ، بات يكتفى بعرض لوحات ممزقة لا تحوى اية الوان او رسوم . وبات جمهور المتاحف مدعوا للوقوف امام مجرد قطع قماش ممزقة ، والاعجاب بها !

● فن الفكرة : فن الفكرة ، الذى يبالغ فى رفضه للجمال ، وفى رفضه كون الفنان رساما او نحاتا ، وهو يعتمد على الرؤية الفكرية تجاه شىء معين على انه قطعة فن . ففى عام ١٩٦٢ ، قام النحات الفرنسى « سيزار » بانتاج منحوتة (معروضة حاليا فى مركز جورج بومبيدو) ، وهى عبارة عن هيكل سيارة تحول تحت الة ضغط المعادن الى مجرد مكعب معدنى . ولكن ، وان لجا « سيزار » الى الة لانتاج هذه القطعة ، فان الاميركى « اندى ورهول » لم يلجا الى اية وسيلة انتاج لصناعة ما يفترض فيه ان يكون منحوتة تدعى « علب » (سنة ١٩٦٤) . والعلب هذه هى عبارة عن ٣٣ علبة كرتون من مسحوق الغسيل « بريو » و ١٤ علبة كرتون تستعمل لتوضيب علب صلصة البندورة ، صففت فوق بعضها البعض بشكل يفترض به ان يكون عملا فنيا !

ولكن وإن اعتمد الفنان الامريكى ، وخاصة فى بدايته ، على بعض العناصر الاصطناعية ، مثل تصفيف خراف اصطناعية بشكل يشبه قطيع الاغنام ، او بعض بقايا الالات المستعملة ، فانه انتهى بسرعة الى اشد اشكاله تحررا : مثل رمى بعض النفايات ارضا ، ثم التطلع اليها على انها عمل فنى ، وهذه النفايات فى بعض الاحيان تكون ملونة ، واحيانا تبقى بالوانها الاصلية !

● الفن الفقير والاستفزاز : ابتدا من مطلع الستينات ، بدات الاعجوبة الاقتصادية فى ايطاليا تفقد بريقها . والتذمر بدا يحل محل

تشــويــه الأعـمـال الفنيـة!



فن الفكرة .. نفايات مبعثرة ارضا ولا ندري ماذا يريد الفنان بذلك او ما مدى مجهوده الفني .. ومكان العرض : صالة نيويورك

الطمانينة بسبب التباطؤ في النمو ، وبداية التراجع الاقتصادي ، الى هذا تضاف الأزمة العالمية في سوق الفن وسوق النشر . كثيرون من الفنانين الطليعيين في ايطاليا ارادوا التعبير عن نقمتهم على هذه الأوضاع ، وعن اشمئزازهم من المفاهيم السائدة . هؤلاء سيطلقون رصاصة الرحمة في راس الجمال الفني . وذلك عن طريق ارساء فن جديد اراده اصحابه ان يتميز بنقطتين اساسيتين !

- ان لا يكون الفن قابلا للبيع وللشراء .
- ان يحمل طابعا استفزازيا . وان يكون تعبيرا عن الاشمئزاز بدلا من ان يحمل جمالا او ان يكون تعبيرا عن امان وتطلعات .

وفيما يتعلق بالنقطة الاولى ، خدع الفنانون انفسهم ، لان اعمالهم اتجهت فورا الى السوق واحتكرها التجار ، سواء كانت هذه الأعمال مجرد «قسطل بسيط يجب وضعه بين الزهور» «للوشيانو فابرو» (١٩٦٣) ، ام «اشياء بيضاء توضع على رصيف الشارع» «لاغوستينو بونالومي» (١٩٦٩) !

اما في النقطة الثانية ، فقد نجح الفنانون في تحميل اعمالهم الطابع الاستفزازي المنشود ، وبشـــــكل لم يســـبق له نظير في تاريخ الفن . هنا نصل الى اكره الاشكال وقاحة وانحطاطا في تاريخ الفن (لان عبارة «جراة» لم تعد تفي بالغرض) ولاعطاء مثل ، نكتفي بذكر واحدة من منتجات الفنان الايطالي «بيارو مانزوني» الذي قدمته ست صالات عرض تجارية في معرض بال العالمي في العام الماضي . هذا الفنان ، قام سنة ١٩٦٧ بتعليب فضلاته ضمن علب معدنية ، تماما كتلك المستعملة لتعليب المواد الغذائية ، وعليها التعليمات الضرورية (!) التالية : «فضلات فنان . المحتوى الصافي ٣٠ غرام ، محفوظة بشكل طبيعي ...» وفي مكان اخر تحمل العلبة توقيع الفنان ، ورقم العلبة ، لان كل واحدة من هذه العلب تحمل رقما خشية التزوير ... (!)

(احدى هذه العلب موجودة في مجموعـــة ب . كونسولاندي) .. تصوروا الى اي حد وصل خداع النفس عند هؤلاء الفنانين !

رواد هذه المعارض

بقي ان نعرف من هم المعجبون والمهتمون بهذه الاشكال الفنية ؟ والى اي حد وصلت هذه الجراة الفنية في الفترة الحالية ؟

للاجابة على السؤال الأول يكفي العودة الى احصاء اجري خلال معرض اقامه متحف الفنون التزيينية في باريس منذ عدة سنوات ، وكان المعرض مخصصا للأشكال الاكثر جراة في الفن الحديث ، إذ تبين انذاك ان عدد الزائرين من الطبقات العليا وصل الى ٩٠٪ (١٨ ٪ من كبار الموظفين ، ٣٣،٤ ٪ من الطلاب ، ٢١،٦ ٪ من الأساتذة والاختصاصيين في الفن ، ١٧ ٪ نساء لا يعملن ومتزوجات من موظفين كبار) ، مقابل ٨،٥ ٪ من الموظفين الصغار ، ١،٥ ٪ من الحرفيين ، ٠،٥ ٪ من العمال . اما المزارعين والفلاحين فلم يكن لهم اي وجود على الاطلاق . ومن خلال هذا الاحصاء ، يمكننا ان نؤكد ان غياب فئة يعني عدم اهتمامها ، وبالتالي عدم اعجابها بهذه الأشكال ، في حين ان الذين زاروا المعرض ، وان كانوا جميعا من المهتمين بالفن الحديث ، فالامر لا يعني ان كلهم من المعجبين !

لوحة واقعية

اما مدى ما وصلت إليه الجراة الفنية في الفترة الحالية ، فالواقع انه منذ منتصف السبعينات ، تحاول صالات العرض التجارية إجبار الرسامين على العودة الى الرسم ، ومنذ سنتين او ثلاث ، لم تتبن صالات العرض في باريس اي رسام جديد دون ان تاخذ بعين الاعتبار مستواه في الرسم الشبه الكلاسيكي في الدرجة الأولى !

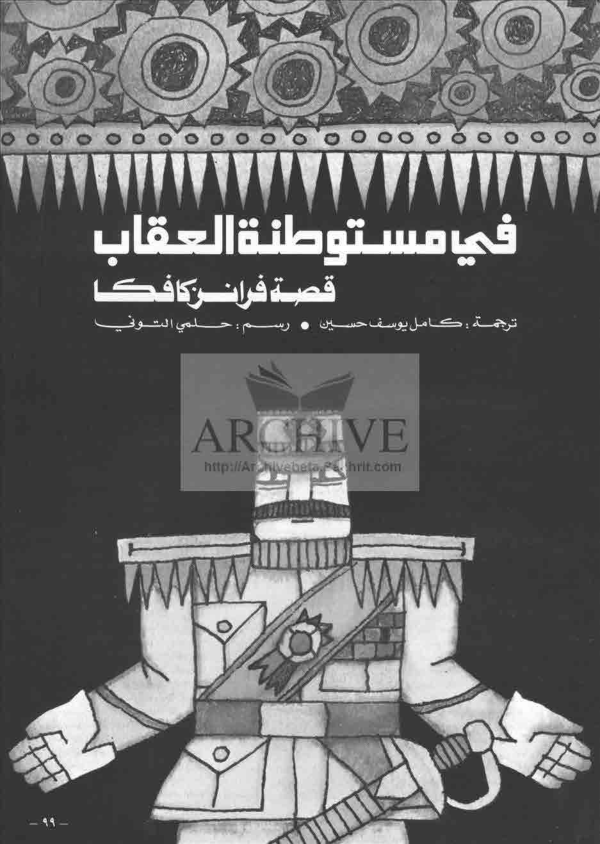
ويضاف الى ذلك المتاحف والمراكز الثقافية ، مثل المعرض الذي اقامه «المركز الثقافي جورج بومبيدو» في باريس تكريما للسريالي «سلفادور دالي» اذ تم عرض لوحاته التي يمكن تقبلها بشكل او باخر في اجنحة المتحف ، وفي جناح خاص ، وتم عرض بعض الاشياء مثل سيارته القديمة ، وثيابه الخاصة جدا ، وبعض الاشكال التي تمثل فاكهة ولحوم معلبة باحجام عملاقة ، وكان الجمهور مدعوا للمرور امامها على انها تحف فنية وليس مجرد تذكاراته !

واليوم ، سواء اعتبرنا ان الفن الحديث قد نجح في ابتعاده عن الضغوط الخارجية والمؤثرات الاجتماعية كما بشر منظرو القرن التاسع عشر ، ام ان هذه المحاولة قد خدعت نفسها ، كما يقول الناقد الفرنسي «رينه هويغ» الذي يرى ان هذه المدارس الفنية الحديثة «.... عبرت ببساطة متناهية ، واكره من اي شيء اخر عن وضع الانسان الحديث» . ففي كلا الحالتين هناك وجه مرفوض :

في الحالة الاولى ، المرفوض هو بعض الزوايا الكئيبة في المتاحف الاوربية والأميركية للفن الحديث ، والتي لا تمت الى الاوضاع الاجتماعية والانسانية بصلة ، كما يؤكد اصحابها .

وفي الحالة الثانية ، المرفوض هو وضع الانسان الأوربي الحديث .

عبود عطية — باريس


في مستوطنة العقاب
قصة فرانز كافكا
ترجمة: كامل يوسف حسين • رسم: حلمي التوني

في مستوطنة العقاب

« إنها آلة رائعة » ، قالها الضابط للمستكشف ، رمق الآلة التى كانت فى النهاية مالوفة له باعجاب حميم . بدا المستكشف كما لو قد قبل بدافع التادب فحسب دعوة القائد له لمشاهدة تنفيذ الحكم فى جندى حكم عليه بالاعدام جزاء للتمرد والسلوك المهين .. إزاء رئيسه ، كما لم تبد المستعمرة ذاتها ما يوحي بكبير اهتمام بهذا التنفيذ ، على الأقل لم يكـن هناك احدفى الوادي الرملي الصغير ، وهو خور عميق تحيطه من كافة الجهات صخور جرداء فضلا عن الضابط ، والمستكشف ، والمحكوم وهو مخلوق بادي البلاهة فاغر الفم تكلل الحيرة وجهه وشعره ، والجندى الذى كان يمسك بسلسلة ثقيلة تتحكم فى سلاسل صغيرة احكم وثاقها على كاحلي السجين ورسغيه ورقبته ، كانت السلاسل ذاتها مرتبطة إحداها بالأخرى عن طريق حلقات وصل . بدا المحكوم على اية حال شديد الشبه بكلب خاضع بحيث أن المرء قد يعتقد أن بالوسع تركه ينطلق حراً فى التلال المحيطة بالمكان .

لم يكترث المستكشف كثيرا للآلة ، راح يسير جيئة وذهابا خلف السجين بلا مبالاة واضحة ، فيما كان الضابط يجري عمليات التنسيق الاخيرة ، زاحفا تارة تحت هيكل الآلة الذى كان مغروساً بعمق فى الأرض ، متسلقاً تارة اخرى سلماً ليتفقد اجزاءها العليا . تلك كانت مهاماً يتعين ان تترك لميكانيكي ، لكن الضابط راح يؤديها بحماس عظيم إما لأنه كان معجباً مخلصاً بالآلة وإما لأن العمل لا يمكن أن يعهد به لآخر لأسباب اخرى . « جاهزة الآن » قالها اخيرا وهو يهبط درجات السلم . بدا مضطرباً بصورة غير مالوفة ، راح يتنفس بفم مفتوح عن آخره . وقد وضع منديلين من مناديل السيدات تحت ياقة ردائه الرسمي ، قال المستكشف بدلا من طرح استفسار عن الآلة كما كان الضابط يتوقع : « هذه الاردية الرسمية اثقل من ان ترتدى فى المناطق الاستوائية بالتاكيد » ، قال الضابط وهو يغسل يديه اللتين لطخهما الشحم والزيت فى دلو من الماء معد لذلك : « بالطبع ، لكنها تعني الوطن بالنسبة لنا ، ونحن لا نرغب فى ان ننسى الوطن ، الآن الق نظرة فحسب على هذه الآلة » ، قالها فجاة مجففاً يديه فى منشفة ومشيرا إلى الآلة ، استطرد : « حتى الآن تعين ان يضبط كل شيء بطريقة يدوية ، لكن منذ هذه اللحظة ستقوم بكل شيء بنفسها » . اوما المستكشف موافقا . تبع الضابط ، قال هذا الاخير فى غمار حرصه على تامين نفسه ضد كافة الظروف الطارئة : « بالطبع فان الأمور تختل احياناً ، امل الا يختل شيء اليوم ، لكن علينا ان نحتاط لكافة الاحتمالات ، فالآلة ينبغى ان تواصل العمل طوال اثنتي عشرة ساعة ، ولكن إذا ما اختل شيء فسيكون امرا هينـــا فحسب ، يمكن اصلاحـه في الحـــال » .

تساءل اخيرا : « الا تتناول مقعدا ؟ » ، جذب مقعدا من الخيزران من كومة مقاعد مماثلة ، قدمه للمستكشف الذي لم يستطع ان يرفضه ، كان جالساً الآن عند حافة حفرة رمقها لبرهة بنظرة عابرة ، لم تكن عميقة للغاية . عند احد جوانبها كان ناتج الحفر مكوما فى شكل سور واق وعلى الجانب المقابل سمعت الآلة .

قال الضابط : « لا ادري ما إذا كان القائد قد شرح لك هذه الآلة بالفعل » . لوح المستكشف باحدى يديه على نحو غامض . ما كان الضابط لينشد ما هو افضل من ذلك ، حيث غدا بوسعه ان يشرح الآلة الآن بنفسه . قال ممسكا بذراع للتشغيل مستنداً عليه : « لقد اخترع قائدنا السابق هذه الآلة ، ساعدته فى التجارب الأولى ذاتها وشاركت في العمل كله حتى اكتماله ، لكنه هو وحده الذى ينبغي ان يعزى إليه الاختراع . هل سبق لك ابدا ان سمعت عن قائدنا السابق ؟ كلا ؟ طيب . ليس من المبالغة فى القول ان اخبرك بان تنظيم مستوطنة العقاب باسره هو من عمله ، ونحن الذين كنا اصدقاءه كنا نعرف حتى قبل ان يموت ان تنظيم المستعمرة بالغ الكمال . بحيث ان سلفه حتى وإن كان راسه يحفل بالف مشروع جديد سيجد ان من المستحيل تغيير اي شيء على الأقل لسنوات عديدة مقبلة ، وقد صحت نبوءتنا حيث اضطر القائد الجديد إلى الاقرار بصحة هذه النبوءة ، مؤسف انك لم تقابل القائد القديم ولكن » قاطع الضابط حديثه ، قال : « إنني اتحدث بصورة مشتتة ، هاهي الته تنتصب امامنا ، وهى تتالف ، كما ترى ، من ثلاثة اجزاء ، بمرور الزمن حظى كل جزء من هذه الاجزاء بنوع من اسماء التدليل الشعبية ، فالجزء الاسفل يسمى « المرقد » والجزء العلوي يسمى « المصمم » وهذا الجزء هنا فى المنتصف الذى يتحرك إلى اعلى وإلى اسفل يسمى « المسحاة » » ، تساءل المستكشف « المسحاة ؟ » لم يكن يصغى بانتباه بالغ ، كان توهج الشمس فى الوادي المجرد من الظلال تماما أقوى من ان يحتمل . كان من العسير على المرء أن يستجمع افكاره ، تزايد اعجابه بالضابط الذى كان على الرغم من سترة زيه الرسمي المحكمة الالتصاق بجسده والمزينة باسراف بجدائل الزينة والمثقلة بالنسيج المقصب على الكتفين يواصل التركيز فى موضوعه بحماس بالغ وإلى جوار الحديث كان لايزال يحكم تثبيت برغى هنا وآخر هناك بمفتاح للربط ، اما فيما يتعلق بالجندي فقد بدا فى الحالة ذاتها التى كان المستكشف عليها ، كان قد لف سلسلة السجين حول رسغيه كليهما واستند إلى بندقيته تاركاً راسه تتدلى دونما اكتراث لشيء ، لم يدهش ذلك المستكشف ، فقد كان الضابط يتحدث الفرنسية ومن المؤكد أنه لا الجندى ولا السجين كانا يفهمان كلمة من الفرنسية ، من ثم كان من الملحوظ بصورة متزايدة ، رغم ذلك ، أن السجين يبذل جهداً فى متابعة إيضاحات الضابط ، راح يواصل بضرب من الاصرار الناعس التحديق حيثما اشار إصبع الضابط ، كان ينظر فيما حوله شأن الضابط لدى الانقطاع الذى يحدثه سؤال يوجهه المستكشف .

قال الضابط : « اجل المسحاة » ، اسم طيب لهذا الجزء ، إن الابر مثبتة فيه مثل اسنان « المسحاة » والشيء كله يعمل كالمسحاة وذلك على الرغم من ان عمله يقتصر على موضع واحد ويخطط بمزيد من المهارة الفنية الفائقة . وعلى اية حال فسرعان ما ستفهمه . فالمحكوم عليه يوضع هنا على « المرقـد » ـ ساصف لك الآلة اولا قبل ان ادعها تتحرك ، عندئذ يمكنك ان تتبع الخطوات على نحو افضل . اضف إلى ذلك ان إحدى العجلات المسننة الموجودة فى « المصمم » قد بليت على نحو سيىء وهى تقرقـع كثيرا حين تعمل بحيث لا يمكنك سماع صوتك وانت تتحدث ، من سوء الحظ انه من العسير الحصول على قطع غيار هنا ، طيب ، هنا

«المرقد » كما اخبرتك ، إنه مغطى تماما بطبقة من الصوف والقطن وستكشف السبب فى ذلك فيما بعد ، يرقد المحكوم فوق هذا المزيج من القطن والصوف ووجهه إلى اسفل عاريا تماما بالطبع ، هنا اطواق لليدين ، هنا للقدمين ، هنا للعنق ، لتقييده باحكام ، هنا عند راس «المرقد» حيث يحنى الرجل اول الأمر كما قلت لك وجهه ، يوجد هذه الكعام من اللباد الذى يمكن ان يضبط بسهولة بحيث ينزلق مباشرة إلى فمه ، وقد قصد به الحيلولة بينه وبين الصراخ وعصر لسانه ، إن الرجل بالطبع يرغم على تلقى الكعام فى فمه ، وإلا فان الطوق يمكن ان يكسر عنقه ، تساءل المستكشف منحنيا الى الأمام : «اهذا قطن وصوف ؟ » . اجاب الضابط بابتسامة : » نعم ، بالتاكيد تحسسه بنفسك ، امسك بيد المستكشف ، ارشدها لتجس سطح المرقد ، قال » إنه مزيج معد خصيصا من القطن والصوف ، وذلك هو السبب فى انــــه يبــدو مختلفا ، ساخبرك حالا بالغرض منه » ، كان المستكشف يستشعر بالفعل اهتماما بالآلة يهبط عليه ، راح يحمي عينيه من الشمس باحدى يديه ويحدق فى الهيكل ، كان شيئا ضخما ، كان » للمرقد » و » المصمم » الحجم ذاته ، ولاحا مثل قفصين خشبيين معتمين ، كان » المصمم » يتدلى على ارتفاع مترين فوق » المرقد » ، كان كل منهما مثبتا عند الاركان باربعة قضبان من النحاس الاصفر ، كانت توشك أن تتوهج شعاعا فى ضوء الشمس وتحت القفصين كــــانــت » المسحاة » تتحرك حركة مكوكبة على شريط من الصلب .

لم يكن الضابط قد لاحظ لامبالاة المستكشف السابقة ، لكنه كان الان يدرك اهتمامه المفاجيء، من ثم فقد توقف عن الشرح ليترك مجالا زمنيا للمراقبة الهادئة ، قلد المحكوم المستكشف ، وبما انه لم يكن بوسعه ان يستخدم يده ليحمي عينيه فقد راح يحدق عاليا دونما حماية .

قال المستكشف متراجعا في مقعده ومصالبا قدميه : » طيب ، يرقد الرجل ارضا » .

قال الضابط رافعا غطاء رأسه العسكري إلى الخلف قليلا ممررا إحدى يديه على وجهه المتقد

"كان القائد "جنديا" و"قاضيا" و"ميكانيكيا" و"كيميائيا" و"رساما"

» نعم ، الآن اصغ ! إن لكل من » المرقد » و «المصمم» بطارية كهربائية ، » فالمرقد » يحتاج لنفسه واحدة ، و » المصمم » يحتاج واحدة من اجل » المسحاة » وبمجرد ان يرقد الرجل عاريا يتحرك » المرقد » يرتعش فى دقة فى ذبذبات سريعة للغاية تسري من جانب إلى اخر ومن اعلى إلى اسفل فى الوقت ذاته ، ربما تكون قد شاهدت الة مماثلة فى احـــد المستشفيات ولكن فى حالة » مرقدنا » فان الحركات جميعا محسوبة تماما بدقة ، وكما ترى فانها ينبغى أن تتفق بدقة بالغة مع حركات » المسحــــاة » ، و » المسحاة » هي الجهاز الذى يقوم بالتنفيذ الفعلى للحكم » .

تساءل المستكشف : » وكيف ينفذ الحكم ؟ »،

قال الضابط فى دهشة وهو يعض شفتيه : » الا تعلم ذلك ايضا ؟ سامحني إن بدت ايضا حالتي غير متماسكة ، إننى استمحيك عذراً ، فكما ــ لعلك تدرك ــ اعتاد القائد دائما ان يقوم بالايضاح ، لكن القائد الجديد يتهرب من هذا الواجب ، ولكن الا يخبر زائرا مهما مثلك .. » ، حاول المستكشف التنصل من هذا الشرف ملوحا بيديه ، غير ان الضابط استطرد مصراً : » ولكن الا يخبر زائرا مهما مثلك بنوعية الحكم الذى نصدره » كان على وشك استخدام تعبير فظ لكنه كبح جماح نفسه واكتفى بالقول : » لم ابلغ بذلك ، لم يكن هذا خطئى على اية حال ، من المؤكد انني خير من يشرح هذا الاجراء الذى نتبعه حيث ان لدي هنا » ــ وربت على الجيب الموجود باعلى صدره ــ » الرسوم الهامة التى وضعها قائدنا السابق » .

تساءل المستكشف : » رسومات القائد الخاصة ، هل قام بكل شيء بنفسه إذن ؟ اكان جنديا ، قاضيا ، ميكانيكيا ، كيميائيا ورساما ؟.

قال الضابط مشيرا برأسه علامة الموافقة وفى عينيه نظرة لامعة تحلق نحو البعيد : » كان كذلك حقا » ثم تفقد يديه بنظرة منتقدة ، لم تظهرا له نظيفتين بما فيه الكفاية بحيث يلمس بهما الرسوم ، لذا مضى إلى الدلو وغسلهما مرة اخرى ، ثم جذب حافظة جلدية صغيرة ، وقال : » إن حكمنا لا يبدو قاسيا ، ايا كانت الوصية التى خالفها المحكوم من الوصايا العشر فانها تكتب » بالمسحاة » على جسده ، هذا المحكوم

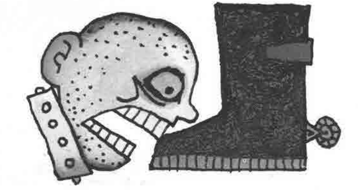
على سبيل المثال » ـ اشار الضابط إلى الرجل ـ « سيكتب على جسده .. وقر رؤساءك ! » .

القى المستكشف بنظرة على الرجل . كان قد وقف محني الراس فيما الضابط يشير إليه كان فيما يبدو يصغى بملء اذنيه فى محاولة لفهم مايقال ، غير أن حركة شفتيه الغليظتين المطبقتين باحكام أفصحت عن عجزه عن فهم كلمة واحدة ، اسئلة عديدة كانت تؤرق المستكشف ، لكنه لدى مرأى المحكوم تساءل فحسب : « هل يعرف الحكم الصادر ضده ؟ » ، «لا» قالها الضابط مرة اخرى ملتزماً الصمت للحظة كما لو كان يتيح الفرصة للمستكشف ليسهب القول فى معرض التساؤل ، ثم قال : لـن يكون هناك معنى لابلاغه بالحكم . فلسوف يعرفه بدنياً حين يطبق عليه » تعمد المستكشف الا يرد ، لكنه شعر بتحديق السجين ينتقل إليه . بدا كما لو كان يسائله عما إذا كان يوافق على مثل هذه الاجراءات ، لذا فقد انحنى إلى الأمام مرة اخرى بعد ان كان قد تراجع للخلف فى مقعده . طرح سؤالا اخر : « لكن من المؤكد انه يعلم ان حكماً قد صدر ضده ؟ » ، «ولا ذلك ايضاً» قالها الضابط مبتسما للمستكشف كما لو كان يتوقع منه المزيد من الملاحظات المدهشة ، قال الضابط مجففاً العرق الذى سال على جبينه : « لا ، هو إذن لا يستطيع أن يعرف ما إذا كان دفاعه مجديا ؟» قال الضابط مشيحـا بعينيه بعيداً كما لو كان يحادث نفسه وموفراً بذلك على المستكشف عار الاستماع إلى امور جلية بذاتها وهي توضح له ، قال المستكشف . وقد نهض من مقعده : « لكن لابد انه قد اتيحت لـه فرصـة الدفاع عن نفسـه »

ادرك الضابط انه معرض لخطر تاجيل شرحه للآلة لوقت طويل ، لذا فقد انطلق صوب المستكشف وامسك بذراعه ، ولوح باحدى يديه تجاه المحكوم الذى كان واقفاً فى تصلب بالغ الآن بعد أن أصبح بصورة جلية محور الانتباه، كان الجندى قد حرك السلسلة كذلك . قال الضابط : « الامر على هذا النحو : لقد عينت قاضياً فى مستوطنة العقاب هذه وذلك على الرغم من حداثة عمري حيث انني كنت مساعد القائد السابق فى كافة الامور المتعلقة بالعقاب ، واعرف عن الآلة ما يفوق ما يعرفه اي شخص اخر ، كان مبدئي الذى استرشد به هو هذا : الذنب ينبغى الا يكون ابدا موضع شك ، إن المحاكم الاخرى لا يمكنها ان تتبع هذا المبدا لانها تتالف من اراء عديدة ولها محاكم عليا تعتصر احكامها ، ليس ذلك هو الحال هنا او على الأقل لم يكن الحال كذلك فى عهد القائد السابق ، لقد أظهر الرجل الجديد على نحو مؤكد ميلا إلى التدخل فى احكامي ، لكني نجحت حتى الآن فى رده ولسوف أواصل نجاحي ، بودك ان تشرح لك القضية ، إنها بسيطة للغاية . شان كافة القضايا ، لقد تقدم لي ضابط برتبة نقيب بتقرير صباح اليوم مؤداه ان هذا الرجل الذى عين خادماً له وكان عليه أن يرقد امام بابه قد نام أثناء ادائه لواجبه ، وكما ـ لعلك تدرك ـ فان من واجبه ان ينهض مع دقات كل ساعة ويؤدى التحية امام باب النقيب، ليس ذلك بالواجب الثقيل وهو ضروري للغاية كذلك ، حيث ان على الجندى ان يكون حارساً كذلك إلى جانب كونه خادماً ، ويتعين ان يكون يقظاً فى ادائه لواجباته . فى الليلة الماضية اراد النقيب ان يرى ما إذا كان الرجل يؤدى واجبه . فتح الباب فيما كانت الساعة ترسل دقتها الثانية فالفى هذا الرجل متكوما يغط فى النوم ، امسك بسوط للركوب ولطمه على وجهه . وبدلا من ان يهب واقفا معتذرا امسك الرجل بقدمي سيده ، هزه ، وصاح : « الق بهذا السوط وإلا اكلتك حيا » . ذلك هو دليل الادانة . جاء النقيب الي قبل ساعة ، فدونت إفادته وارفقت الحكم بها ، ثم أمرت بوضع الرجل فى الأغلال ، كان الامر كله بسيطاً تماماً ، اما إذا كنت قد استدعيت الرجل أولا ليمثل امامي وحققت معه فان الامور كانت ستختلط على نحو مربك ، كان حرياً به أن يلقى بالاكاذيب ، لدعمها بالمزيد من الاكاذيب وهكذا بلا انتهاء ، وكما هو الحال فقد امسكت به ولن افلته . اهذا واضح الان ؟ لكننا نهدر الوقت سدى ، ينبغى أن يبدا التنفيذ ولم انته بعد من شرح الجهاز لك » ، الحف على المستكشف فى العودة إلى مقعده ، مضى صعداً إلى الآلة من جديد ، شرع يقول : « إن شـــكل « المسحاة » كما ترى يتطابق مع شكل الجسم البشري ، هنا مسحاة البدن ، هنا مساحي الاقدام ، اما للراس فهناك هذا المسمار الصغير ، اهذا واضح تماما ؟» انحنى بود تجاه المستكشف تواقـا إلى تقديم اكثر الايضاحات شمولا .

تامل المستكشف المسحاة وقد قطب جبينه ، أثارت مثل هذه الصيغة للاجراء القضائي استياءه ، كان عليه ان يذكر نفسه بان تلك فى النهاية مستوطنة للعقاب فى مسيس الحاجة إلى اجراءات استثنائية وان النظام العسكرى ينبغى ان يطبق حتى اقصاه ، رغم ذلك شعر بان بعض الامل قد يمكن تعليقه على القائد الجديد الذى كان قد عقد العزم فيما يبدو على احلال نوع من الاجراءات وإن يكن بصورة تدريجية ، ماكان ذهن الضابط الضيق قادراً على فهمه ، دفعه تتابع الأفكار ذاك إلى طرح سؤاله التالي : « هل سيشهد القائد تنفيذ الحكم ؟ » «ليس هذا مؤكداً» قالها الضابط مجفلا فى مواجهة السؤال المباشر . تكدر التعبير البشوش المرتسم على ملامحه . استطرد : « ذلك هو على وجه الدقة السبب فى اننا لا ينبغى ان نخسر وقتنا » . وعلى غير ما اود سيتعين علي أن اختصر ايضاحاتي ولكن غدا بالطبع حينما تنظف الآلة ، فعيبها الوحيد انها تتسخ بصورة بالغة بوسعي ان استعيد كافة التفاصيل ، من هنا فاننا سنوضح فى الوقت الراهن النقاط الاساسية فحسب ، حينما يضجع الرجل على «المرقد» ويشرع هذا فى التذبـــذب تتـــدلي « المسحاة » حتى جسده . تنظم حركتها تلقائياً بحيث تمسك الابر الجلد بالكاد ، وحينما يحدث الاتصال فان الشريط الصلب يتصلب على الفور متحولا إلى طوق محكم ثم يبدا الأداء ، ولئن اطل جاهل بالحقيقة فلن يرى فارقا بين عقاب واخر ، « فالمسحاة » تقوم بعملها بانضباط صارم ، وفيما هي تتذبذب فان طرفها يخترق جلد الجسم الذى يتذبذب هو ذاته من جراء ذبذبة « المرقد » ولكي يمكن رصد التقدم الفعلى للحكم فان « المسحاة » مصنوعة من الزجاج . كان تثبيت الأبر فى الزجاج مشكلة فنية . ولكن بعد العديد من التجارب تغلبنا على هذه الصعوبة . وكما ـ لعلك تدرك ـ فان المشكلات لم يكن هناك منها ما يعظم علينا مواجهته ، الان بوسع اي شخص ان ينظر من خلال الزجاج ويراقب عملية الوشم على الجسم وهي تتم . ايضيرك الاقتراب قليلا وإلقاء نظرة على الابر ؟

نهض المستكشف ببطء . تقدم باتجاه الآلة انحنى فوق « المسحاة » . قال الضابط : « هناك ، كما ترى ، نوعان من الابر نظمته فى اطر مزدوجـة . كان لكل ابـرة طويلـة اخـــرى



قصيرة إلى جوارها ، تقوم الابر الطويلة بالوشم اما الابرة الصغيرة فهي تنفث رذاذاً من الماء لغسل الدم ، وإبقاء الوشم نظيفاً ، ثم يساق الدم والماء معاً هنا عبر مجار صغيرة إلى هذا المجرى الرئيسي ثم عبر انبوبة نفاية إلى الحفرة راح الضابط يتابع مشيراً باصبعه المجرى المحدد الذى يتخذه مسار الماء والدم ، وبجعل الصورة تنبض بالحياة بقدر الامكان وضع يديه مشتبكتين اسفل مخرج انبوبة النفاية كما لو كان سيمسك بما يتدفق منها ، حينما فعل ذلك تراجع المستكشف برأسه ، تحسس ماوراءه باحدى يديه ساعياً للعودة إلى مقعده . افزعه ان يجد ان المحكوم كان بدوره قد لبى دعوة الضابط لفحص « المسحاة » عن كثب وتبعه ، كان قد جذب الجندي الذى اثقله النعاس بالسلسلة ووقف منحنياً على الزجاج . كان بوسع المرء ان يري ان عينيه القلقتين كانتا تحاولان اختراق ما كان السيدان ينظران إليه ، ولكنه لم يستطع فهم الايضاح ، لم يستطع ان يتبين طبيعة الآلة ، كان يحدق بهذه الطريقة حيناً وباخرى حيناً اخر ، راح يمرر ناظريه على امتداد الزجاج . اراد المستكشف ان يطرده بعيداً حيث ان ما يفعله ربما يكون فعلا جديراً باللوم . لكن الضابط حال بحزم دون المستكشف والتصرف باحدى يديه وباليد الاخرى احتضن قبضة من التراب من السور والقاها على الجندى ، فتح الجندى عينيه منتفضاً ، شاهد ماجرؤ المحكوم على القيام به ، ترك بندقيته تسقط ، غرس كعبيه فى الأرض ، جذب سجينه عائداً به بحيث تعثر هذا الأخير وسقط على الفور ، ثم وقف ناظراً إليه مراقباً إياه وهو يجالد ويتعثر فى قيوده محدثاً ضجيجاً ، هتف الضابط بصوت مجلجل « اوقفه على قدميه ! » ذلك أنه لاحظ أن المحكوم يجذب انتباه المستكشف كثيراً ، وفى الحقيقة كان المستكشف منحنياً على « المسحاة » دون أن يحفل بها ، مركزاً فحسب على ما يجرى للمحكوم ، صرخ الضابط مرة أخرى « كن حذراً معه ! » . جرى ملتفاً حول الآلة وامسك بالمحكوم من إبطيه وبمساعدة الجندى أوقفه على قدميه اللتين ظلتا تنزلقان تحته .

قال المستكشف فيما الضابط يعود إليه : «اصبحت الم الآن بكل شيء عن الآلة » . قال الضابط ممسكاً بذراع المستكشف ومشيراً إلى أعلى : « ألممت بها كلها عدا اهم الأشياء فيها ، فى « المصمم » توجد كافة العجلات المسننة التى تتحكم فى حركات « المسحاة » وتنتظم هذه الآلة فى عملها وفقاً للوشم الذى يقتضيه الحكم ، إننى لازلت استخدم التخطيطات الارشادية التى رسمها القائد السابق ، هاهي ذى » نزع بعض الاوراق من الحافظة الجلدية . استطرد : « لكن معذرة ، فليس بوسعى أن ادعك تمسك بها ، إنها اثمن مقتنياتي ، اجلس



فحسب وسامسك بها امامك على هذا النحو ، وعندئذ سيكون بمقدورك ان ترى كل شيء بصورة طيبة تماما » . نشر الصفحة الاولى ، كان دور المستكشف ان يقول شيئا يوحي بالتقدير ، لكن كل ما استطاع ان يراه هو متاهة من الخطوط المتقاطعة والمتعارضة بعضها مع البعض الآخر كانت تغطى الورقة بكثافة بالغة بحيث تعذر تتبع المساحات البيضاء فيما بينها . قال الضابط : « اقراها » ، قال المستكشف : « لا استطيع » . قال الضابط : « ومع ذلك فانها

واضحة بما فيه الكفاية قال المستكشف مراوغا «إنها محددة للغاية ، لكنى لا استطيع فهمها ، قال الضابط ضاحكا وهو يبعد الأوراق : «نعم إنها ليست خطوطا لاطفال المدارس ، بل ينبغى ان تدرس عن كثب ، وإنى لعلى يقين من انك ستفهمها فى النهاية بدورك ، بالطبع لا يمكن ان يكون المخطوط بسيطا ، فليس من المفروض ان تقتل الالة رجلا على نحو مباشرة ، وإنما بعد فترة يصل متوسطها الى اثنتى عشرة ساعة ، نقطة التحول غالبا ما تجيء بعد ست ساعات ، لذا يتعين ان يكون هناك الكثير من التوهمات حول الحدث الرئيسى ، وعملية الوشم ذاتها تجرى على الجسم فى طوق ضيق فحسب ، اما باقى الجسم فيبقى للزخرفات ، هل تستطيع الآن ان تقدر العمل الذى تحققه «المسحاة» والالة باسرها ؟ راقبها فحسب ! انطلق صاعدا السلم ادار عجلة ، هتف مطلا إلى اسفل : «انظر ! واصل النظر الى جانب واحد !» وبدا كل شيء فى العمل ، لو ان العجلة لم تقرقع لبدت الالة بديعة ، هز الضابط قبضته تجاه الالة كما لو كان قد فوجىء بضجيج العجلة ، ثم نشر ذراعيه معتذرا للمستكشف وهبط مسرعا ليحدق فى اداء الالة من اسفل ، كان هناك شيء لا يدركه غيره لايزال فى غير موضعه ، تسلق السلم صاعدا من جديد ، قبض على شيء ما بكلتا يديه فى داخل «المصمم» ثم انزلق على احد القضبان هابطا بدلا من استخدام السلم لكى يهبط بسرعة اكبر ، صرخ بملء قوة رئتيه ليكون صوته مسموعا فى غمار هذه الضجة كلها فى اذن المستكشف : «هل بوسعك تتبعها ، شرعت المسحاة فى الكتابة ، وحينما تنهى المسودة الاولى من الوشم على الظهر تبدا طبقة القطن والصوف فى التدحرج . وببطء تقلب الجسم لتتيح «للمسحاة» فراغا جديدا للكتابة ، فى الوقت نفسه فان الجزء المسلوخ عنه الجلد والذى سبق وشمه يرقد على القطن والصوف وهما معدان خصيصا لامتصاص النزف ومن ثم يجعلان كل شيء معدا لتعميق جديد للوشم ، ثم تقوم هذه الاسنان عند حافة «المسحاة» فيما الجسم يتقلب بابعاد القطن والصوف عن الجراح وإلقاء البقايا الى الحفرة ، ثم يتاح المزيد من العمل «للمسحاة» من هنا فانها تواصل الكتابة اعمق فاعمق طوال الساعات الاثنتى عشرة باسرها ، وطوال الساعات الست الاولى يظل المحكوم نابضا بالحياة كذى قبل على وجه التقريب ويعانى من الالم فحسب ، بعد ساعتين ينزع العكام اللبادى ، ذلك ان المحكوم يكون قد فقد القدرة على الصراخ ، هنا ، الى هذا الحوض المسخن كهربائيا عن راس «المرقد» ينصب بعض الارز المطهو اللين الذى يمكن للرجل إذا شاء ان ياخذ بقدر ما يستطيع لسانه ان يلعق ، لم يحدث ان اهدر احدهم هذه الفرصة ، ليس بوسعى أن أتذكر احدا اضاعها ، وتجربتى عريضة ، فى حوالى الساعة السادسة فحسب يفقد الرجل كل رغبة له فى الأكل ، عادة ما انحنى هنا فى هذه اللحظة واراقب هذه الظاهرة ، نادرا ما يبتلع الرجل لقمته الأخيرة ، إنه يديرها فحسب فى فمه ثم يبصقها الى الحفرة . يتعين على أن انحنى فى هذه اللحظة ذاتها وإلا فانه يبصقها فى وجهى لكن اى هدوء ذلك الذى يغمره فى حوالى الساعة السادسة ! إن الاستنارة تحل باقل الناس لماحية ، تبدأ



حول العينين . من هناك تشع . تلك لحظة قد تغرى المرء بان يهبط معه تحت «المسحاة» ، ثم لا يحدث المزيد عقب ذلك ، يبدأ الرجل فحسب فى فهم الوشم ، يزم شفتيه كما لو كان يصغى . لقد رايت كم هو عسير ان يتبع المرء الوشم بعينيه لكن رجلنا يتتبعه بجراحه ، من المؤكد ان تلك مهمة صعبة ، فهو بحاجة الى ست ساعات لينجزها ، فى هذا الوقت تكون «المسحاة» قد اخترقته تماما فتلقيه الى الحفرة حيث يسقط فى الدم والماء وفريج القطن والصوف ، عندئذ يكون الحكم قد نفذ فنقوم ـ اعنى الجندى ـ وانا بدفنه» .

كان المستكشف قد مال باذنيه ناحية الضابط وراح ـ وقد وضع يديه فى جيوب سترته ـ يراقب الالة وهى تعمل ، راح المحكوم يراقبها بدوره ، ولكن دونما فهم ، انحنى للامام قليلا وتركز انتباهه على الابر المتحركة حينما قام الجندى بايماءة من الضابط بتمزيق قميصه وسرواله بالطول من الخلف باستخدام سكين ، بحيث سقطا الى الارض ، حاول ان يمسك بملابسه المتهاوية ليغطى عريه ، لكن الجندى رفعه فى الهواء وجرده من بقاياها ، اوقف الضابط الالة وفى غمار السكون المفاجىء تم إرقاد المحكوم تحت «المسحاة» ، اطلق من الاغلال واحكم تثبيت الاطواق بدلا منها ، وفى اللحظة الاولى بدا ذلك بمثابة راحة على وجه التقريب للمحكوم ، الآن تم تثبيت « المسحاة » على مسافة اقرب قليلا حيث ان الرجل كان نحيفا ، وحينما مسته اطراف الابر امتدت رعشة بطول جلده . فيما كان الجندى مشغولا باحكام تطويق يده اليمنى ، القى المحكوم بذراعه اليسرى عشوائيا ، لكن تصادف ان كانت في اتجاه المستكشف . واصل الضابط اختلاس النظر إلى هذا الأخير كما لو كان يسعى إلى ان يقرا من ملامح وجهه الانطباع الذى تركه تنفيذ الحكم عنده وهو التنفيذ الذى تم على الاقل شرحه بصورة خاطفة .

تحطم طوق الرسغ ، ربما كان الجندى قد جذبه فاحكمه باكثر مما ينبغي ، اضطر الضابط للتدخل ، فقد رفع الجندى الجزء المكسور ليريه إياه ، لذا مضى الضابط نحوه وقال ووجهه لا يزال متحولا باتجاه المستكشف : « تلك الة بالغة التعقيد ، وهناك اشياء تتحطم او تتداعى هنا وهناك ولكن على المرء الا يسمح لنفسه من خلال هذا بأن ينحرف بحكمه العام ، وعلى اية حال فان هذا الطوق يمكن جعله جيدا بسهولة ، إذا استبدل بسلسلة ، وبالطبع فان رهافة الذبذبات المنسابة للذراع الأيمن سوف تتاثر قليلا » . وفيما كان يحكم تثبيت السلسلة اضاف قائلا : « لقد خفضت المصادر المتاحة لصيانة الآلة من الوقت الراهن بشكل كبير للغاية . فى عهد القائد السابق كان تحت تصرفي مبلغ من المال مخصص للاصلاحات من كافة الأنواع . اعترف بانني كنت مسرفا فى إنفاقه ، اعنى فى الماضى ، لا الآن على نحو ما يدعي القائد الجديد الذى يبحث دائما عن تعلة

طريقتنا القديمة فى إنجاز الأمور . وفي الوقت الراهن فانه يشرف على الاموال المخصصة للآلة بنفسه ، وإذا طلبت طوقا جديدا فانهم يطالبون بالطوق القديم كدليل على صحة ماطالب به والطوق الجديد يحتاج إلى عشرة ايام لكي يظهر ثم يتضح انه من مادة هشة وليس جيداً . ولكن كيف يفترض ان اقوم بتشغيل الآلة دون طوق .. ذلك امر لا يكترث له احد » .

راح المستكشف يحدث نفسه : إنه لأمر دقيق دائما ان يتدخل المرء بشكل حاسم فى شئون الآخرين . لم يكن عضوا فى مستعمرة العقاب ولا مواطنا فى الدولة التى تنتمي إليها ، فلو انه قام باستنكار تنفيذ هذا الحكم او حاول بالفعل إيقافه لكان بمقدورهم ان يقولوا له : « انت غريب ، عليك بالاهتمام بشئونك » ولن يكون بوسعه ان يرد على هذا مالم يضف بانه مندهش من نفسه فى هذا الصدد ، فقد كان يرتحل بوصفه مراقبا لاغير دون ان يعتزم تغيير اساليب الآخرين فى تنفيذ العدالة ، ومع ذلك فانه يجد نفسه هنا تحت طائلة إغراء قوي بان يقوم بذلك فقد كان ظلم هذا الاجـــــراء ولاإنسانية التنفيذ امرين لا يمكن إنكارهما . مامن احد كان بوسعه ان يفترض انه لديه اهتمام اناني بالامر . كان المحكوم غريبا تماما عنه ، لم يكن من مواطنيه كما انه لم يكن يتعاطف معه على الاطلاق . وكان لدى المستكشف ذاته توصيات من دوائر عليا وقد تم استقباله هنا بقدر رفيع من المجاملة ، وقد بدت حقيقة انه دعي لشهود تنفيذ الحكم ذاتها وكانها تشير إلى ان وجهات نظره ستكون محل ترحيب ، وقد كان احتمال ذلك كبيرا حيث ان القائد كما لو انه استمع الآن بوضوح بالغ ممن لا يناصرون هذا الاجراء وراح يتبنى موقف العداء على وجه التقريب من الضابط .

فى هذه اللحظة سمع المستكشف الضابط يصرخ فى غضب . كان قد دفع لتوه الكعام اللبادى بمشقة كبيرة في فم المحكوم حينما اغمض الرجل فى غمار تواصل لا يقاوم للدوار عينيه وتقيأ . ابعده الضابط مسرعا عن الكعام وحاول الامساك براسه فوق الحفرة ، لكن الوقت كان قد فات ، حيث تدفق القيء عبر انحاء الآلـــة .

صاح الضابط وهو يهز القضبان النحاسية المواجهة له دون وعي : « هذا كله خطا ذلك القائد ! لقد فسدت الآلة باسرها فغدت مثل حظيرة خنزير » بيدين مرتعدتين اشار للمستكشف موضحا ما حدث : « لو انني لم احاول لساعات فى كل مرة جعل القائد يفهم ان السجين ينبغي أن يصوم يوما كاملا قبل تنفيذ الحكم ، لكن صاحب المذهب الجديد المعتدل يفكر بطريقة اخرى ، حيث تحشو نساؤه فم الرجل بالحلوى قبل ان يقاد إلى هنا . عاش طوال حياته يقتات السمك المتعفن والآن عليه ان يبتلع الحلوى ! ولكن لم لا يحصلون لي على كعام لبادي جديد وهو ما كنت استجديه طوال الشهور الثلاثة الماضية . كيف لا يشعر رجل بالغثيان حينما يلتقم في فمه كعاما لباديا التقمه وقرضه مئات الرجال فى لحظات احتضارهم ؟ » .

كان المحكوم قد وضع راسه ارضا وبدا على محياه السلام ، كان الجندى منهمكا فى محاولة تنظيف الآلة بقميص المحكوم . تقدم الضابط نحو المستكشف الذى تراجع للخلف بحس داخلى مسبق غامض . لكن الضابط امسكه بيده ، جذبه متنحيا به ، وقال : « اود ان اتبادل بضع كلمات قلائل معك بصورة حميمية ، هل استطيع ذلك ؟ » قال المستكشف مصغيا بعينين ارخيت اهدابهما إلى الأرض : « بالطبع »

قال الضابط : « إن هذا الاجراء وتلك الطريقة فى التنفيذ اللذين تبدى الاعجاب بهما الآن ، لم يعد لهما فى الوقت الراهن انصار فى مستعمرتنا ، إننى نصيرهما الوحيد ، وفى الوقت نفسه النصير الوحيد لتقاليد القائد القديم ، لم يعد بوسعي ان اراهن على المزيد من العمل بهذا الأسلوب ، وصيانة هذه الآلة تستنفد كل طاقتي . خلال حياة القائد القديم كانت المستعمرة تحفل بانصاره . إننى لازلت اتمتع بمقدرته على الاقناع إلى حد ما لكني لا املك ذرة من سلطته ومن هنا فقد تبدد الانصار . لايزال هناك العديد منهم ، لكن ايا منهم لن يقر الآن بذلك ، ولئن مضيت اليوم إلى المقهى ، وهو يوم لتنفيذ الحكم ، واصغيت لما يقال لاستمعت فحسب إلى ملاحظات متضاربة ، هذه الملاحظات سيطرحها جميعا انصاره لكنهم فى ظل القائد الحالي ومبادئه الراهنة لانفع فيهم ولا غناء . الآن اسائلك : ابسبب هذا القائد والنسوة اللاتي يؤثرن فيه تتداعى هذه المعجزة العملية .. انجاز العمر كله » ــ اشار إلى الآلة ــ « إلى هوة الاهمال ؟ اينبغى على المرء ان يترك ذلك يحدث ؟ حتى وإن كان قد جاء غريبا إلى جزيرتنا لايام قلائل ؟ ومع ذلك فليس هناك وقت يهدر ، فثمة هجوم من نوع ما يوشك ان يقع على عملى كقاض . فالمؤتمرات تعقد بالفعل فى مكتب القائد ويحال بينى وبين شهودها ، بل إن حضورك هنا اليوم يبدو لي خطوة هامة ، إنهم

جبناء ، ولسوف يستخدمونك كستار ، انت ، الغريب ، كم كان مختلفا تنفيذ الحكم فى الأيام الخوالي ! قبل الاحتفال بيوم كامل كان الوادى يحتشد بالناس . يقبلون جميعا للمشاهدة ، فى ساعة مبكرة من الصباح يقبل القائد ومعه سيداته ، توقظ الابواق المعسكر بكامله ، كنت اقدم تقريرا بان كل شيء على اهبة الاستعداد ، فتقوم الصحبة المجتمعة بتنظيم نفسها حـــول الآلة . ماكان موظفا على الرتبة ليجرؤ على الغياب . هذه الكومة من المقاعد الخيزرانية هي شاهد بائس باق من هذا العهد ، كانت الآلة تلتمع بعد تنظيفها حديثا . كنت احصل على قطع غيار جديدة لكل عملية تنفيذ للحكم على وجه التقريب . وامام مئات من المشاهدين يقفون جميعا على اطراف اصابعهم بطول القامات هناك يرقد المحكوم تحت « المسحاة » على يد القائد ذاته ، وما يترك الآن لجندى عادى للقيام به كان فى ذلك الوقت هو مهمتي ، اي مهمة القاضي الرئيسى ، وكان ذلك تشريفا لي ، وعندئذ يبدا تنفيذ الحكم ؛ مامن ضجة عارضـــة كانت تفسد عمل الآلة . كثيرون لم يكونوا يكترثون بمراقبتها وإنما يرقدون باعين مغمضة على الرمل . إنهم يعلمون جميعا ان العدالة تاخذ الآن مجراها ، وما كان المرء فى غمار الصمت ليسمع إلا تنهدات المحكوم وقد خنقهاالكعام اللبادي اوأوشك على خنقها . الآن لا تستطيع الآلة ان تنتزع من احد تنهيدة اعلى مما يمكن للكعام خنقه ، ولكن فى تلك الايام الخوالى كانت الابر الكاتبة تسقط دفقا حمضيا لم يعد يسمح لنا باستعماله اليوم ، ثم تدق الساعة السادسة ! كان من المستحيل الموافقة على كافة الطلبات المقدمة للسماح بمراقبة ما يحدث فى الساعة السادسة عن كثب . اصر القائد بحكمته على أن تكون الأفضلية للأطفال . كنت دائما على مقربة بالطبع بسبب منصبى ، وما يخلعه علي من امتياز . كنت امكث هناك مصطحبا طفلين ، كيف كنا جميعا نمتص نظرة التحول المرتسم على وجه من يعانى العذاب . كيف كنا نمسح خدودنا فى وهج تلك العدالة التى تحققت اخيرا والتى سرعان ما تذبل ! اى اوقات كانت تلك يا رفيقى ! «كان من الواضح ان الضابط قد نسي هوية من يخاطب ، كان قد عانق المستكشف ووضع راسه على كتفه . احس المستكشف بحرج بالغ فراح يحدق فى نفاذ صبر عبر رأس الضابط . أنهى الجندى مهمة التنظيف التى كان يقوم بها ، وهو الآن يصب الأرز اللين من وعاء الحوض المخصص له . وبمجرد ان لاحظ المحكوم الذى بدا أنه قد استرد تماسكه كلية هذه الحركة حتى شرع فى محاولة الوصول الى الأرز بلسانه . واصل الجندى دفعه جيدا حيث ان الأرز اللين قد اعد لاستخدامه فى مرحلة تالية بالتأكيد غير انه لم يكن من المناسب وبنفس الدرجة ، أن يقوم الجندى نفسه بغمس يديه القذرتين فى الحوض وراح يلتهم الأرز أمام وجه المحكوم المتطلع .

استجمع الضابط قواه سريعا .. قال : «لم ارغب فى مضايقتك . اعلم انه من المستحيل جعل تلك الأيام الخوالى شيئا قابلا للتصديق الآن ، وعلى اية حال فان الآلة لاتزال تعمل ولاتزال فعالة فى ذاتها ، إنها فعالة بذاتها حتى وإن كانت تنتصب وحيدة فى الوادى ، ولاتزال الجثة تسقط بحركة دافعة رقيقة على نحو لا يدرك ، حتى وان لم يعد هناك المئات من الناس يتكدسون حول المكان مثل الذباب كما كان يحدث من قبل . كنا نضطر فى تلك الأيام الى وضع سور قوي حول الحفرة ، وقد بنى هذا السور منذ وقت طويل .

اراد المستكشف ان يشيح بوجهه بعيدا عن الضابط وان يتطلع حوله على نحو عشوائى ، ظن الضابط انه يرمق بنظرته اقفرار الوادى ، لذا فقد امسك بيديه . جعله يلتفت اليه ليقابل عينيه .. ساله : «هل تلاحظ العار فى هذا الأمر ؟» .

لكن المستكشف لم يتلق جوابا . تركه الضابط وحده قليلا . وقف جامدا تماما وقد باعد ما بين ساقيه ، ووضع يديه على مؤخرته وحدق فى الارض . ابتسم مشجعا المستكشف ، وقال : «كنت قريبا منك للغاية حين حينما وجه القائد الدعوة لك . سمعته يوجهها . إننى اعرف القائد ، وقد حدست فى الحال ما يسعى اليه . فعلى الرغم من ان لديه من السلطة ما يكفى لاتخاذ

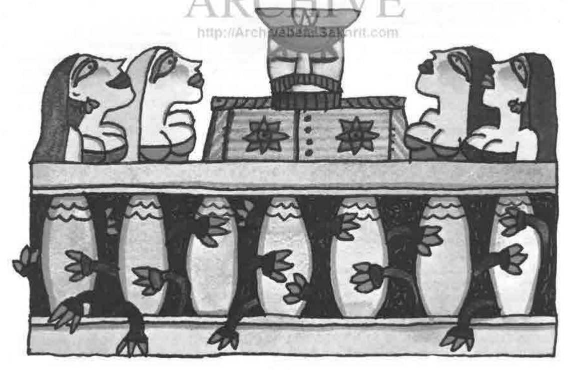


اجراءات ضدى ، فانه لا يجرؤ على القيام بذلك ، لكن من المؤكد انه يعتزم استخدام حكمك ضدى .. حكم رجل اجنبى له قدره . لقد حسب الامر بعناية . ذلك هو اليوم الثانى لك على ارض الجزيرة ، انت لا تعرف القائد القديم واساليبه ، تحكمك الاساليب الأوربية فى التفكير . ربما كنت تعترض من حيث المبدا على عقوبة الاعدام بصورة عامة ومثل اجهزة الموت الميكانيكية تلك بصفة خاصة ، والى جوار ذلك فسوف تدرك ان تنفيذ حكم الاعدام لا يلقى تاييدا من الجمهور . فعل بائس ، ينفذ بالة اصبحت بالفعل عتيقة بالية الآن ، أخذا بكل ذلك فى الاعتبار (على هذا النحو يفكر القائد) . الن يكون من المحتمل انك لن توافق على اساليبى ؟ واذا كنت لا توافق عليها الن تخفى الحقيقة (لازلت اتحدث من منظور القائد) حيث انك من نوعية الرجال الذين يعتمدون على استنتاجاتهم المجربة ؟ حقا إنك شاهدت وتعلمت ان تقدر السمات الغريبة لشعوب كثيرة . ومن هنا فانه لا يحتمل ان تتبنى موقفا قويا ضد اجراءاتنا على نحو ما كان يمكن ان تفعل فى بلادك ، لا يتعين حتى ان تمثل ما تعتقده حقا طالما انها يمكن ان تستخدم بشكل خاص لخدمة غرضه ، لسوف يحاول استدراجك باسئلة ماكرة إنى لعلى يقين من هذا ، ستجلس سيداته حولك ويرهفن السمع . قد تقول شيئا من هذا القبيل : «لدينا فى بلادنا طريقة اخرى لتنفيذ العدالة» او «فى بلادنا تتاح للسجين فرصة الدفاع عن نفسه قبل الحكم عليه» او «إننا لم نستخدم التعذيب منذ القرون الوسطى» كل هذه العبارات صحيحة بقدر ما تبدو طبيعية بالنسبة لك ، مجرد ملاحظات لا تصدر حكما على اساليبى ، ولكن على اى نحو سيستجيب القائد لها ؟ بوسعى ان اراه ، قائدنا الطيب وهو يدفع بكرسيه على الفور ويندفع الى الشرفة ، بمقدوري ان ارى سيداته وهن يتدفقن فى اعقابه . أستطيع ان اسمع صوته . ذلك الصوت الذى تصفه السيدات بانه صوت الرعد . واليك ما سيقوله : «إن محققا غربيا شهيرا ارسل لدراسة الاجراءات العقابية فى كافة دول العالم ذكر لتوه ان تقليدنا العتيق فى تنفيذ العدالة هو تقليد لا انسانى ، وصدور مثل هذا الحكم عن مثل هذه الشخصية يجعل من المستحيل بالنسبة لي الابقاء على هذه الطرق اكثر من ذلك . ومن هنا واعتبارا من اليوم فاننى امر بأن» .. وما الى ذلك . وقد ترغب فى القول بانك لم تقل على الاطلاق شيئا كهذا وانه لم يحدث ابدا ان وصفت أساليبى بأنها غير انسانية ، وانه على العكس فتجربتك العميقة تحملك على الاعتقاد بأنها أكثر الأساليب انسانية واتفاقا مع الكرامة الانسانية وأنك تعجب بالآلة الى حد كبير ، لكن الوقت سيكون قد تاخر ، ولن تصل الى الشرفة حيث ستكون مزدحمة بالسيدات ، وقد تحاول جذب الانتباه اليك لكن يد احدى السيدات ستطبق شفتيك

وسينتهى امرى وأمر القائد القديم» .

اضطر المستكشف الى إخفاء ابتسامة اوشكت ان تلوح . إذن فهى سهلة للغاية تلك المهمة التى كان يشعر بانها عسيرة للغاية . قال مراوغا : «إنك تبالغ فى تقدير نفوذى . لقد قرا القائد خطابات التوصية التى جلبتها معى ، وهو يعرف اننى لست خبيرا فى الاجراءات العقابية ، واذا كان لي أن ابدى رايا فسيكون ذلك بصفتى الخاصة ، وهو راى لا يزيد تاثيره عن راى اى شخص عادي ، واقل تاثيرا على اية حال من راى القائد الذى يتمتع فيما يسعنى ان ادرك بسلطات واسعة فى مستوطنة العقاب هذه . وإذا كان موقفه من اجراءاتك قاطعا فى عدائه على نحو ما تعتقد فاننى اخشى ان نهاية التقليد الذى تتبعه وشيكة حتى بدون اية مساعدة متواضعة من جانبى .

هل وضح الامر للضابط اخيرا ؟ لا .. فهو لم يفهم بعد . هز راسه فى عناد . اختلس نظرة قصيرة الى المحكوم والجندى اللذين كفا عن إلتهام الارز معا ، واقترب من المستكشف ، ودون ان ينظر الى وجهه ثبت الضابط عينه على بقعة ما فى سترته وقال بصوت أكثر انخفاضا عن ذى قبل : «إنك لا تعرف القائد ، وتشعر بنفسك ـ ولتغتفر لي هذا التعبير ـ وكأنك لا منتم فيما يتعلق بنا جميعا . ومع ذلك ، صدقنى ، فان نفوذك لا يمكن التهوين من شانه . لقد سررت ببساطة حينما سمعت انك ستشهد تنفيذ الحكم بمفردك ، رتب القائد الامر ليوجه لطمة لى . ولكنى ساحولها لصالحى . لقد سمعت ايضاحاتى . شاهدت الالة وانت فى طريقك الآن لتشهد التنفيذ دون ان يضلك همس كذوب ونظرات مفعمة بالاحتقار وهو ما كان يتعذر تجنبه لو ان جمعا من الناس شاهد التنفيذ . لقد كونت دون شـــك حكمـــك الخـــاص ، وإذا كانت لاتزال لديك بعض الشكوك الصغيرة تراودك فان مشاهدة الحكم ستحمسها . الآن اوجه إليك هذا الطلب ، ساعدنى ضد القائد !» لم يدعه المستكشف يواصل الحديث صاح : «كيف يمكننى القيام بهذا ؟ إنه مستحيل تماما . لا استطيع مساعدتك او عرقلتك» قال الضابط : «نعم ، تستطيع» ، بخوف يقينى من شر مرتقب راى المستكشف الضابط وقد ضم قبضتيه ، كرر هذا بمزيد من الاصرار : نعم ، تستطيع ، لدى خطة من المحتم انها ستنجح ، انت تعتقد أن نفوذك غير كاف ، وانا اعلم انه كاف ، ولكن حتى إذا سلمنا بانك محق اليس من الضرورى حفاظا على هذا التقليد ان تجرب حتى ما قد يبـــدو غيـــر كاف ؟ اصغ الى خطتى إذن ، إن اول شىء ينبغى عليك القيام به أن تكون كتوما بقدر الامكان فيما يتعلق بحكمك على هذه الاجراءات ، وما لم يوجه اليك سؤال مباشر فعليك الا تقول شيئا على الاطلاق ، وما ينبغى ان تقوله يتعين ان يكون مقتضبا وعاما ، دعهم يلاحظون انك تؤثر الا تناقش الأمر وانك قد ضقت ذرعا به ، وانك لو تركت لنفسك العنان لاستخدمت اسلوبا عنيفا ، إننى لا اطالبك بطرح اية اكاذيب ، على الاطلاق ، ينبغى ان تطرح إجابات مقتضبة مثل : «نعم لقد شاهدت تنفيذ الحكم» او «نعم ، لقد تم ايضاح الامر لي» كذلك فحسب ولا مزيد ، هناك من الاسباب ما يكفى لتبرير اى نفاذ صبر تبديه وإن لم يكن بالقدر ذاته الذى سيحسه القائد ، بالطبع سيخطىء فى تفسير ما تقصده وسيفسره على نحو ما يرضيه ، وذلك هو ما تعتمد عليه خطتى ، سيعقد غدا فى مكتب القائد مؤتمر كبير يشهده كافة المسئولين الاداريين الكبار ويتولى رئاسته القائد ، وبالطبع فان القائد ينتمى إلى تـــلك النوعية من الناس التى يمكن ان تحول هذه المؤتمرات الى محافل عامة ، لقد شيد معرضا يحفل دائما بالنظارة ، وانا مضطر لشهود هذه المؤتمرات ، لكنها تجعلنى احس بالغثيان ، الآن وأيا كان ما يحدث فمن المؤكد انك ستدعى لشهود هذا المؤتمر وإذا ما تصرفت اليوم على نحو ما اقترح فان توجيه الدعوة اليك سيصبح امرا عاجلا ، ولكن اذا لم توجه اليك الدعوة لسبب غامض فعليك ان تطلب توجيه الدعوة لك ، وعندئذ فليس هناك شك فى انها ستوجه اليك ، وهكذا فانك ستجلس غدا فى مقصورة القائد مع



السيدات . سيواصل التحديق نحوك ليتاكد من انك هناك . وبعد العديد من الامور التافهة والمثيرة للسخرية المطروحة لمجرد التاثير فى جمهور الحاضرين وهى غالبا من عمال الميناء ، لا شيء غير عمال الميناء ! سيطرح نظامنا القضائى للمناقشة كذلك ، فاذا لم يطرحه القائد او اذا لم يطرحه بالسرعة الكافية فساخذ على عاتقى ان يرد ذكره ، سانهض واقفا واقدم تقريرى عن وقوع تنفيذ الحكم اليوم ، باقتضاب بالغ ، مجرد اشعار ، ومثل هذا الأشعار ليس امرا معتادا لكنى ساقوم بتقديمه . سيشكرنى القائد كالمعتاد بابتسامة ودودة ثم لن يستطيع ان يكبح جماح نفسه ، لسوف ينتهز الفرصة الممتازة المتاحة ، سيقول لك على هذا النحو او بكلمات مماثلة : «ذكرتم ان عملية تنفيذ لحكم اعدام قد تمت واود ان اضيف فحسب ان هذه العملية قد شاهدها المحقق الشهير الذى شرف كما تعلمون جميعا جزيرتنا على نحو استثنائى بزيارته لنا ، ويساهم وجوده اليوم فى جلسة اليوم من مؤتمرنا كذلك فى اضفاء الاهمية على هذه المناسبة ، الا ينبغى علينا الآن ان نطلب من المحقق الشهير ان يقدم لنا حكمه على طريقتنا التقليدية فى تنفيذ حكم الاعدام والاجراءات المؤدية إلى اصداره؟» بالطبع سيدوى تصفيق عال وموافقة عامة . وساكون اكثر اصرارا من الجميع . ينحنى القائد ويقول لك : «إذن فاننى باسم الجماعة الحاضرة هنا اطرح هذا السؤال عليك» الآن تدنو من مقدمة المقصورة ، ضع يديك حيث يستطيع الجميع مشاهدتهما وإلا فان السيدات سيمسكن بها ويعتصرن اصابعك ، واخيرا بوسعك ان تتحدث عاليا ، لست ادرى كيف ساتحمل توتر انتظار هذه اللحظة . لا تكبح جماح نفسك حين تتحدث ، اعلن الحقيقة بصوت عال ، انحن على مقدمة المقصورة ، اجل ، حقا ، اصرخ بحكمك . لاتهتز فى وجه القائد . ولكن لعلك لا تكترث للقيام بهذا ، إنه لا يتفق مع شخصيتك ربما كان الناس فى بلادك يقومون بهذه الامور على نحو مختلف ، طيب ، هذا مناسب كذلك ، سيكون هذا فعالا بالدرجة ذاتها ، بل حتى لاتقف ، قل كلمات قلائل فحسب ، انطقها حتى همسا بحيث ان المسئولين الماثلين باسفل المقصورة وحدهم يسمعونك ، سيكون ذلك كافيا تماما ، مامن حاجة تدعوك إلى ذكر الافتقار للتاييد الجماهيرى لحكم الاعدام ، العجلة المقرقعة ، الطوق المكسورة ، الكمام اللبادي القذر ، لا ، ساحمل كل هذا على كاهلي ، وصدقني ، فلئن لم يجبره اتهامى على الخروج من قاعة المؤتمر فانه سيرغمه على الركوع على ركبتيه ليدلي باقراره : « ايها القائد القديم ، إننى انحنى تواضعا بين يديك » تلك هى خطتى لتساعدنى فى تنفيذها ؟ ولكنك بالطبع على استعداد لذلك ، وما هو اكثر من ذلك انه يتحتم ان تكون على استعداد لذلك » وامسك الضابط بكلتا يدي المستكشف وراح يحدق فيه وقد ثقل



تنفسه ، كان قد صرخ عاليا بجملته الاخيرة بحيث ان الجندى والمحكوم فزعا فوقفا منتبهين ، لم يفقها كلمة واحدة ، لكنهما كفا عن تناول الطعام وتطلعا الى المستكشف وهما يمضغان لقيماتهما السابقة التى ابتلعاها من قبل .

منذ البداية ذاتها لم يراود المستكشف شك حول طبيعة الرد الذى ينبغى ان يطرحه ، فقد عرك طوال عمره الكثير من الاحداث بحيث لم يخالجه الشك هنا ، كان إنسانا شريفا فى اعماقه لا يعرف الخوف ، ومع ذلك فقد تردد الآن امام الجندى والمحكوم لوقت يكفى ليلتقط المرء نفسا واحدا ، غير انه اخيرا قال ما تعين عليه ان يقول : «لا» ، رمش الضابط بجفنيه مرات عديدة لكنه لم يحول عينيه بعيدا ، تساءل المستكشف : « اتود ان اوضح لك الأمر ؟ » اشار الضابط موافقا فى صمت اخرس ، عندئذ قال الضابط : « إننى لا اوافق على الاجراء الذى تتبعه حتى قبل ان تمنحنى ثقتك ، وبالطبع فاننى لن اخون تلك الثقة بحال ، كنت اتساءل بالفعل عما إذا لم يكن من واجبى ان اتدخل وعما إذا كان تدخلى ستتاح له فرصة النجاح ، ادركت إلى من ينبغى ان اتوجه ، الى القائد بالطبع ، وقد جعلت انت هذه الحقيقة اكثر وضوحا ، ولكن دون ان تدعم قراري ، بل الأمر على العكس ، فقد اثر في اقتناعك المفعم إخلاصا وإن كان لم يستطع التاثير فى حكمى »

ظل الضابط صامتا ، التفت إلى الآلة ، امسك باحد القضبان النحاسية ، حدق فى «المصمم» كما لو كان يؤكد لنفسه ان كل شيء على مايرام ، بدا الجندى والمحكوم كما لو كانا قد وصلا إلى فهم من نوع ما للأمر ، كان المحكوم يومىء باشارات للجندى رغم صعوبة تحركاته بسبب الأطواق المحكمة ، كان الجندى منحنيا فوقه . همس المحكوم بشيء ما ، اوما الجندى موافقا .

تبع المستكشف الضابط ، قال : « إنك لا تعلم بعد ما اعتزم القيام به ، لسوف احدث القائد بما اعتقده بشان إجراءات العدالة ، هذا مؤكد ، ولكن ليس فى مؤتمر عام ، وإنما فيما بيننا فحسب . كما اننى لن امكث هنا وقتا يتيح لي شهود المؤتمر ، لسوف ارحل فى وقت مبكر غدا ، او على الاقل انتقل إلى سفينتي »

لم يبد ان الضابط يصغى لحديثه . « هكذا فانك لاتجد هذا الاجراء مقنعا » قالها محدثا نفسه وابتسم ، كما يبتسم كهل امام عبث طفولي ومع ذلك يواصل تامله وراء حجاب ابتسامته .

« إذن فقد حان الوقت » قالها الضابط اخيرا ، نظر فجاة إلى المستكشف بعينين براقتين تحملان تحديا ما ، نداء من نوع ما للتعاون ، تساءل المستكشف : « وقت ماذا » لكنه لم يظفر برد .

« انت حر » قالها الضابط للمحكوم باللغة الوطنية للجزيرة ، لم يصدق الرجل فى اول الامر ، قال الضابط : « نعم » لقد اطلق سراحك ، للمرة الاولى تيقظت ملامح الرجل ، انطلقت إلى رحاب الحركة الحقيقية ، اصحيح هذا ؟ ام انها لا تعدو ان تكون نزوة من نزوات الضابط سرعان ما تنقلب ؟ هل استرحمه المستكشف الاجنبى ليعفو عنه ؟ ما الأمر ؟ كان بوسع المرء ان يطالع هذه الأسئلة المرسومة على وجهه ، لكن ذلك لم يدم طويلا ، ايا ما كان الأمر ، اراد ان يكون حرا حقا إذا كان ذلك بمقدوره ، شرع فى الحركة بقدر ما سمحت « المسحاة » له .

صاح الضابط : « ستحطم اطواقى ، ارقد ساكنا ! سرعان ما نفك قيودك » ، انطلق للقيام بذلك مشيرا إلى الجندى ليعاونه . ضحك المحكوم ضحكة خرساء لنفسه ، راح يحول وجهه تارة يسرة ناحية الضابط وتارة يمنه تجاه الجندى ، كما لم ينس المستكشف فى توزيع نظراته .

« اسحبه بعيدا » أصدر الضابط الأمر ، كان ينبغى القيام بهذا ببعض الحذر بسبب « المسحاة » .

غير انه منذ ذلك الوقت فصاعدا لم يبد الضابط اهتماما به ، مضى صوب المستكشف ، اخرج الحافظة الجلدية مرة اخرى ، قلب الاوراق بها ، عثر على الورقة التى كان ينشدها ، عرضها على المستكشف ، قال « اقراها » قال الضابط : « لا استطيع ، سبق ان اخبرتك قبلا بانى لا استطيع فهم هذه المخطوطات » . قال الضابط وقد اقترب الى حد كبير من المستكشف ليطالعا الورقة سويا . ولكن حينما لم يجد ذلك فتيلا قام

الضابط بتحديد الخطوط بخنصره رافعا الاصبع فوق الورقة كما لو كان لا يجرؤ على تلطيخ الورقة باصبعه وذلك لكي يساعد المستكشف على تتبع ماهو مرسوم بالمخطوط بتلك الطريقة . بذل المستكشف جهدا قاصدا ان يبعث السرور فى نفس الضابط فى هذا الصدد على الاقل لكنه عجز تماما عن المتابعة . شرع الضابط الآن فى استهجاء الحروف التى يرمز إليها المخطوط بالرسم حرفا حرفا ، ثم قرا الكلمات عالي . قال « كن عادلا ، هذا هو المكتوب هناك . من المؤكد انك تستطيع قراءتها الان » انحنى المستكشف قريبا للغاية من الورقة بحيث خشي الضابط من انه قد يمسها فجذبها مبتعدا بها ، لم يعقب المستكشف غير انه كان من الواضح انه لا يستطيع تتبع الكلمات . مجددا قال الضابط : « كن عادلا » هذا ما هو مدون هناك . قال المستكشف : « ربما ، إننى على استعداد لتصديقك » . « طيب ، إذن » قالها الضابط وقد احس بالرضا إلى حد ما على الاقل وتسلق السلم حاملا الورقة . بعناية بالغة ووضعها داخل « المصمم » وبدا وكانه يغير وضع كافة العجلات المسننة ، كان ذلك عملا مثيرا للضيق ولابد انه اقتضى معالجة امر عجلات بالغة الضالة ففى بعض الاحيان كانت راس الضابط تختفى كلية عن الناظر داخل « المصمم » .. فعلى هذا النحو الدقيق تعين عليه ان يضبط الآلة .

دون انقطاع راح المستكشف يراقب العمل من اسفل ، تصلب عنقه . المته عيناه من التحديق فى الشمس عبر السماء . كان الجندى والمحكوم مشغولين الآن سويا ، تم التقاط قميص المحكوم وسرواله اللذين كانا ملقيين فى الحفرة بطرف حربة الجندى . كان القميص قذرا على نحو كريه فقام صاحبه بغسله فى دلو الماء ، وحينما ارتدى القميص والسروال لم يتمالك والجندى من كبح قهقهتهما فقد كانت الملابس بالطبع ممزقة من الخلف ، ولربما شعر المحكوم بان عليه ان يرفه عن الجندى ، فراح يدور ويدور امامه فى ملابسه المهلهلة فيما اقتعد الجندى الارض وراح يضرب بركبتيه بيديه فى مرح ، ايا ماكان الامر فقد سيطرا فى التو على مرحهما توقيرا للسيدين .

حينما انهى الضابط اخيرا مهمته باعلى الآلة رمقها فى كافة تفاصيلها مجددا بابتسامة ، لكنه فى هذه المرة اغلق غطاء «المصمم» الذى ظل مفتوحا حتى الآن . هبط السلم ، نظر الى الحفرة ثم إلى المحكوم ، ملاحظا باغتباط ان الملابس قد تم التقاطها ، مضى ليغسل يديه فى مياه الدلو ، ادرك بعد فوات الأوان انه قذر على نحو مقزز ، شعر بالتعاسة لعجزه عن غسل يديه . فى النهاية دسهما فى الرمل ، لم يبعث هذا البديل السرور فى نفسه ، لكنه اضطر لاحتماله . وقف في موضعه وشرع فى فك ازرار



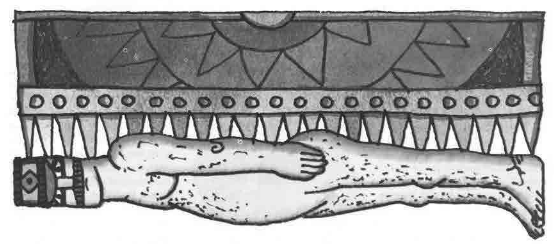
ردائه الرسمي ، فيما هو يقوم بذلك سقط المنديلان النسائيان اللذان كـان قد وضعهما تحت ياقته فتلقفهما . قال : « إليك منديليك » والقى بهما الى المحكوم ، وقال للمستكشف موضحا « إنهما هدية من السيدات » .

على الرغم من العجلة الواضحة التى كان ينزع بها سترة زيه الرسمي اولا ثم ملابسه بكاملها بعد ذلك فانه كان يمس كل قطعة منها بعناية تفيض بالحب ، بل مرر أصابعه مداعبا على النسيج الفضى الذى يوشي السترة ، وهز إحدى الشرابات معيدا إياها الى وضعها ، كانت هذه العناية العاشقة غير متسقة بالتاكيد مع حقيقة انه بمجرد خلعه لقطعة من ملابسه كان يطيح بها فى الحال بضرب من الانتفاضة الرافضة إلى الحفرة ، كان اخر شيء ترك له هو سيفه الصغير بحزامه . استله من غمده ، حطمه ، جميع الاجزاء المكسورة معاً والغمد والحزام واطاح بها إلى اسفل بعنف بالغ بحيث انها قعقعت وهي فى طريقها إلى الحفرة .

وقف الآن عاريا هناك ، عض المستكشف شفتيه ، التزم الصمت ، كان يعرف تماما ماالذى سيقع ، لكنه لم يكن له الحق فى الاعتراض على اي مما يقوم به الضابط ، إذا كان الاجراء القضائى الذى كان الضابط يؤثره فى طريقه حقا إلى الانتهاء ربما كنتيجة لتدخل الضابط وهو ما يشعر بانه ملتزم به إذن فان الضابط كان يقوم بالشيء الصحيح ، ولو ان المستكشف كان فى موضعه لما تصرف على نحو اخر .

لم يفقه الجندى والمحكوم فى البداية ماكان يجرى ، بل كاناابتداء لا ينظران إلى مايحدث ، كان المحكوم مبتهجا لحصوله على المنديلين ، لكنه ماكان يسمح له بان يتمتع بهما لوقت طويل حيث انتزعهما الجندى بحركة مفاجئة وغير منتظرة ، وكان المحكوم الآن يحاول بدوره انتزاعهما من اسفل الحزام حيث دسهما الجندى لكن هذا الاخير التزم الحذر ، هكذا كانا يتصارعان على نحو يجمع بين الجد والهزل ، حينما وقف الضابط عاريا تماما فحسب جذب الامر انتباههما . بدا المحكوم بصورة خاصة مذهولا بفكرة ان تغيرا عظيما فى المقادير قد غدا وشيك الوقوع للضابط . إن ما حدث له فى طريقه الآن للوقوع مع الضابط ، وربما حتى النهاية ايضا ، اصدر المستكشف الاجنبي فيما يبدو الامر بذلك . هكذا فان هذا هو الثار ، وعلى الرغم من انه هو نفسه لم يعان حتى النهاية إلا انه سيتم الانتقام له حتى النهاية . علت ابتسامة عريضة صامتة وجهه ، تجمدت هناك طوال ما بقى من وقت .

غير ان الضابط كان قد التفت إلى الآلة ، بدا واضحا من قبل بما فيه الكفاية انه مستوعب لها جيدا ، اما الآن فقد كان امرا محيرا على وجه التقريب ان يرى المرء كيف يديرها فتذعن لـــه وتنقاد ، ماكان على يده إلا ان تمتد فحسب إلى



« المسحاة » فتعلو وتهبط مرات عديدة إلى ان تصل للوضع المناسب لتلقى جسمه ، لمس حافة « المرقد » فحسب فشرع بالفعل فى التذبذب ، حل دور الكعام اللبادى فى الاندفاع إلى فمه ، كان بوسع المرء أن يرى انه متردد فى التقامه ، لكنه انكمش بعيدا عنه للحظة واحدة ، سرعان ما اذعن والتقمه ، كان كل شيء جاهزاً ، الاطواق وحدها ظلت مرتخية على الارض ، لكنه كان من الواضح انها غير ضرورية فلم تكن هناك حاجة لاحكام تقييد الضابط ، ثم لاحظ المحكوم ان الاطواق لم تثبت ، ووفقا لما يراه فان الاعدام يكون ناقصا مالم يحكم تثبيت الأطواق ، اشار لاهفا للجندى ، هرعا معا ليحكما تقييد الضابط كان الاخير قد مد احدى قدميه بالفعل ليدفع العتله التى تحرك «المصمم» ، راى الرجلين مقبلين نحوه ، رد قدمه إلى موضعها ، استسلم للقيد ، الآن لم يعد بمقدوره ان يبلغ العتله ، ما كان الجندى ولا المحكوم ليصلا اليها وقد عقد المستكشف عزمه الا يحرك إصبعا ، كان ذلك ضروريا ، فبمجرد ان تم إحكام تثبيت الأطواق شرعت الآلة فى العمل ، تذبذب « المرقد » . لمعت الابر فوق الجلد ، راحت « المسحاة » تعلو وتهبط كان المستكشف يحدق ذاهلا لبرهة قبل أن يتذكر ان هناك عجلة فى « المصمم . كان ينبغى ان تقرقع ، لكن كل شيء كان هادئا ، لم يكن بالوسع سماع ادنى صفير .

ولان الآلة كانت تعمل بصمت بالغ فانها لم تكن لتستقطب الانتباه ، راح المستكشف يراقب الجندى والمحكوم . كان الأخير اكثرهما حركة ، اثار كل شىء فى الالة اهتمامه . كان ينحنى حينا ويشب على أطراف أصابعه حينا اخر ، امتد أصبعه طول الوقت مشيرا للجندى الى تفاصيل عمل الآلة ، اثار ذلك ضيق المستكشف . كان قد قرر ان يمكث حتى النهاية ساكنا لكنه لم يحتمل مراى الرجلين ، كان قد قرر ان يمكث حتى النهاية ساكنا ، لكنـــه لـــم يحتمـــــل مراى الرجلين ، قال : «عودا للدار» ، كان الجندي على استعداد كاف لتنفيذ الامر لكن المحكوم تلقى الأمر كعقاب له . بيدين مضمومتين توسل ليسمح له بالبقاء ، حينما هز المستكشف راسه رافضا ولم تلن قناته ، انحنى المحكوم مبتهلا على ركبتيه ، ادرك المستكشف الا جدوى من الاكتفاء باصدار الاوامر ، وكان على وشك المضى لدفع الرجلين بعيدا . فى هذه اللحظة سمع ضجة فى «المصمم» فوق راسه ، تطلع نحوه ، هل تسبب تلك العجلة المسننة متاعب فى نهاية الامر ؟ لكن الامر كان مختلفا تماما ، إرتفع غطاء «المصمم» ببطء ثم انفتح على سعته ، تجلت اسنان إحدى العجلات المسننة ، اوغلت فى الارتفاع ، سرعان ما ظهرت العجلة بكاملها للعيان ، بدا الامر كما لو ان قوة هائلة من نوع ما راحت تعتصر «المصمم» بحيث لم يعد هناك فراغ يسع العجلة . تحركت العجلة المسننة الى اعلى حتى وصلت الى حافة « المصمم » ذاتها ، سقطت تدحرجت على الرمل على حدها ثم سقطت على وجهها ، لكن عجلة اخرى كانت قد برزت عليا فى اعقابها تتبعها عجلات اخرى كثيرة ، كبيرة ، صغيرة دقيقة على نحو لا يمكن تمييزه ، تكرر الشيء نفسه بالنسبة لكافة العجلات . فى كل لحظة كان المرء يتصور ان « المصمم » ينبغى ان يكون الآن خاويا لكن مجموعة اخرى من عجلات عديدة تكون قد بدت بالفعل للعيان ، سقطت ، تدحرجت على الرمل ، استقرت متسطحة فوقها . جعلت هذه الظاهرة المحكوم ينسي كلية امر المستكشف ، فقد فتنـــة العجلات المسننة . كان طوال الوقت يحاول الامساك باحداها ويهيب فى الوقت نفسه بالجندى ان يساعده ، لكنه يسحب يده فزعا إذ تقبل دائما عجلة اخرى مندفعة تخيفه على الاقل فى اندفاعتها الاولى .

شعر المستكشف من ناحية اخرى باضطراب عظيم ، كان من الجلى ان الآلة تتداعى مزقا ، عملها الصامت لم يكن إلا وهما ، راوده شعور بان عليه الآن ان يقف إلى جوار الضابط حيث ان هذا الأخير لم يعد بمقدوره ان يعنى بنفسه . ولكنه فيما كانت العجلات المسننة المتداعية تستقطب انتباهه كاملا نسي ان يراقب باقى الآلة ، غير انه الآن وبعد ان تركت العجلة المسننة الاخيرة « المصمم » إنحنى على « المسحاة » فتلقى مفاجاة جديدة لا تبعث على السرور ، لم تكن « المسحاة » تكتب وإنما كانت تطعن فحسب ، لم يكن المرقد يقلب الجسم ويدور به وإنما كان يحمله مرتجفا فى مواجهة الابر ، اراد المستكشف ان يفعل شيئا إذا كان ذلك ممكنا لايقاف الآلة باسرها ، فلم يكن ذلك تعذيبا بديعا على نحو ما ارغب الضابط وإنما كان قتلا صريحا . مد ذراعيه ولكن فى تلك اللحظة ارتفعت « المسحاة » والجثمان ملتصق بها على نحو ما فى الساعة الثانية عشرة فحسب ، كان الدم يتدفق فى مئات من النهيرات غير مختلط بالماء . فنفثات الماء لم تؤد عملها بدورها . الان لم يتحقق العمل الأخير ولم ينزلق الجثمان بعيدا عن الابر . وإنما ظل والدماء تتدفق منه معلقا فوق الحفرة دون ان يسقط فيها. حاولت « المسحاة » الارتداد إلى وضعها القديم ولكنها كما لو كانت قد لاحظت بنفسها انها لم تتخلـــص من ثقلهـــــا . جمـدت فـــى النهايـــة حيـث هي فــوق الحفـرة . « اقبـــلا . وساعدا» صرخ المستكشف بالآخرين . امسك بالضابط بنفسه من قدمه . اراد ان يضغط دافعا القدمين فيما الآخران يمسكان بالراس من الطرف المقابل وبذا يمكن تخليص الضابط ببطء من الابر . لكن الآخرين لم يستطيعا ان يحزما رايهما على الاقبال . بل مضى المحكوم بالفعل مبتعدا ، اضطر المستكشف للمضى نحوهما واجبارهما على الوقوف عند راس الضابط . هنا ورغما عنه اضطر الى النظر الى وجه الجثة ، كان على النحو ذاته الذى كان عليه فى الحياة . لم تبد عليه إشارة ظاهرة للخلاص الموعود . وما

عثر عليه الآخرون فى الآلة لم يجده الضابط . كانت الشفتان مطبقتين على نحو صارم والعينان مفتوحتين تحملان التعبير ذاته الذى كان لهما فى الحياة ، نظرتهما كانت هادئة ، مفعمة بالاقتناع ، خلال الجبين نفذ طرف مسمار حديدى كبير .

حينما وصل المستكشف وفى أعقابه الجندى والمحكوم الى الدور الأولى للمستوطنة . أشار الضابط الى إحداها وقال : « هى ذى المقهى » .

فى الطابق الأرضى للدار كان هناك فراغ عميق ، منخفض ، كهفى ، جدرانه وسقفه سودها الدخان ، كان مفتوحاً على سعته باتجاه الطريق ، ورغم أن هذا المقهى لم يكن يختلف كثيرا عن دور المستوطنة الأخرى التى كانت جميعها متداعية حتى بجوار قصر القائد المنيف أعطى المستكشف انطباعاً بتقليد تاريخى من نوع ما ، فاحس بقوة الأيام الخوالى ، دنا منه وفى أعقابه رفيقاه حتى المناضد الخـاوية التى وضعت فى الطريق أمامه . استنشق الهواء البارد الثقيل المنبعث من داخله . قال الجندى : « العجوز مدفون هنا ، رفض الكاهن دفنه فى فناء الكنيسة . لبعض الوقت لم يدر أحد أين يمكن أن يدفن ، لكهنم فى النهاية دفنوه هنا ، مؤكد ان الضابط لم يحدثك بهذا ابدا لأن ذلك هو اقصى ما كان يجعله يشعر بالطبع بالعار ، بل حاول مرارا عديدة نبش قبر العجوز ليلا لكنه كان دائماً يطرد الى البعيد » تساءل المستكشف الذى وجد ان من المستحيل تصديق الجندى : « أين القبر ؟ » ، فى الحال انطلق كلاهما ، الجندى والمحكوم عدوا أمامه وهما يشيران بأيديهما المرسلة على امتدادها فى الاتجاه الذى يتعين ان يكون القبر فيه ، قادا المستكشف حتى الجدار الخلفى حيث كان الرواد يقتعدون مناضد قليلة كانوا فيما يبدو من عمال الميناء ، رجال أقوياء ، بلحى قصيرة مكتملة تلتمع ، لم يكن أحدهم يرتدى سترة ، كانت قمصانهم بالية ، وكانوا مخلوقات فقيرة بائسة ، حينما اقترب المستكشف نهض بعضهم واقفين التصقوا بالحائط ، راحوا يحدقون فيه ، تناثر الهمس حوله: « إنه غريب يريد ان يشاهد القبر » نحوا إحدى المناضد جانبا وتحتها كان هناك حقا قبر حجرى ، كان بسيطا ، منخفضا بما يجعل مائدة تغطيه ، كان هناك نقش عليه بحروف بالغة الضالة ، واضطر المستكشف للانحناء كى يقراه ، كانت الكلمات على هذا النحو : « هنا يرقد القائد القديم ، لقد حفر انصاره الذين ينبغى ان يظلوا حاليا مجهولى الأسماء قبره ووضعوا هذا الحجر . هناك نبوءة تقول بأنه بعد عدد معين من السنوات سينهض القائد من بين الأموات ويقود انصاره من هذه الدار لاسترداد المستعمرة ، ثقوا بهذا وانتظروا ! » حينما قرا المستكشف ذلك ونهض واقفاً ، رأى كافة الواقفين جانبا يبتسمون كما لو كانوا بدورهم قد قراوا النقش والفوه مثيرا للسخرية وتوقعوا ان يوافقهم فيما ذهبوا إليه ، تجاهل المستكشف هذا . وزع بضع قطع من النقود عليهم ، انتظر إلى ان وضعت المائدة فوق القبر مجدداً غادر المقهى ، اتجه الى المرفأ .

الفى الجندى والمحكوم بعض معارفهما فى المقهى فعطلوهما ، ولكن من المحتم انهما تخلصا منهم سريعاً ، فقد كان المستكشف فى منتصف الدرج المؤدى إلى القوارب حينما اقبلا مندفعين فى أعقابه ، ربما ارادا ان يرغماه فى اللحظة الأخيرة على ان يصطحبهما معه ، وفيما كان يساوم النوتى ليجدف به على متن زورقه الى سفينته اندفعا هابطين الدرج فى صمت فلم يكونا ليجرؤا على الهتاف . ولكن فى الوقت الذى وصلا فيه إلى أسفل الدرج كان المستكشف بالفعل داخل القارب والنوتى يجدف مبتعداً عن الشاطىء ، كان يمكن ان يقفزا الى القارب لكن للستكشف رفع حبلا ثقيلا مليئا بالعقد من ارض القارب وهددهما به وهكذا حال بينهما وبين محاولة القفز الى القارب .

قصـــة فرانز كافكـا
ترجمة كامل يوسف حسين



مطاعم و مطابع

فى كافة المطابع العربية كتب معطلة ، وناشرون ومؤلفون يقفون فى طوابير طويلة ، ينتظرون دورهم ليطبعوا مخطوطاتهم ، ويحولونها من نص لقارىء واحد ، إلى نص يقراه الالاف وليس الملايين !

ولا يوجد مطبوع عربى واحد ، يخلو من الاخطاء المطبعية مهما بذل مؤلفه او ناشره من مجهود فى مراجعته وتصحيحه وتدقيقه ، فهذا طبيعى فى مطابع متخمة بالعمل ، يزداد الطلب عليها بشكل يفوق طاقة الاتها ، فما بالك بمصححيها وعمالها !

والسبب فى ذلك الزحام وهذا الخطا ، هو النقص الفاحش فى المطابع العربية ، فبعد أكثر من قرن ونصف القرن على تعاملنا مع المطابع ، مازالت مطابعنا اقل من احتياجاتنا فى العدد والمستوى ، حتى اننا أصبحنا نطبع ـ بالعربية ـ صحفاً وكتبا فى لندن وباريس واثينا !

ما يدعو للعجب أن العواصم العربية لا تخلو من مطاعم ومطابخ على احدث طراز ، ولا تكف عن إنشاء العديد منها كل عام ، فمتى يقتنع المستثمرون العرب ، بان المطابع تدر ربحا نقدياً ـ لا يقل عن « ربحية » المطابخ ؟ !!

أغبى من الحمار

اصبحت مسلسلات التليفزيون العربية جنسا دراميا قائما بذاته ، أهم خصائصه هو الاستطراد والاطناب والثرثرة والتكرار وكل المترادفات التى تؤدى إلى الملل والسام !

ومع أن النقاد قد ملأوا الدنيا صراخا وشكوى وتنديداً وتقريعا وسخرية من هذا الجنس الدرامى السمج والرذيل والمتطفل ، فان واحداً من كتاب الملل أو مخرجى السام أو الاذنين بعرض هذا وذاك لم يتكرم بسماع هذا الصراخ ، فواصل المؤلفون والمنتجون ، انتاج الثرثرة ، وواصلت محطات التليفزيون العربية تشجيع هذا الانتاج ودعمه ، وشراء اكبر كمية ممكنة من ساعاته ، وواصل النقاد اللت والعجن وتكرار الاحتجاج والاستطراد فى التنديد والاطناب فى التقريع ، فاصبح الملل مللين ، والسام سامين ، والمصيبة مصيبتين !

ولم يعد هناك حل لهذه المشكلة المعقدة ، إلا بان نضرب نحن « المشاهدين / القراء » عن متابعة هذا الملل التليفزيونى السقيم الفكر ونمتنع عن قراءة هذا اللت النقدى ، لسبب بسيط جدا ، فالاثنان يحتقران ذكاءنا ، إذ يفترضان أننا أغبى من الحمار الذى يعلمه التكرار ، فى حين لا يعلمنا !

شر البلية

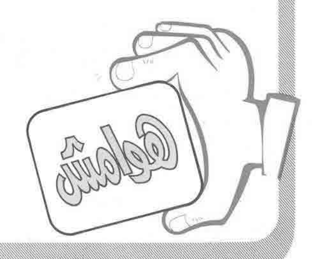
اصبحت قضية « سرقة العقول العربية » ماساة بالثلث والرقعة والكوفى ، وكافة اشكال الخط العربى !

ذلك ما انتهت اليه مناقشة ساخنة ، اشترك فيها عدد من الأدباء والمفكرين العرب ، وطافت بكل اركان المشكلة ، وناقشت ابعادها ، وراجعت الاحصاءات والبيانات ، ونقدت الحكومات والمؤسسات ، ولم تلتمس عذرا للمهاجرين بعقولهم وأجسادهم ، ليقدموا للآخرين خدمات ليسوا فى حاجة اليها بقدر حاجة وطنهم الذى نشاهم ونماهم وانفق عليهم ..

ولم تخل المناقشة من حديث عن الاستعمار والصهيونية ، وطافت بنظرات حول الدول الغنية والدول الفقيرة ، ومقولات عن تراكم التخلف وتراكم التقدم واستعراض لمشاكلنا التى هى اعلى من جبالنا واكبر من صحارينا..

وحين تعبنا من التحليل والتفسير ، قال كاتب عربى كبير :

ـ الحل الوحيد امامنا ان نصدر مشاكلنا العربية الى اوروبا ليقوم العلماء العرب الذين سرقهم الاوروبيون بحلها ، واعادة تصديرها الينا محلولة جاهزة !



يكتبها : أبو نظارة زرقاء

إنقاذ الأذن العربية

ماتت ام كلثوم وفريد الأطرش وعبد الحليم حافظ ، واختلفت فيروز مع الرحبانية ، فتشتت الأذن العربية وسكنتها الركاكة وتبددت بين القبائل التى تزعم انها احق بالخلافة !

غابت « الاصوات القومية » التى لم يكن يتنازع فى قيمتها اثنان ، او يتناطح فى جمالها عنزان ، واية ذلك انها كانت تجمع كل العرب فى الخميس الأول من كل شهر ، او ليلة شم النسيم ، شواما كانوا ام مغاربة ، مقيمين أو مهاجرين ، يركبون طائرة او يقطعون المسافات على ظهر جمل أو حمار !

غابت الأصوات القومية ، وانتشرت المسجلات ، لتنتشر معها الاغنية المحلية ، التى ظلت تتدهور من اغنية قطر واحد إلى ان ظهر مطربون يقتصرون على مدينة او قرية او نجع .. واحيانا لا يعرف احد بهم خارج شارع معين أو بيت محدد !

غابت الاصوات القومية ، فتعملقت اغنية الملاهى ، وانتشر الفرانكو ـ اراب ، وتشتتت آذان الجيـــــل الجـــــديد بين « عدويه » و « ترافولتا » ، وخلى عرش الغناء لمن يزعمون احقيتهم بالخلافة ، فما نجح واحد منهم فى الحصول على أكثر مما يستحق !

والشىء المؤكد ان الاصوات القومية موجودة ، ليس فى الاذاعات ولا فى المسجلات ، ولكن فى القرى والنجوع والضياع .. فانقذوا الأذن العربية التى تبددت بين القبائل ، ابحثوا عن صوت قومى ، وستجدون !

سرقة البقول وسرقة العقول

فى عصر الكاسيت والفيديو كاست والطبع التصويرى ، اصبحنا نحن الكتاب والادباء والفنانين ، كالأيتام على مائدة اللئام !

ذلك عصر يفرض علينا الا نكتفى بالتاليف والتصنيف والتفنين وتنمية مواهبنا ، بل يوجب علينا أن نكتشف مهارات بوليسية ومواهب امنية لنتشمم ونتحسس علنا نكتشف هؤلاء الذين يسرقون مصنفاتنا ويعيدون طبعها ونشرها بتلك الآلات التكنولوجية الرائعة ، دون تعاقد مكتوب ، ودون « مصارى » أو نقود ..

والذين فعلوا ذلك من المؤلفين ـ وهم قلة ـ عادوا بخفى حنين ، فحين فتح الله عليهم وتوصلوا إلى هؤلاء اللصوص التكنولوجيون والاتهم العجيبة ، عجزوا عن فعل شىء ضدهم ، فالقانون العربى الذى يعاقب بصرامة على سرقة حبة من البقول ، يفقد صرامته امام لصوص العقول ، وحتى لو كان القانون صارما ، فان العدل العربى ، مازال يسير بخطى الجمل ، فى عصر النفاثات والسرقة التكنولوجية ، وهو ما ينتهى غالبا بصدور الحكم برفض الدعوى ، بعد ان يكون الورثة قد انتقلوا إلى رحمة الله !

فشكر الله سعيكم .. ولا اراكم مكروها فى عزيز لديكم !

أرسين لوبين ودائرة المعارف الإسلامية

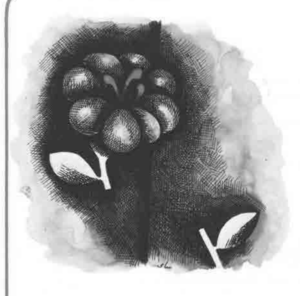
منذ نصف قرن بالتمام والكمال ، ونحن نحاول ترجمة « دائرة المعارف الاسلامية » ومع ذلك لم ننجح حتى الآن ، ففى عام ١٩٣٣ بدات المحاولة الأولى لترجمة هذه الموسوعة النادرة التى توافرت عليها اجيال متتالية من المستشرقين ، اعادوا عرض التراث الاسلامى فى العقيدة والشريعة والادب والتاريخ والاقتصاد والاجتماع وفى الفن ، وترتيبه على حروف القاموس ، والتبعية لمصادره ونشروه بالانجليزية والفرنسية والالمانية ..

وما كادت الترجمة تصل إلى حرف العين ، حتى توقفت عند المجلد الخامس عشر ، فى الوقت الذى كان جيل جديد من المستشرقين ، يعيد طبع الاصل الاجنبى منقحا ومزودا ، وبعد عشرين عاما من صدور الطبعة الأجنبية المنقحة ، بدانا محاولة اخرى لاعادة نشر الترجمة العربية ، لكن المحاولة توقفت بعد اقل من عشر سنوات ، ولم تصل حتى إلى حرف العين ، ولم تكتمل إلى المجلد الخامس عشر !

وهكذا قرا العالم كله « دائرة المعارف الاسلامية » فى لغاته الحية ، اما نحن العرب المسلمون ، فلم يقراها جيل منا كاملة ابدا ، وقضينا نصف قرن بالتمام والكمال لنترجم ١٦ حرفا من الابجدية ..

العجيب اننا خلال تلك المدة ترجمنا الاعمال الكاملة لاجاثا كريستى وارسين لوبين وشارلوك هولمز وطرزان وروكامبول وجيمس بوند عشرات الترجمات وطبعناها مئات الطبعات .

يا جامعة الدول العربية : صباح الخير !



أسئلة الأشجار

شعر: محمد إبراهيم أبو سنة

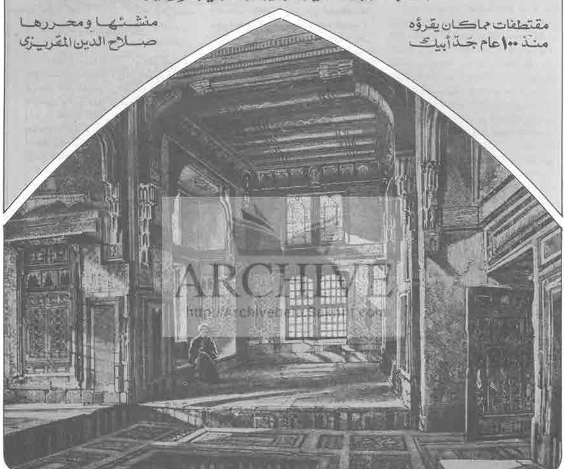
سألتنى فى الليل الأشجار
أن نلقى أنفسنا فى التيار
أن نتجه الى النهر القادم ..
.. من أعماق اليأس إلى أقصى المجهول
نحمله فى ذاكرة محكمة الاغلاق
ثم نفر من الغول
تحت ستار السحب الدامعة العينين
قلت إلى أين ؟.
قالت أرض الله الواسعة الأطراف
تمتد يميناً عند تخوم الدينار
تمتد شمالا عند تخوم الدولار
سألتنى أن أختار
ما بين الجنـــة والنـــار
قلت أحاور قلبى
ـ ما معنى الجنة ياقلبى
ـ قال تجول فى نفسك حتى تصل إلى الانسان
وتجول فى الانسان الى أن تصل إلى وطنك
وتجول فى وطنك حتى تصل إلى الله
قلت وما معنى النار ؟.
قال خواء الأشياء من المعنى
وأن تصبح شيئا كالأشياء
يشرى ويبـــاع
أن تنصاع الى مالا يدخلك إلى ذاتك
أن تسكنك الأشياء الباردة الايقاع
قلت أريد الراحة من تعبى
قال أتعنى الموت ؟.
قلت بل الدنيا فى ميعة بهجتها وصباها
أتمنى أن ألقاها
تخلع عنها أقنعة الكذب الملساء
وتعانقنى فوق فراش النعمة
وأنادمها مع أصحابى الخلصاء
قال وما أهون ما تطلب
اذهب .
تلقاها نائمة فى حضن الغادى والرائح
من يطلبها تطلبه
ومن يعشقها تسكنه هواها
إن كنت تريد الراحة حقاً
ما أسهل أن تلقاها
كنت حسبتك تطلب فردوساً مختلفاً
وطريقاً لم تدهسها الأقدام
كنت حسبتك تطلب يوماً
لم يحدث فى الأيام
كنت حسبتك تبغى زمناً
لا نصف دقيقة
كونا ممتلئا بالأنجم والأسرار وبالأقمار
لا ركنـــا مخنوقاً فى داخل حانه
اذهب
ما أسهل ما تطلب
لكن لا تأخذنى بين ضلوعك
فأنا يملكنى صوت يأتى من أعماق النار
يخلق خارطة أخرى
لبلاد يسكنها الصدق
يدفئها فى الليل العشق
وترفرف فوق منازلها
أعلام الحرية والحق

دوحة الماضي

مجلة ثقافية علمية أدبية صناعية زراعية

منشئها ومحررها
صلاح الدين المقريزي

مقتطفات مماكان يقرؤه
منذ ١٠٠ عام جد أبيك



عزيزي القارئ

الوصايا العشر لكي نتثقف ونتعلم ، كتبها منذ قرن كامل ، مفكر عربي اسمه « علي مبارك » كان مهندسا وقصاصا ومؤرخا ومربيا وفضلا عن هذا وذاك كان مشتغلا بالسياسة ! وعلي مبارك صبي ريفي ، كان مقدرا أن يظل اميا طول عمره ، لكن حبه للتعلم ، دفعه للهرب من قريته ذات يوم من اواسط القرن الماضي ، ليلتحق بأقرب مكتب يتعلم فيه القراءة والكتابة ، ومن هذا « المكتب الريفي » ، بدأت رحلته الشاقة الطويلة التي انتهت بأن أصبح وزيرا للمعارف ..

والوصايا العشر لكي تكون مثقفا كتبها علي مبارك فى كتابه « علم الدين » الذي يعتبره بعض المؤرخين اول رواية عربية ، ويعتبره أخرون نموذجا للريادة فى أدب الرحلات ، لا تقل اهميته عن كتاب أستاذه رفاعة رافع الطهطاوي « تخليص الابريز فى تلخيص باريز » .

وبرغم مرور قرن كامل على إذاعة هذه الوصايا ، فمازالت صالحة للتطبيق ، ذلك انها تتضمن دعوة صريحة لكي يكون العلم هدفا لمنفعة الانسان ، وليس وسيلة للمنافسة والمباهاة والارتزاق .

تلك صيحة قديمة .. ولكنها للأسف ما تزال جديدة جدا .

« المحرر

العـــدد التاسع ـ مايو / آيـار ١٨٨٢ م

دوحة الماضي



.. اعلم يا بنى ان اداب المتعلم كثيرة ، يطول تعداد تفاصيلها ، ولكن اختصرها لك فى عشر جمل تلقيتها عن المشائخ ، تكون لها كالأصول يتفرغ عنها ما عداها :

١ ــ تقويم النفس من رذائل الاخلاق ومذموم الأوصاف ، كالغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر وامثالها ، فكلها من موانع التحصيل وقواطع السبيل .

٢ ــ ان يقلل المتعلم علائقه من الاشتغال بالدنيا ، ويبعد عن الأهل والوطن فان العلائق صارفة وشاغله ، وما جعل الله لرجل من قلبين فى جوفه ، ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتى تعطيه كلك .

٣ ــ ان يداوم فى تحصيل العلم على الاجتهاد والجد ، ويصبر على المشقة والكد ويبذل غاية الوسع والجهد ، ويطرح الكسل والملل ولا يقطع الامل ولا يترك العمل ، ولو طال الأمد وبعد المدد .

٤ ــ ان لا يتكبر على العلم ، ولا يتامر على المعلم ، بل يلقى إليه زمام امره فى التعليم ، وينبغى ان يتواضع لمعلمه ، ويطلب الثواب والشرف بخدمته ، ومن تكبره على المعلم انه يستنكف من الاستفادة ممن يراه خامل الذكر عديم الشهرة ، ولا يرغب فى التعلم إلا من المشهورين وأصحاب المظاهر ، وهو عين الحماقة ، فلا ينال العلم إلا بالتواضع والقاء السمع .

٥ ــ ان يحترز الخائض فى العلم ، فى مبدأ الامر من الاصغاء إلى اختلاف الناس ، سواء كان ما خاض فيه من علوم الدنيا او من علوم الآخرة ، بل ينبغى ان يتقن اولا الطريقة الواحدة الحميدة المرضية عند استاذه ، ثم بعد ذلك يصغى إلى المذاهب والشبه ، واختلاف الآراء ، فان لم يكن استاذه مستقلا باختيار راى واحد ، وانما عادته نقل المذاهب على اختلافها ، فليحذر منه فان اضلاله اكثر من ارشاده ، فلا يصلح الاعمى لقود العميان وارشادهم .

٦ ــ ان لا يدع طالب العلم فنا من العلوم المحمودة ، ولا نوعا من انواعه ، إلا وينظر فيه نظرا يطلع به على مقصده وغايته ثم ان ساعده العمر طلب التبحر فيه ، وإلا اشتغل بالاهم منه واستوفاه .

٧ ــ ان لا يخوض فى فن من فنون العلم دفعة ، بل يراعى الترتيب ، ويبتدىء بالاهم فان العمر اذا كان لا يتسع لجميع العلوم غالبا فالحزم ان يأخذ من كل شيء احسنه .

٨ ــ ان لا يخوض فى فن حتى يستوفى الفن الذى قبله ، فان العلوم مرتبة ترتيبا ضروريا وبعضها طريق الى بعض ، والموفق من راعى ذلك الترتيب والتدريج ، وذلك كترتيب علم الهندسة على الحساب ، فمن خاض فى فن وحاول تحصيله قبل أن يعرف الذى قبله فقد احبط عمله .

٩ ــ ان يعرف السبب الذى يدرك به اشرف العلوم . وذلك يراد به شيئان : احدهما شرف الثمرة ، والثانى وثاقة الدليل ، فعلم الحساب وعلم الطب مثلا : اذا نسبتهما لبعضهما وجدت علم الطب اشرف باعتبار ثمرته ، فان ثمرته حفظ البدن ، وثمرة الحساب حفظ المال . ووجدت علم الحساب اشرف باعتبار قوة أدلته ، فانها يقينيه وملاحظة الثمرة اولى ، ولهذا كان الطب اشرف ، وان كان كثير منه بالتخمين والحساب مبنى على اليقين ..

١٠ ــ ان يكون قصد المتعلم التحلي بالفضيلة ، والتخلي عن الرذيلة ، والتقرب إلى الله عز وجل ، والنفع لاخوانه واهل وطنه وسائر عباد الله تعالى ، فان احب الناس إلى الله انفعهم لعباده . ولا يقصد بتحصيله المفاخرة والمباهاة والمحاسدة للناس ومزاحمة ارباب الوظائف فى وظائفهم ومضايقتهم فى مناصبهم ، وطلب العلم وان كان ممدوحا فى نفسه ، إلا ان من قصده بنية ذميمة كان مذموما بالنسبة له .

من رواية علم الدين

البشري

ماغيمت سماء البعد حتى راينا بدر القرب فى صفاء ولا تكاثفت سحب الاستبداد حتى راينا شمس الحرية فى سماء جونا الصافى يعلم هذا من علم ان البلاد المصرية كانت فى حفظ استبداد من لم يرض للجرائد بحرية العبارة وصدق الخبر فلم يرض بحبس افكاره فيها اكتب الكتاب وامام المنشئين وقدوة المحررين الفاضل الشاعر الناثر ترجمان البلاغة ولسان الفصاحة

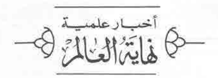
الفيلسوف الغيور على دولته واهلها صديقى الابر وخليلى الاغر اديب افندى اسحق وخرج الى فرنسا وفيها انشا جريدته القاهرة ثم الشرق ثم عاد الى الشام واشتغل بتحرير جريدة التقدم ثم قدم علينا من طريق بورسعيد فاحتفل له شبان العاصمة وابناء امرائها وقابل صاحب الدولة رئيس نظارنا وبقية النظار ثم تشرف بالمثول بين يدى الجناب الخديوى المؤيد بعناية الله ولقى من جلالته وبقية النظار اقبالا واكراما فنهنئ حلفاء الادب واخوان البديع بعودة هذا الصديق الفاضل ونبشرهم بانه سيتلو عليهم من بديع بيانه ايات ويتحفهم بما يتسامر به اديب ويطرب به نديم .


أديب اسحاق

مطبوعات جديدة

« اهدينا الجزء الاول من كتاب « علم الدين » فتصفحنا اكثر ابوابه فوجدناه رحلة نسبت روايتها إلى الشيخ علم الدين . وقد ارتحل من مصر إلى اوروبا فبلغ مدينة مارسيليه ولكن يستطرد فى الكلام إلى وصف الزواج والعائلة والسكة الجديدة والخانات والبوسطة والبحر وعجائبه والبراكين والعرب والجغرافيا والتاريخ والعبادات والانسان ، وهيئة الاجتماع وغير ذلك مما يشهد لمؤلفه العالم العلامة صاحب السعادة علي مبارك باشا بسمو المبادىء وسعة الاطلاع ، وقد حقق لنا الخبر الخبر فضل هذا الشهم وغزارة معارفه ، لأن كتابه وان كان على سبيل الرواية فلا يقل عن خزانة للعلوم والآداب » .

يعقوب صروف
المقتطف



● جاء فى بعض الجرائـــد الفرنسوية ان قد تنبا البعض بنهاية العالم بعد ثلثة اشهر ليس اكثر وان على الخاطىء النـدم فى خلالها وان يكفر عن زلاته . فمن الناس من اخذته الرعدة من هذا الهباء فناح وشكا ومنهم من هزته الخفة فخف وطرب .

وعلى ما جاء فى جريدة التان ان هذا التنبؤ سبب رواجا عظيما فى اسواق النبيذ .

اما الشهر المعين لمنتهى الدنيا وخراب الكرة فهو تشرين الثانى ، وبناء على هذه الاخبار الكواذب التى يسندها المشعوذون الى بعض توجيهات فى حركات الكواكب انقطـــع كثيرون من الفلاحين فى بعض البلدان عن الاشتغال ولزموا منازلهم مفضلين ان يشربوا بنقودهم نبيذا على ان يحفظوها بحيث لا تنفع احـدا . اما نسـاؤهم فامسك نوادب منعزلات مرتديات باردية الحداد متوقعات اليوم العظيم .

فقاتل الله الكذب واهله ما اكثر شجونه واوفر فنونه واشد ملاعبه قوى فى الاذهان واسطاها على قلوب الجهلة من بني الانسان .

● انعم امبراطور روســـيا على شليمن مكتشف اثار مسيني بنيشان التاج من الرتبة الثانية .

● منح مسيو باستور الشهير نيشان الشرف السامي جزاء لما خدم به العلم .

● انتخب مســـيو ورتز رئيس اكادمية العلوم بفرنسا عضوا لمجلس السنات مدى حياته . ومما يستحق الاعتبار ان كثيرين من رجال العلم الفرنساويين قــد ادخلوا فى دوائر الحكومة لتنتفع البلاد منهم فى العلم والسياسة معا ولا عجب لأن العقول التى تسوس ادبيات البشر جديرة بان تسوس مادياتهم ايضا .

فى العـــدد القادم

● أثر العرب والمسلمين فى الهند
بقلم أحمد العنانى

● الرواية البوليسية ومغزاها السياسى
بقلم غالب هلسا

● مع النص الكامل لرواية قصيرة
بقلم الدكتور شكرى محمد عياد

● قصة جديدة بقلم سعد مكاوى

● حوار مع الفنان الجزائرى الطاهر وطـــار
أجرى الحوار د. حسن فتح الباب

● مناقشات جديدة حول اليوت والأدب العربى

قصة

حماقات الصبا

بقلم: عباس خضر

ـ عبد الهادى افندى .. يا عبد الهادى افندى ..

من المنادى ؟ ادفع عمرى الذى اشرف على ارذله .. لقاء هذه الكلمة « عبد الهادى افندى » التى تذكرنى بماض سحيق ، لست الآن افنديا ، فقد لقبت بعد ذلك بالقاب اخرى يخاطبنى الناس بها : سيد ، استاذ ، حاج وان كنت لم احج ..

أعادنى ذلك الصـــوت إلى الشباب او إلى ذكرى الشباب ، حين كنت « عبد الهادى افندى » انه صـــوت نسوى رقيق ليست نبرته غريبة عن اذنى وإن بعد العهد .. ولهذا قلت ادفع عمرى .. الخ .

وما عمرى ؟ وكيف ادفعه ؟ هل له قيمة ؟

دع هذا ، فهو كلام نقوله ولا ندقق فى معانيه .. كلام والسلام !

المهم هى .. التى تنادينى فى الشارع ، التفت ورائى ، فرأيت امرأة تبتسم لى .. ومعها بنت : فتاة عرفت فيها « سعاد » ..

قصدت إليهما ، وتاملت المراة ، فاذا هى « سعاد » لا البنت ، فعل بها الزمن افاعيله ، تضخمت بعض الشىء ، ولم تعد تلك الفتاة الرشيقة التى عهدتها ، وصارت ملابسها تميل الى الاحتشام ، وإن كان احمر الشفاه لا يزال مطبوعا على شفتيها .

قالت لى :

ـ كيف حالك يا عبد الهادى افندى ؟ عرفتك وانت الا تعرفنى ؟ انا سعاد .



ـ نعم ، سعاد ، اهلا بك يا سعاد ، ومن هذه ؟

ـ هذه سعدية ابنتى .

قلت وقد انتبهت تماما :

ـ ا ... هى ابنتك اذن ، انها تشبهك حتى لقد ظننتك إياها !

ـ عجبا ! هل اكون مثلها لم اكبر .. ؟

ـ انها ظريفة جميلة كما كنت انت .

فاطرقت كانها تخجل ، وقالت :

ـ ايه .. دنيا .. لا تبقى احدا على حاله .

قلت كاذبا مجاملا :

ـ ما هذا ؟ انك لا تزالين فى الشباب !

● ●

تعلمت سعاد نصف تعليم ، لم تمكث فى البيت تنتظر العريس ، بل راحت تجوب الشوارع بحثا عنه ، وتصادق البنات اللاتى لهن إخوة فتيان ، وكنت انا احد هؤلاء ، تعرفت باختى وجعلت تتصدى لى .. لم اقع فى شراكها كعاشق مدله . كنت وزملائى الشبان نتحاكى عنها وعن مثيلاتها ، ونذكر اشياء تمسهن ، وإن كانت الاخت لا تذكر بسوء امام اخيها الذى هو آخر من يعلم .. ولم تكن الاحاديث كلها صحيحة ، فكثير منها مخترع ووليد خيال ، يقصد صاحبه التظاهر بانه « دون جوان » العصر فى غزو النساء ..

وكان الشاطر الواعى منا من يتسلى فقط دون ان يقع وتجر رجله إلى الزواج .. وعلى هذا الأساس كانت علاقتى بسعاد .

قال لى صديقى فتحى :

ـ سعاد صاحبة اختك ..

ـ مالها ؟

ـ دايرة على حل شعرها .

وكان فتحى يجيد الغزل فى الطريق ، اذ يتعرض للواحدة وهى ماشية ويمطرها بعبارات الحب والغرام وهو يمشى بحذائها او وراءها ، وكانت كلمة « يا باشا » تتصدر قاموس الغزل إذ ذاك ، على ان المسالة ليست كلمات تقال فقط ، وانما هناك ايضا الحركات التى قد يكون منها تلعيب الحواجب ، وان كانت هذه الحركة « بلدى » والمهم صفاقة الوجه مع الإبتسام والا يعبا المغازل بكلمات الصد مثل « يا سم ! » بل يعد هذه دلالا لا تلبث صاحبته أن تهفو إليه .

وانا لا احسن شيئا من ذلك ، وانا لهذا ناقم على نفسى واريد الخلاص من هذا العجز المشين فى عالم الفتيان !

ولذلك عزمت على ان اتخذ فتحى استاذا لى فى هذا الفن .. قلت له :

ـ ان سعاد وصاحباتهـــا يخرجن فى « العصارى » يتمشين ويشممن الهواء ، وارى أن نتعرض لهن .

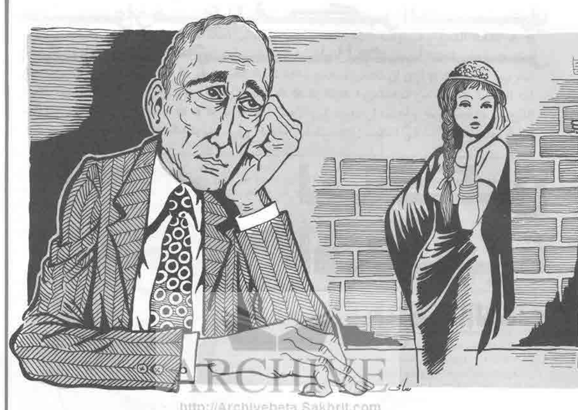
ـ وجب !

مشينا وراءهن ،وهن يسرن لا يعبان بنا ، يتهادين كانهن يرقصن على إيقاع الغزل !

كنت امشى وكانى ذيل لفتحى ، وكلما حاولت ان انطق بكلمة مثله انحبست فى فمى ، ولكنى تشجعت واردت أن اثبت انى لست « لخمة » وتقدمت إزاء سعاد .

جاهدت نفسى حتى قلت لها :

ـ يا باشا !



لم اسمع لى صوتا كهذا الصوت ، انه صوت غريب عنى ، تمنيت الا تسمعه سعاد هى تعرف صوتى ولا شك ، فليتها تظن ان شخصا اخر هو الذى يقول لهـــا : « يا باشا ! » .

وعدنا انا وفتحى نجر أرجلنا ، وكان كلا منا يلبس خفى حنين !

● ●

كان معظم تلك « الغزوات » يبوء بالفشل ، وعندما يرى الفتى نفسه لم يجن منها شيئا يلجا الى الخيال .. يريد أن يثبت انه بطل فى هذا المجال : بطل فى صيد الغزلان وإيقاع الحسان فى شراكه ، فيلفق وقائع يزعم انها وقعت ، ويصدقه الآخرون برغم انهم يكذبون مثله !

عندما تزوجت ـ وكنت ما ازال على تلك الحال ـ أردت أن اتظاهر أمام زوجتى بمثل تلك البطولة زاعما ان ما وقع .. وقع وانتهى قبل الزواج .. قلت لها كاذبا :

فى مغامرة من مغامراتى الماضية اوقعت فتاة فى شباكى وتفننت فى حكايتى مستمرا ما اتخيله من كلام احد الشبان المغامرين ، ولا أدرى هل وقع له ذلك فعلا ام كان من الكاذبين فانا كاذب عن كاذب !

استفظعت زوجتى ما فعلت أو ما زعمت انى فعلت .. ودهشت انا إذ قابلت حكايتى بعبارات الاستنكار الشديد ! وكنت اتوقع منها عكس ذلك .. ورجعت إلى نفسى ، فشعرت بالخزى امام زوجتى ! ووقعت فى حيرة .. ان نفيت ما قلت تكشف لها كذبى ، وان سكت كنت عندها ممن يعتدون على بنات الناس .. فاثرت الثانية وامرى الى الله .. وكم فعلنا من الآثام وجعلنا امرنا إلى الله !

● ●

ونعود إلى السيدة الكبيرة وابنتها الصغيرة الواقفتين معى فى الشارع ، عينى على البنت لا تكاد تفارقها .. الا ليت الشباب يعود !

لابد أن سعاد نسيت او تغاضت عن حماقاتى الصبيانية ، فهى الآن تنظر إلى باحترام ، وقد قدمتنى لابنتها بعبارات تتضمن أنى على خلق كريم ، وقد يكون هذا الآن حقا ، ولكنى لم اكن كذلك أيام الشباب .

وتساءلت فيما بينى وبين نفسى : أيكون خلقى الآن كريما لعجزى ؟ لقد عرفت ما لم اكن أعرف ، ولكن لا قدرة لى على العمل بالخبرة التى اكتسبتها .

يقولون : اه لو عرف الشباب !
واقول : اه لو قدر الشيوخ !

قالت لى السيدة سعاد دون أن تتلفظ :
ـ كانت اياما حلوة بحماقاتها ، وربما كانت الحماقات هى التى تحليها !
قلت لها دون ان اتلفظ :
ـ والله زمان يا سعاد !

عباس خضر

حوار مع المفكر العربي الشيخ حمد الجاسر

لنكن أمّة قويّة حتى يهتم بنا العالم

أجرى الحوار:
خليل إبراهيم الفزيع



المفكر العربي حمد الجاسر .. يرى أن اللغة العربية هي اثرى اللغات .. وان من بين المستشرقين من درسوا العلم لوجه العلم !

● كثير من المستشرقين أرشدونا إلى كيفية الاستفادة من تراثنا الملىء بالكنوز العلمية ! ● ● كتابة التاريخ فى وقته ، تخضعه للمؤثرات التى تبعد الكاتب عن جوهر الحقيقة ! ● ● ● ينبغى ألا نتوهم بأن الغربيين لم يفهموا تاريخنا ، فهم الذين أخرجوا كتب العلماء والفلاسفة العرب ! ● ● ● ● أرى أن نكتفى بمجمع واحد للغة العربية فى كل الوطن العربى ، حتى تجمع فيه النخبة الطيبة من الباحثين ! ● ● ● ● ● كتب الرحالة « فيلبى » تعرضت للتشويه أثناء الترجمة ، وأصبح من واجبنا أن نعود إلى الأصل ! ● ● ● ● ● ● أمانة البحث العلمى تتطلب منا أن نترجم كل ما فى الكتب الأجنبية من أخطاء ونرد عليها بالحقائق !

الشيخ حمد الجاسر من اعلام الفكر فى الجزيرة العربية .. ساهم فى وضع اسس الصحافة السعودية منذ خطواتها الاولى ، عندما اصدر عام ١٣٧٢ صحيفة اليمامة التى تحولت فيما بعد إلى مجلة ، وراس تحرير صحيفة الرياض عند تاسيسها عام ١٣٨٥ ، بعد ذلك أصدر مجلة العرب عام ١٣٨٦ جاعلا منها مجلة علمية متخصصة فى تاريخ واداب الجزيرة العربية ، كما يعتبر رائدا فى مجال الطباعة والنشر عندما اسس أول مطبعة فى الرياض عام ١٣٧٤ وكانت كتاباته الصحفية قد بدات فى الظهور منذ عام ١٣٤٩ فى جريدة صوت الحجاز ، وله العديد من المؤلفات التاريخية والجغرافية ، كما قام بتحقيق وطبع العديد من الكتب التاريخية والجغرافية ضمن سلسلة « نصوص وأبحاث جغرافية وتاريخية عن جزيرة العرب » والتى تصدر عن (دار اليمامة للبحث والترجمة والنشر) التى اسسها عام ١٣٨٦ .

وقبل اشتغاله بالصحافة شغل مناصب تربوية عديدة منها رئيس مراقبة التعليم بالظهران ، ثم مديرا للتعليم بنجد عام ١٣٦٩ ، كما عمل مديرا لكليتى الشريعة واللغة العربية ، بالرياض ، وانشا اثناء ادارته للتعليم بنجد (مكتبة العرب) وهى اول مكتبة فى الرياض عنيت بعرض الكتب الحديثة . وهو عضو فى المجامع اللغوية والعلمية فى القاهرة ودمشق وبغداد . واستاذ غير متفرغ بكلية الآداب فى جامعة الملك سعود بالرياض .

الحفاظ على التراث

والحديث مع الشيخ الجاسر لا يمل فالى جانب سعة اطلاعه فى مجال البحث التاريخى والجغرافى ، فان لديه من الآراء حول الفكر والحياة ما يبعث على الاعجاب والنقد ، وقد سالته فى البداية :

● .. هل تلقون الضوء على المنهج الذى تعتبرونه مثاليا فى البحث التاريخي والجغرافي ؟ .

العناية بتراث العرب الفكرى بصفة عامة ، ثم التركيز على تاريخ العرب وجغرافية بلادهم

يقولون من سار على الدرب وصل ، وكثيرا ما يسير الانسان على طريق طويل لكنه لا يصل . لقد ادركت ان الامة العربية لا يمكن ان يقوم لها كيان الا بالحفاظ على تراثها . وليس معنى الحفاظ على التراث اننا نعتبر التراث اساسا لحياتنا من حيث الجملة بطريقة التعميم . لا . نعتبر التراث من اسس حياتنا من الناحية الروحية فحسب . لنا تراث ضخم هائل متفرع لجميع نواحى الحياة فى الطب والكيمياء والزراعة والاتجاهات الروحية ، وغير ذلك ، لكن هذا التراث ليس صالحا من جميع نواحيه . نحن امة ـ اذا اردنا ان نحافظ على كياننا ـ يجب ان ناخذ من تراثنا ما صلح منه ، ولاءم حياتنا ، بشرط الا يؤثر على الأسس الروحية التى تحفظ كياننا كامة مسلمة .

الرسول عليه الصلاة والسلام لما جاء بتعاليمه قال : كذا وكذا .. وانتم اعلم بامور دنياكم . اى تمسكوا من تعاليمى بالامور الدينية اى الروحية ، اما امور دنياكم فاقتبسوا واعملوا منها ما يتلاءم مع حياتكم ، بشرط ان يبقى الكيان محفوظا ، وبشرط الا يؤثر ما يستعمل على ابداننا او على اخلاقنا هذا من حيث الاجمال . الصفة المتميزة فى هذا السؤال هى : الصحافة . والصحافة بوجه عام فى رايى وسيلة تثقيف وتعليم وارشاد خاصة فى ما يسمى بالدول النامية ، لاننا لا نزال فى دور النمو ، وما دمنا فى دور النمو يجب ان نتخذ من كل عمل من اعمالنا وسيلة لتنميتنا .. نحن لم نصل بعد إلى حد الترف بحيث ان تكون الصحافة عندنا مسلاة .. ملهاة .. اداة ديكور .. الة تمزيق وقت بالامور التى لا تغذى افكارنا .. حقا (ان لبدنك عليك حقا وان لعقلك عليك حقا) لكن ليس معنى هذا ان نجعل هذه الناحية تطغى على الناحية الاخرى ، لهذا فالنهج الذى اتخذته لمجلة « العرب » ان تكون وسيلة ارشاد الى مالتراثنا العربى وفكرنا الروحى من اثر نافع .

المستشرقون والتراث

قلت للمفكر العربى الشيخ حمد الجاسر :

● بمناسبة حديثكم عن التراث .. كيف يمكن نقله إلى العصر ، وهل يقتضى ذلك لغة عصرية ؟ .

ـ لا يا سيدى . اللغة العربية أثرى اللغات ، والدارسون للغات الأخرى ، والمثقفون فى اللغات الأخرى ، وخاصة من بلغوا فى الثقافة الدرجة الرفيعة .. تجدهم يحرصون على دراسة اللغة العربية وادابها ، ولهؤلاء ـ ممن نسميهم المستشرقين ـ دور بالغ فى ارشادنا نحن العرب الى كيفية الاستفادة من تراثنا . اننى ادرك ان كثيرا من المستشرقين لهم غايات سيئة ، وأدرك ان كثيرا من المستشرقين لم يعملوا هذا حبا فى سواد عيوننا ، وادرك ان ان كثيرا منهم عملوا ذلك خدعة للمصالح الاستعمارية ، ولكن ليس الشر كله شرا ، قد ياتيك الخير من طرق الشر و كثيرا ما يتخذ من الاشياء السامة عقاقير وادوية للعلاج ، لذلك هؤلاء المستشرقين فيهم اناس يجب الا نهضم حقوقهم لانهم درسوا العلم لوجه العلم . هؤلاء هم الذين علمونا طرق الاستفادة من هذا التراث .. فما رايك فى رجل مثل « فرديناندو ستنفيل » الذى يعمد إلى اضخم كتاب عندنا ويدرسه ويكتبه بخط يده ، ثم يضع عليه الفهارس الدقيقة بحيث إذا اردت أن تبحث فى هذه المجلدات الكثيرة عن كلمة لا يستغرق بحثك الا وقتا قصيرا ولو وكل الينا نحن العرب .. نحن

المسلمين لما استطاع الانسان ان يستفيد منه الا بعد ان يقرا المجلدات الكثيرة ، والمعروف أن من اضخم كتب الحديث عندنا (فتح البارى فى شرح صحيح البخارى) – ١٤ – مجلدا ، لم نجد من علمائنا من يتصدى لهذا الاثر ، لكى ييسر لنا طريقة الاستفادة منه ، مع انه طبع عدة طبعات ، لكننا لا نجد اية وسيلة للاستفادة ، ولم نجد من علمائنا من يفهرس لنا هذا الاثر ، ماذا لو اردت ان ابحث عن مسالة فى هذا الكتاب

المكون من اربعة عشر مجلدا ؟ لابد ان اتعب جسمى واضيع وقتى لكى اصل اليها .

المستشرقون وضعوا لنا طريقة إذ يكتبون فهارس دقيقة تحتوى المباحث .. تحتوى اسماء الاعلام .. تحتوى اسماء الأماكن .. تحتوى أسماء الكتب وبسهولة ويسر يسهل العثور على ما نريد . الخلاصـــــة أن للمستشرقين اثارا فى خدمـــة تراثنا لاتنسى واننا بواسطتهم استطعنا ان نسلك الطريق الصحيح للانتفاع بهذا التراث .

التراث نفسه ليس كله نافع ، فيه اشياء ضارة جدا ، فاذا لم نستعمل الفكر والعقل للتمحيص بحيث نستخلص النافع ، فاننا لن نصل الى غاية او الى فائدة .

هل التاريخ خرافة ؟

قلت له :

● يقولون أن التاريخ مجموعة اكاذيب متفق عليها ، هل هذا صحيح ؟ .

– الكلمة التى كنت اســـــمعها تردد (التاريخ خرافة) ولعل هذا التعبير اخف (التاريخ خرافة) والخرافة فى مفهوم أهل عصرنا هى قريبة من الكذب وهى فى التعريف القديم كذب يمازجه صدق لان اصل الاسم كما يقال ان رجلا اسمه خرافة ضل أهله زمنا طويلا ثم عاد إليهم ، وصار يحكى لهم حكايات يستغربون منها ، ثم صار الناس إذا سمعوا حديثا صعب التصديق قالوا هذا من حديث خرافة .

والخرافة فى حد ذاتها ليست كذبا فهى تحتوى على الصدق ، لذلك لو درسنا جميع تاريخ الأمم لوجدنا انه يتبنى على خرافات ، ليس تاريخ العرب فحسب بل كل التاريخ ، لكن هذه الخرافات عندما ينظر اليها بتعمق يوجد لها اصل ، وان لم يكن الأصل تاما من كل النواحى الا انها قائمة على اصل حقيقة فالتاريخ فى حد ذاته هو مزيج من الصدق ومن الكذب .. مزيج من الواقع ومن التحريف والغاية من المؤرخ ان يستخلص لنا من التاريخ ما هو حق ثم إذا نظرنا لناحية اخرى ما هى الغاية من التاريخ . نحن لن نستفيد منه شيئا الا إذا اتخذناه مثالا نقتبس منه بعض الاخلاق الطيبة ، واهتدينا بهديه فيها اما إذا صار التاريخ مجرد حوادث واخبار تكرر وتدرس فلا فائدة منه .

القول ان التاريخ خرافة او كذب كله فهذا فيه شيء من التجنى على التاريخ لان للتاريخ فى حياة الأمة الاسلامية أكبر الأثر ، فاذا لم تعن بدراسة حياة الرسول صلى الله عليه وسلم وسيرته لم تستطع ان تهتدى بهديه . انت مسلم اذن لا تستطيع الحفاظ على كيانك حتى تعرف من الناحية التاريخية الثابتة ما هى سير الناس .. سير العلماء .. سير الصالحين .. سير الانبياء لكى تقتدي بهم .

● ولكن هناك من يرى أن كتابة التاريخ لا تكون موضوعية إذا كتب فى حينه ، وانه لابد من مرور فترة لتظهر حقائقه ، فما صحة ذلك ؟ .

– بالعكس .. حقا ان كتابة التاريخ فى وقته تخضع لمؤثرات قد تصرف الكاتب عن ان يجاهر بالحقيقة ، وهذا شيء مدرك ، وفى تاريخنا العربى اشياء كثيرة من ذلك ، ولكن ايضا إذا لم نسجل الحوادث فى وقتها تفوت علينا ونرجع الى التحريف فيها ونقلها عن مصادر غير صحيحة ، ولهذا خير ما نجد فى كتابات المورخين سجله المورخ فى عصره ، فالمؤرخ فى عصره قد يسجل اشياء وهو لا يلتفت الى معناها أو الى ما وراء ما يسجله ، ولكن مهمة المؤرخ المدقق ان يدرس ما سجل ليستخلص منه العظة والعبرة ، وانا ارى ان انفس ما كتبه شيخ المؤرخين ابن جرير هى الحوادث التى وقعت فى عصره وما قرب منها ، وارى ان كل ما كتبه فى اوله عن التاريخ القديم وقصص الأنبياء واخبارهم هو مستقى من مصادر اقل ما يقال عنها انها اسرائيليات ، لكننا نجده عندما صار يدون نقلا عن شيوخه بسنده المتصل عن اخبار عاصرها او قرب زمانها من زمنه .. نجد ما كتب هو الذى يصح ان يعتبر خلاصة أو ثمرة او فائدة ما فى هذا التاريخ الجليل الذى هو تاريخ الرسل والملوك .

فالقول بأن المعاصر للحوادث يكون تدوينه لها فيه مجانبة للحقيقة .. حق مشوب بشيء من عدم الحق . والاجدى ان يسجل التاريخ فى حينه .

هناك كثير ممن تطرا عليهم العواطف فياولون الحوادث التاريخية او يدونونها وفق اتجاهاتهم وميولهم ، ولكن ما هى اذن وظيفة المؤرخ ؟ ! إذا لم يكن لديه من ثاقب

حوار مع المفكر العربي الشيخ حمد الجاسر



لو درسنا جميع تاريخ الأمم لوجدنا انه يتبنى على الخرافات !

الفكر ما يستطيع به ان يستخلص الحقيقة من الباطل فى ما كتبه هذا المؤرخ او ذاك .

الغرب وتاريخنا

● الغرب يجهل تاريخنا وما ترجم منه قد تشوبه الأغراض والاهواءفما هى الوسائل الافضل لتعريف الغرب بتاريخنا ؟ .

– أولا يا سيدى الكريم .. الغربيون – واعنى العلماء منهم ممن عنوا بالاتصال بالشرق – هؤلاء عرفوا من تاريخنا اشياء كثيرة ولا أبالغ إذا قلت بأن فهمهم لهذه الجوانب من تاريخنا حداهم الى ان يبرزوا لنا شيئا من نفائسه وان يغوصوا على اشياء كنا نجهلها ، فاخرجوها واحيوها لنا .. انهم احيوا لنا كتبا قيمة تتصل بتاريخنا ، لماذا ؟ لانهم استفادوا منها عندما كانت أممهم تعيش فى ظلام من الجهل .. اخرجوا لنا كتب ابن سيناء .. اخرجوا لنا كتبا كثيرة من كتب الفلاسفة .. اخرجوا لنا كتاب الرازى فى الطب .. اخرجوا لنا الكتب التى تتعلق بجغرافية بلادنا كصفة جزيرة العرب للهمدانى .. اخرجوا لنا كتاب الاكليل لانهم وجدوا فيه من النقوش ما استعانوا به على قراءة نقوش اليمن ، لذا ينبغى الا نتوهم بان الغربيين لم يفهموا تاريخنـــا . ان الجامعات فى الغرب تدرك من تاريخنا اكثر مما يدركه بعض شبابنا المثقفين ، او كثير ممن يعنون بالدراسات الاخرى التى لا صلة لها بعلوم العرب او تاريخهم او فكرهم ، ولكن الشىء المدرك بالبديهة ان المرء حيث يضع نفسه ، إذا كنت فى حالة من القوة استلفت من حولك وإذا كنت ضعيفا لم يهتم الناس بامرك . لنكن امة قوية وحينئذ نجد الغربيين وغير الغربيين يتهافتون على معرفتنا من كل النواحى .

والأمر يرجع الينا او كما قال الشـــاعر (فنفسك لم ولا تلم المطايا) .

مطلوب مجمع علمى

وانتقلت بعد ذلك إلى سؤال يقول :

● عارضتم فى مناسبة لا اذكرها انشـاء مجمع لغوى فى السعودية ، بينما دعوتم الى انشاء مجمع علمى ، فما توضيحكم لهذا الأمر ؟ .

– أولا يا سيدى .. اللغة العربية تحتاج لكى تدركها وتفهمها فهما صحيحا .. إلى طول معاناة ودراسة وتخصص .. لا اذكر فى



الرحالة فيلبى

بلادنا واحدا تخصص فى الدراسات اللغوية . لماذا ننشىء مجمعا للغة ؟ .. الغاية من انشاء مجمع اللغة العربية سد حاجة الأمة من حيث ايجاد اسماء المسميات حديثة . فكيف اكل الى انسان جاهل ان يختار لى اسم المرناة او التلفاز وهو يجهل طرق الاشتقاق ، وهو يجهل ما هى صياغة هذه الكلمة ، وما هو اصلها . لذا ارى ان يكتفى بمجمع واحد للغة العربية ولتكن له فروع .

● فى العالم العربى ؟ .

– نعم فى العالم العربى مجمع واحد وله فروع . اما الآن فلدينا مجمع اللغة العربية فى القاهرة ومجمع اللغة العربية فى الأردن ومجمع اللغة العربية فى دمشق والمجمع العلمى العراقى ينحو نفس المنحى ، ومن حسن الحظ انه منذ سنوات والسـعي متواصل لايجاد روابط وجهود لايجـــاد (اتحاد المجامع) .

ان ايجاد مجمع لغوى فى بلادنا من الامور التى يدعو اليها الداعون بدون تعمق أو ادراك لما يترتب على ذلك ،اى انه سابق لاوانه لانه لا يوجد بيننا من هو متخصص فى اللغة العربية تخصصا يمكنه من ان يسهم اسهاما جادا فى الغاية التى توجد المجامع لها وهو اثراء اللغة العربية .. بايجاد اسماء لمسميات حديثة ، وابراز ما لهذه اللغة من الميزات التى تجعلها متطورة مع تطور العصر ولو أوكلناها الـــى أناس جهال لافسدوها ، فخير لنا الا ندعو الى فكرة لا نستطيع القيام بها .

أما المجمع العلمى الذى أرى ويرى آخرون من الباحثين ضرورة وجوده فى بلادنا فهو على نمط المجامع العلمية التى انشئت أولا فى دمشق ثم فى بغداد ثم فى بلاد أخرى والبلاد الاوربية ايضا ، هذه المجامع هى اعم من ان تعنى باللغة .. هى تعنى بتراث البلاد ، بتاريخ البلاد ، فعندما

انشىء المجمع العلمى فى دمشق كانت الغاية منه ارشاد موظفى الدوائر الحكومية إلى عدم استعمال الكلمات التركية ، ثم اتجه هذا المجمع الى ان يصون التراث ، فيجمع الكتب المبعثرة فى الاربطة وفى المساجد وفى المكتبات المتفرقة وان ينشىء دار الكتب التى جمعت كل ذلك ، ثم بعد ذلك اتجه الى ان يحيى كل ما يتعلق بتاريخ الشام من الكتب القديمة سواء فى التاريخ أو الادب أو فى الأمور الاخرى ، ومثل هذا المجمع هو الذى ينبغى ان يدعى اليه ، وهو يجمع النخبة الطيبة من الباحثين فى البلاد ويكون اتجاههم لحفظ تراث البلاد .. لجمع كل ما يتصل بتاريخها .. لاحياء ما يستحق ان يحيا .. لايجاد الوسائل التى تجعل شبابنا يفهم ان فى التراث ما يفيده .

اعادة كتابة تاريخنا

● هناك دعوة لاعادة كتابة التاريخ العربى ، فما رايكم فى ذلك ؟ .

– لا ادرى ماذا يراد باعادة كتابة التاريخ .. والمعروف ان العواطف لها اثر كبير فى حياتنا وفى نتاجنا الفكرى بصفة عامة ، سواء فى التاريخ او فى الادب او فى غير ذلك ، من فروع المعرفة . التاريخ شىء مضى وتدوين حوادثه بعد ان تمضى عليه قرون .. هذا ليس شيئا مفهوما ، وهذه دعوة لا محل لها ، انما هناك شىء هو ان نتبصر فى تاريخنا ونعالج قضاياه معالجة نستطيع ان نستفيد منها لمعرفة ما شابه من اهواء واغراض وعواطف ، مثلا عندما نقرأ ترجمة الحجاج .. نجد انه الصق بهذا الرجل من صفات الذم مالا يكاد ان يتصوره انسان عاقل .. يقال اخرج من سجنه عندما مات ثمانمائة الف . والكوفة نفسها او واسط لم يبلغ سكانها هذا العدد .. هو رجل جبار وهذا مفروغ منه ، ولكن ليس معنى ذلك ان نلصق به كل تهمة ، لماذا الصقت به التهم لان الذين دونوا التاريخ عاشوا فى العهد العباسى والحجاج كان ممن ارسى الدولة الاموية ، فليس بغريب ان يوجه هؤلاء الذين دونوا التاريخ فى عهد الدولة المناوئة للدولة الاولى ان يلصقوا به كل تهمة . هذا مثال ، ومثال اخر قرات منذ عهد قريب لعالم جليل يعيش فى الســــــعودية كتابا عن (ابطال الاسلام) فيترجم لقتيبة بن مسلم فاتح السند ، ويقول ما معناه هذا الرجل الذى ينتمى الى هذه القبيلة الخسيسة الوضيعة التى كيت وكيت .

من قال لك ياسيدى انها خسيسة ووضيعة ؟. شاعر هجاها ولصق بها الهجاء واصبح الناس يتندرون به ، قبيلة يخرج منها ابو امه الباهلى ويخرج منها راوية العرب الكبير الاصمعى ويخرج منها قتيبة ابن مسلم فاتح السند .. ثم تشتم بهذا الأسلوب ، وعمر بن الخطاب رضى الله عنه لما سمع شاعرا يمدح جرير بن عبد الله البجلى يقول :

لولا جرير هلكت بجيلة
نعم الفتى وبئست القبيلة

قال : ما مدح من هُجي قومه .

هذا اثر من اثار عدم التعمق فى التاريخ ، لو ان هذا الرجل الجليل قبل ان يقدم على سب هذه القبيلة الكريمة بحث عن السبب .. عبد الكريم النهشلى فى كتاب له عن الشعر طبع فى تونس يقول ان هذه القبيلة ظلمت لان شاعرا هجاها ولصق بها الهجاء ، كما ظلم بنو نمير :

فغض الطرف انك من نمير
فلا كعبا بلغت ولا كلابا

فصار الواحد منهم يستحى ولا ينتسب إلى بنى نمير .. إلى غير ذلك من عبث الشعراء الذى الصق بالتاريخ واصبح تاريخا يسطر ويؤخذ بنتائج حكمه .

المعجم الجغرافى

● يحظى المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية باهتمامكم الخاص ، وهناك جهود مماثلة من بعض المهتمين .. هل تتكرمون بالقاء بعض الاضواء على جهودكم فى هذا المجال ، وجهد زملائكم ايضا ؟

ـ هذا المعجم قصد منه ان يهيىء لكل باحث فى تاريخ البلاد الجغرافى .. تاريخ المدن .. تاريخ الآثار .. تاريخ القرى ، ان يهيىء له ما يفيده . ولهذا اخذت فترة من الزمن ادعو الى تاليف مثل هذا المعجم ، ولحسن الحظ استجاب لهذه الفكرة عدد ممن توسمت فيهم الخير . من هؤلاء الاساتذة محمد بن احمد العقيلى فى جازان وسعد بن عبد الله بن جنيدل فى الرياض ومحمد بن ناصر العبودى ايضا فى الرياض وعلى بن صالح الزهرانى فى الباحة وانا ، بدانا بان يكتب كل انسان ما يعرف عن بلاده وقـــدمت نماذج .. هى إن ندرس ما فى هذه البلاد من مدن او قرى او جبال او مواضع تاريخية ، وردت فى الشعر او الاخبار القديمة ، الحاضر نصفه كما نشاهده ، ونورد ما ذكر المتقدمون عنه ، والماضى نحاول تحديده إذا كان دارسا ونورد ما ذكره المتقدمون عنه من اخبار او اشعار او غيرها

● لماذا ؟

ـ انت حين تقرا فى القران الكريم (ويوم حنين اذ اعجبتكم كثرتكم فلم تغن عنكم شيئا) تتشوق إلى معرفة موقع حنين .. الا تتطلع الى معرفة طبيعة المكان لكى تدرك لم حصلت الهزيمة ، وخصوصا انه ورد فى الاخبار عنه انه واد انكد جرور منحدر لمنحدرات تهامة . كذلك عندما تقرا الآية الكريمة (ولقد نصركم الله ببدر) الا تتطلع الى معرفة هذا الموضع الذى نصر الله فيه الاسلام ، وعندما تقرا شعر امرىء القيس :

غشيت ديار الحى بالبكرات
فعارمة فبرقة الخيرات
فغول فحليت فنفع فمنعج
الى عاقل فالجب ذى الامرات

الا ترى ان من اكمال فهمك وادراكك لشعره دراسة بيئته التى ذكرها .. من هنا اتجهت رغبتى ودعوت الى هذه الفكرة ، وكما قلت استجاب لها هؤلاء الاخوة ، ولان اجتماع هؤلاء الاخوة فى مكان واحد ليس متيسرا خاصة وان كل انسان فى جهة نائية من جهات المملكة ، فقلنا لنعمل أولا على تدوين ما نستطيع تدوينه ثم بعد ان ننشره ويتداوله القراء بالنقد نعود ونستكمل النشر فى كتاب واحد باسم المعجم الجغرافى للبلاد العربية السعودية ، ونرتبه على الحروف الهجائية وننسب لكل كاتب المادة التى كتبها ، كما فى دوائر المعارف المعروفة ، وقد تم الآن من هذا المعجم سبعة عشر مجلدا ، وهو مرجع لمن يدرس التاريخ ومرجع لمن يدرس الادب ومرجع لمن يدرس الجغرافيا ، وان كانت هذه النواحى ليست مستكملة ولا وافية لكن من اعطاك ما يملك لم يبخل عليك .

● إذن كيف يمكن تقريب الموسوعات الجغرافية الى اذهان الناشئة بحيث لا تصبح قصرا على المتخصصين بل تصبح فى متناول الجميع ؟ .

ـ الجغرافيا او علم تقويم البلدان هو من العلوم التى لها اناس مختصون فيها ، ولهذا فالناشئة قد لا يحتاجون الى ان يتجهوا بكل افكارهم إليها ، الناشىء عندنا يريد ان ياخذ من العلوم بقدر حاجته ، وهذا من السهولة بمكان لأن الكتب التى من هذا القبيل مرتبة



التصرف فى النصوص لسوأ آفة تصيب العلم والعلماء وتغيير النص يعتبر خيانة علمية !

على حروف المعجم ، لدرجة انها لا تحتاج لمن يسهلها او يذللها .

● الرحلات العديدة التى قمتم بها لمختلف انحاء العالم .. هل استفدتم منها فى بحوثكم التاريخية والجغرافية ؟ .

ـ انا عنيت بالرحلات قبل كل شىء بحثا عن نوادر من المخطوطات قد يكون فيهـــا ما يفيدنى ، فى دراساتى الجغرافية او فى غيرها ، وقد تمكنت من ادراك شىء من ذلك ، فوجدت فى مكتبات اسطنبول كتبا صورتها واستفدت منها ، ووجدت فى بعض المكتبات الأوربية كالمتحف البريطانى الذى وجدت فيه كتاب ناصر بن عبد الرحمن الاسكندرى وهو من اهم المصادر الجغرافية ، ووجدت فى بلاد فارس كتابا يتعلق برسم طرق الحج القديمة وتحديدها ووصف معالم الجزيرة ومؤلفه من أهل القرن الثالث الهجرى ووفقت الى انني احقق هذا الكتاب وان انشره ، وعثرت على مؤلفات اخرى . منها ما نشرته مثل كتاب بلاد العرب وغيره ، والغاية المقصودة من رحلاتى فى أول الأمر هو البحث عن المخطوطات ، لكن عندما اصبحت فى حاجة الى ان اجرى فحوصات طبية ، او فى حاجة الى الراحة ، فاننى ايضا جمعت شيئا وسجلته ودونته ولم اطبعه بعد .

دراسات الرحالة

● تعرض بعض المستشرقين والرحالة الاجانب لكتابة جوانب من تـــــاريخ وجغرافية الجزيرة العربية ، من كان منهم اكثر انصافا ودقة فى نظركم ؟ .

ـ لا اعرف للمستشرقين سوى رحلات تتعلق بدراسة الآثار او المشاهدات الفردية ، اما الدراسة التاريخية فلا اعرف سوى واحد هو «فيلبى» اما الآخرون فلهم دراسات واسعة منها دراسات عن الربع الخالى ، ودراسات عن الآثار فى شمال الجزيرة او جنوبها ، ودراسات للمستشرق لويس موزيل وهو تشيكوسلوفاكي من براغ ، وكان استاذ كرسى فى الجامعة ، وقد قام برحلات الى بلادنا قبل سبعين عاما تقريبا ، والف مؤلفات قد تبلغ الثمانية عن العرب ، وعن بلاد العرب ، منها كتاب « شمال الحجاز » ، ومنها كتاب « شمال نجد » ومنها « الصحراء العربية » الى غير ذلك من الكتب ، وقد قرأت من مؤلفاته ترجمة كتابين احدهما كتابه عن « شمال الحجاز » وقد ترجمه عالم مصرى هو الدكتور عبد المحسن الحسينى وكان مدرسا فى كلية الآداب بجامعة الاسكندرية وقد اجتمع بي قبل سنة ١٩٥٠ واستشارنى فى ترجمة هذا الكتاب فنصحته بان يترجمه بعد ان ذكر لي مباحثه ، فترجم من هذا الكتاب ـ الذى يحوى قسمين ـ قســـــم التحقيقات الجغرافية ، اما القسم الآخر المتعلق بوصف رحلته فرآه غير مهم ، وقد قام لويس موزيل برحلته الى شمال الحجاز بدافع من جامعته لأن بعض المعنيين بدراسة التوراة كلفوه بان يبحث عن للمواضع المذكورة فى التوراة وان يحققها ، فاتى الى شمال الحجاز وألف هذا الكتاب ، فترجم الدكتور الحسينى رحمـــه الله قسم التحقيقات الجغرافية فقط بحجة ان القسم الآخر غير مهم ، مع اننى أرى لو نشر القسم الثاني لكان حسنا . لماذا ؟ لأنه يصور لنا جلد الغربيين . رجل ياتى من قلب أوربا ـ تشيكوسلوفاكيا ـ الى بلادنا ويدخلهـا بطريقة لا تتلاءم مع طبيعته من حيث الرفاهية والتنعيم ، ويحاول ان يتقشــف ، وعندما يدخل البلاد أول مرة .. يؤذى ، وتمزق كتبه ، ويربط وتاتى البدويات ويضربنه بعمد البيت ، حتى يغمى عليه ، ثم يعود الى بلاده ، وعندما يشفى يعاود الكرة ويسعى لتحقيق مهمته . هذا فى رحلته فى شمال الحجاز .

ثم ياتى فى رحلته فى شمال نجد ويسال عن الطريقة التى يدخل بها نجد ، فيرشد الى ان يتصل بالنورى بن شعلان شيخ بادية « الرولة » ويتصل به ويعقد معه اخوة ويعيش مع بدو « الرولة » سبع سنوات ، متقشفا ، يعيش كما يعيشون . جسمه ـ وهو الأوربى الناعم ـ يتراكم فوقه الوسخ وثيابه تمتلىء من الحشرات ، ولا يستنكف ان يجلس فى الشمس ويخرج هذه الحشرات ، ويسمى نفسه موسى الرويلى ، ويظهر بمظهر « الرولة » فى تقشفهم وفى خشونتهم ثم يؤلف ما يؤلف من الكتب .

هذه الأمور ينبغى ان ننشرها بين شبابنا ونقول : انظروا الى جلد المستشرقين ، وان العلم يجب ان يبذل له الانســـــان اقصى ما يستطيع بذله ،

وعندما قرأت هذين الكتابين اعجبت لا من جلد هذا الرحالة الغربى لويس موزيل ، ولكن أيضا لسعة اطلاعه على المؤلفات العربية القديمة ، فاجده اطلع على أهم المصادر الجغرافية ولخصها واستطاع ان يحقق ما استطاع بطريقة منطقية وبطريقة نفقدها فى كثير من كتابات علمائنا .

واعود الى « فيلبى » الذى الف كتابا عن المملكة العربية السعودية اســـــمه (Saudi Arabia) وعرب خطا باسم (تاريخ نجد) او (دعوة الشيخ محمد بن عبد الوهاب) ولكن هذه الترجمة مسخ للكتاب ، فهذه الترجمة تنقصها مقومات ، فالمقدمة المحذوفة التى كتبها « فيلبى » تعطى خلاصة فكر « فيلبى » عن ما تصوره من تاريخ المملكة وما تصـــــوره عن الملك عبد العزيز ، وما تصوره عن الملك سعود رحمهما الله ، « وفيلبى » كغيره من الغربيين لا يتردد عن النقد ، وهذه مسائل لم ترد فى الترجمة ، وقد شوه هذا المترجم واسمه عمر الديراوى كتابا آخر لفيلبى اسمه « ارض مدين » فسماه « ارض الانبياء » او « » مدائن صالح » مع انه ليس فيـــــه حرف واحد عن مدائن صالح ، وقد لمته واخبرته ان ارض مدين هى الأرض الممتدة من الوجه الى العقبة ، اما مدائن صالح فليس فى الكتاب حرف واحد عنها . فشوه هذا الكتاب كما شوه الكتاب الآخر ، هنا ملاحظة هى اننا يجب الا نعتمد على ما يترجم لنا من اثار هؤلاء الغربيين ، ولابد من الرجوع الى اصول الكتب المترجمة للحكم عليها .

● هل يعنى هذا ان أمانة البحث العلمى تقتضى ترجمة ما كتبه الاجانب عنا بما فيه من اخطاء والرد عليه ، ام ترجمته مصححا وكيف يمكن الحكم على صحة او خطا ما كتبه الاجانب عنا ، مادمنا لم نعش تلك الفترات التى كتبوا عنها الى جانب قلة المراجع عن تلك الفترات ؟ .

ـ التصرف فى النصوص اسوا افة تصيب العلم والعلماء ، واسوا ما يفعله العالم .. التصرف فى النص . دع النص كما هو وات برايك منفردا اما ان تغير نص المؤلف فهذا يعتبر خيانة ولا يصح ، لذا فان هذه الكتب اذا اردنا ان نستفيد منها ، يجب ان ننشرها على علاتها ، ونبين فى اخرها او حواشيها ما نضيف اليها ، وما نراه صحيحا ، فقد تكون اراء المؤلف اصوب من ارائنا ، وما الذى يجعلنا نحكم اننا اصوب مالم نجد الادلة الواضحة التى نستطيع ان ندلل بها ، هناك وسائل نستطيع ان ننقدبها المؤلفات الغربية ، فنحن اعلم ببلادنا ، واعلامها ومعالمها .

● ●

وشعرت اننى اثقلت على الشيخ الجاسر فشكرته باسم قراء الدوحة وودعته متمنيا له طول العمر .. فقد خشيت ان اثقل عليه ، لكنه أبدى استعدادا للاجابة على اى سؤال وبدا فى نشاطه وحيويته وكانه لم يبلغ الرابعة والسبعين .

خليل ابراهيم الفزيع

ليلتان مع الرحبانية في الدوحة

مأساة الوطن والعائلة في الربيع السابع

بقلم : جميل العابد

هل نجحت رونزا مع الرحبانية بدلاً من فيروز ؟

من لبنان الجريح ، جاء الاخوان رحباني يحملون الينا هنا فى قطر مسرحيتهم الغنائية الاخيرة « الربيع السابع » .

وتساءلنا لدى سماعنا الخبر :

اي ربيع ذلك القادم من بيروت ؟ هل تراه ذكرى ربيع ؟ ام هو ربيع المستقبل كما يراه فنان مرهف ؟

فاذ بـ « الربيع السابع » ـ كما رأيناها ـ رؤية متعمقة لما صنعته المأساة فى سفوح الأرز الاخضر .. غنائية للفرح الذى يفرزه الحزن .. قبلة على جبين الأرض الثكلى .. وعناق البنات والأبناء الباقين .. الزارعين الحب من جديد ، بقلب جديد وهمة اكبر .

كيف ، وإذن ، ألت الهموم عرسا تفادي اهازيجه جموع الواطين ؟

احد مشاهد المسرحية التى تصور الانسان الذى وسع صدره جبلا من الاحزان ومع ذلك يمضى نحو الافق الجميل



كيف استبدل الاصيص المتكسر ، فى النهاية ، بحوض متين يضم الجذور التى صمدت لتطلع ازهــارا يفـوح اريجها فوق غابات الحور الباسق والسحاب الداكن ، وينفذ الى كل الصدور التى هدها الخوف ؟

حدث كل ذلك ، كما شاهدنا ، بفعــل التغيير الداخلى . فقد اصبحت بيروت بكل بيوتها ، اخيرا، تميز مصدر القذيفة من دويها ، وتعرف هوية الطلقة من ازيزها . اصبحت بيروت تعرف القاتل والمقتول ، وتتنبأ بالحدث قبل وقوعه . اتسعت ذاكرة بيروت ، وداهمها الوعى بالحقيقة الصافية المذهلة.

« عمرو الانسان ما يخبي شي
لانو هو الكنز الوحيــــد ...
عملت مصالحه مع الشجر والانسان ...
انا وقاعده هــون وصلت للحـــرية »

لم تعد الالوان مبهمة كما كانت ، ولا نقاط التماس خافية . صارت الكلمة المكتوبة والمحكية اكثر دلالة ، وأصبحت طرق الوصول مرسومة ومحددة .

« كلنا كبرنــــا ...
في شي تغير من جوا وغيرنا »

لقد وصل الانسان فى بيروت الى قلب ذاته وعقد مصالحه مع الوجود .. وصل الى نقطة من الصفاء حيث تبين له ان عليه دفع ايجار وجوده على الارض ، وان عليه بالتالى ان يتصالح مع الأشياء والناس والطبيعة ، ويجتاز حدود الكراهية والبغضاء ليكتشف ذروة العواطف النبيلة .

« الحلم بيتاثر بالحقيقة ...
بيغير الواقع »

« الربيع السابع » مسرحية تعالج انعكاسات الحرب فى لبنان على الناس والمواقف والتصرفات الجماعية والفردية

جمانه (رونزا) مطربة بخيلة جمعت ثروتها وخباتها خوفا عليها من الحرب ، فاخذتها الحرب .

اسامه مثقف نظرى يحاول « تظبيط خارطة الوطن » فيطير بيته .

ابو الهمم شخصية شعبية تفهم الحرب على هواها وعلى طريقتهـــا .. (وقبضاي) يستغل المواقف .

منعم (ملحم بركات) رب عائلة بسيط وهادىء يحلم بحياة عادية ، لكن الظروف تمانعه .

اسما امراة مهووسة بالفن والشهرة ..تحاول احتراف الغناء رغم معارضة زوجها .

تبدا حكاية اسما مع زوجها منعم عندما هي تصر على الغناء وهو يعارض .. فتدب المشاكل فى المنزل الزوجي وتستعين بعمتها القوية عليه ، لكن ذلك لا يدفع منعم الى الاقتناع .

ونفاجا بوصول بعثة تليفزيونيـــة اجنبية فيكتشف المخرج ـ مستر اكزلبي ـ ان منعم يملك طاقة صوتية تجعله مطربا كبيرا ، ويقنعه الاول بالذهاب الى لندن للغناء فى مسارحها ، فيوافق منعم بعد ان يبلغ الخلاف ذروته بين الزوجين وما تلبث زوجته ان تعود إلى بيت عمتها لتتعلم أصول الغناء على يد عـــواد لا يؤمن بتطور الموسيقى !

ينطلق منعم مطربا مشهورا فى لندن . وتتسارع الأحداث متخذة جوانب خلافات بين الشخصيات .

وفى الختام يكتشف الجميـــع ان النظريات التى تمسكوا بها والمواقف المشنجة التى اتخذوها كانت رمادية ... وحده الحق شجرة خضراء !

وعلى عتبة الربيع السابع يقف الجميع ليكتشفوا ان الرضا أهم من كل الخلافات ، وان البقاء فى النهاية هو الوطن . ويقررون التمسك بالأرض والمصير الواحد .

« شغلك ما بيكون الو قيمه فعليه
الا ترجع تغني هون .. للناس اللي
هون ...
للفن اللي هون »

تماما كالأشجار التى لم يخطر على بالها يوما ان تغادر التراب ، وكعصافير الدورى التى ترفض مغادرة بيوت القرميد الشتوية .

« لا الشـــجرة راحت

رونزا .. فى دور المطربة البخيلة التى جمعت ثروتها وخباتها خوفا من الحرب .

مأساة الوطن والعائلة في

الربيع السابع

لا الدوري راح
لا الكلمة انزاحت
لا الصخر انزاح

البداية والنهاية ..
البداية والنهاية ..
نحنا رح نبقا هون
مش رح نهرب من هون
نحنا رح نبقا هون .. مش رح نهرب
من هون » .

وفى النصف الاخير من المشهد الثانى والختامي للمسرحية ، يستحوذ عليك احساس باستيقاظ الوعي . ولا تشعر كمتفرج بان ذلك يصدق على لبنان واللبنانيين فقط ، بل على شعوب الوطن العربى عامة .

ولأن أدوات التعبير فى المسرح الرحباني هى دائما بسيطة ، رومانسية وجذابة ، فاننا نجد حرارة تصفيق الحضور كثيراً ما يلهبها بريق الفكرة المنقولة بسهولة وعفوية ، بالاضافة إلى صدق الصورة المستوحاة من واقع الناس إلى الناس . وهذا يفسر نجاح الاخوين رحباني الجماهيري الساحق لاستخدامهم وامتلاكهم فن التعبير الأسهل والأجمل ..

ان هذا المسرح يقول للناس ، كل الناس ، كلاما يختلف عن نشرات الأخبار واقوال الصحف ، وعما تباهى به أساطين البلاغة والشعر .. كلاما ياخذ المشاهد على حين غرة بين الفينة والفينة ، فيقفز قلبه الى حلقه إما طربا وترويحا ، او نشوة عقلية ليست فى حقيقتها الا تعميقا لمعرفتنا بالانسان .

لقد راى الاخوان رحباني نفسيهما بكل ما يملكان من طاقات وقدرات امام قضية هامة شغلت كامل اهتمامهما : انها قضية الانسان على هذه الارض ، فوجدوا فيها كل الأبعاد التى تشحذ فيهما الهمة للعطاء .

« الربيع السابع » ، يبدو وكانه عمر الانسان اللبنانى الجديد ، ويوحي بان هذا العمر القصير قد اختصر مئات الاعمار ، وان سنوات المحنة ، كما يقول العنوان ، لم تكن بمجملها بلا ورد وبلا ازهار ! وان سنوات المأساة ، رغم شدتها لطلعت من قلب الحزن والدمار أملا ونورا



حوار ساخن يعبر عن مشاكل بيروت وما راته من دمار خلال سبع سنوات

يؤكد العهد مع الأرض ويبشر بالخير القادم !

طوال سبع سنين ، عاشت بيروت ربيعا دائما .. بدات اوراقه تتفتح عندما صحا الناس ذات صباح على رائحة البارود والدم فى الساحات ! عندئذ ، طلعت اول زهرة ارجوانية مضرجة بالدم بمحاذاة صخرة مرمية في الروشة . ما لبثت ان امتدت حتى غطت اعدادها قمم الارز ، والنوافذ التى كانت تشيع الأمان .

اكتشفت بيروت كساءها الجديد ، فخرجت تموج وتغنى انشودة حزينة للمجد والمحبة وعلى ثغرها ابتسامة كبرياء .

ومنذ ان طلعت الزهرة الأولى من جرح بيروت .. وبيروت تنزف مسكا خالصاً يروي التراب والأرض التى افتقدت الندى زمنا طويلا .. منذ ذلك الحين كثر عدد المنتسبين إلى (الكونسرفتوار) اللبناني ، وارتفعت تراتيل الحنان تشق عنان السماء تنادي الرحمة والغفران ، وتدعو للحب كما لم تفعل من قبل . لقد بانت الخطوط وظهرت لعين بيروت كل الدروب المعوجة

« عساحة البرج طلع الشجر البري
عساحة البرج اكل العشب الحيطان»

لقد افاقت بيروت على صباح داخلي يضيء سماء القلب ، وهى التى مذ خلقت تعيش على سنابل الخير .

بيروت لم تعد تخاف الضياع فى المتاهات .. بيروت لم تعد تهمها الريح ..

لقد اكتشفت سر الريح .

ومن ناحية اخرى ، نلاحظ المنحنى الجديد فى الموسيقا الرحبانية الظاهرة فى هذه المسرحية . انه التنوع فى الاشكال الموسيقية من الاغنية الخفيفة إلى العمل الكورالي الكبير والاغنية العاطفية الهادئة . ومن اغنية الصراع الى الاغنية الغربية الراقصة . فاغنية ملحم بركات التى يقول فيها :

« قولك صحيح
ما تارى البيصير على غفله بيصير
وانا كنت مفكر بعد بكير

يا الله يا ريح انا صرت الرحيل
صرت السفينة والسفر الطويل
يا حلوة جديدة
بمدينة جديدة
بشارع بحرى سعيد

انا جايه ابكي
عاكتفك ابكي
بحار الحزن الوحيد »

تصور فجيعة الانسان المصدوم .. الانسان الذى ينشد السلام وفى جوانحه خيبة ورجاء .. الانسان العظيم الذى وسع صدره جبالا من الأحزان ، يحملها ويمضي نحو الافق الجميل الذى ياتي ولا ياتي .. ومع ذلك يظل يمضي !

بالاضافة لهذه السبحات الفكرية



مشهد من مسرحية الربيع السابع التى تعالج ماساة لبنان

الأخاذة فى المسرحية ، فاننا لا نملك بدورنا الا ان نعجب ونفكر بمجالات الابداع والمسافات الموسيقية التى يصعب على الكثيرين من المطربين والمطربات التكيف معها واداؤها . وقد ساعد على ذلك مشاركة الات صعبة مثل: الاوبوا والباسون والترومبون والكور الانكليزى .

وهنا يقفز سؤال اساسي : غياب فيروز ووجود رونزا (عايدة طنب) مكانها فى المسرح الرحباني ؟

ان مجرد التفكير بهذه الحقيقة يدعونا ، بل يدفعنا ، لكي نقول شيئا بنبرة لا تخلو من الغصة واللوم ، بصفتنا جيلا كاملا ترعرع وعاش يسمع ويتفاعل مع ذلك المزيج الفريد من عطاء الأخوين رحباني الخـــاص بغنـــاه الفكري والشعورى الفنى ، وذلك الصوت الذى طلع علينا من رحيق الزهر وقمم الجبال العربية ، فكان متميزا بقدرته العجيبة على غزو عاطفتنا الراكدة ، واضافة وتر جديد لقيثارة طربنا الشرقى ، صـــوت فيروز الذى كان صـــوت قلوبنـــا وأحاسيسنا ورحل عنا ! لماذا ؟

لا يهمنا الجواب بقدر ما يهمنا القول ان الذى يذهب بارادته ، ويدير ظهره لكل هذا الحب وهذه الجماهير ، لابد أن يصل فى طريقه الجديدة الى نقطة يشعر عندها بهول قطيعته .

اما رونزا ، فقد اثبتت انها طاقة فنية مهمة جدا ، استطاعت لمس احاسيسنا برقة وعمق ، وانتزاع الاعجاب الشديد حتى من أولئك الذين رأوها وسمعوها لأول مرة . صوتها هو صوت مطربة جديدة اسمها رونزا . وخطا ان نقارنه بصوت فيروز . قامت بدور البطولة حتى الآن فى ثلاث مسرحيات للاخوين رحباني هم « الشخص » ، عند تقديمها بمدينة عمان ، و « المؤامرة مستمرة » ، واخيرا « الربيع السابع » .

كان الجميع مشتاقون لحضور فيروز على المسرح .. لشموخها .. لمجرد مرآها . ومع ذلك ، كانت رونزا جميلة ومتألقة ، وأدت دورها وسط استحسان المجتمع الذى تزوره لاول مرة .

وكان لى معها لقاء قصير ، على هامش مقابلتي مع منصور وعاصي الرحباني ، قبيل بدء العرض الثاني والاخير لمسرحية « الربيع السابع » مساء ٢٥ فبراير الماضي على مسرح قطر الوطني الجديد الرائع والذى اعتبر بنظر الجميع ، وعلى وجه الخصوص بكلمات سعادة وزير الاعلام السيد عيسى غانم الكواري ، أهم هدية يقدمها سمو الأمير الشيخ خليفة بن حمد ال ثاني لشعبه بمناسبة الذكرى العاشرة لتولي سموه مقاليد الحكم فى البلاد ، ولبنة جديدة اضيفت فى صرح التطور الاجتماعى .. تزيد الوعى بالثقافات المحلية والعربية والعالمية ، فى ذلك المسرح ، وجدت رونزا سعيدة بدورها وعملها مع الاخوين رحباني ، وتمنت « الاستمرار معهم لوقت طويل » .

لقد كانت رونزا لسنوات وجها لامعا وصوتا بارزا فى الكورس الذى صاحب فيروز (الرحباني) فى اعمالها المعروفة .

● هل ترحبين ، وأنت البطلة الآن ، باداء دور ثانوي مع فيروز فى المستقبل ، وهل كنت ستصلين للشهرة بعيـــدا عن المظلة الرحبانية ؟

اجابت بعفوية ذكية وصراحة واثقة :

« يسعدني القيام باداء أدوار مع أى فنان معجبة به . ولا أعرف ان كان بالامكان شق طريقي الفني بدون الرحـــابنة » .

وقد يجوز القول ان دراستها للغناء الأوبرالي حاليا ، وعزفها على البيانو ، بالاضافة لقيامها بالتحضير لنيل شهادة ما جستير بعلم النفس ، ربما كانت بعض اشارات مضيئة على ان محاولتها للوصول إلى القمة ستكلل بالنجاح .

ولنسمع الآن ما قاله عاصي الرحباني الذى تكلم بلهجة رب العائلة الكبير وهو يسترجع بداياته ويتامل مستقبل فنه المتميز بين فنوننا الموسيقية المعاصرة ، على تنوعها وأنماطها التى تعددت كثيرا وتشابهت كثيرا !

قال : « اننا كفرقة وكمجموعة ، نعيش الآن حالة من تحقيق الذات ونشوة اكتشاف البقاع التى طالما حلمنا بثمارها وركبنا البحر للمضي على شواطئهـــا اللازوردية » . وكاني به يذكر قناعة استقرت فى قلبه بحتمية انتصار الحلم الذى لم يفارق صدر الانسان فى كل الاحوال والأزمان ، وجاء الاخوان رحباني ، في زماننا ، ليصورانه لنا باللحن والكلمة العادية العذبة ، فنستعيد معهما ومضة من تلك الثقة الكامنة فى اعماق كل منا .. كاني به يريد تاكيد حقيقة الحلم الازلية المختبئة فى رسوم الطبيعة وفى النفحات الانسانية

مأساة الوطن والعائلة في الربيع السابع

الدافئة ، وتحتاج لارادتنا فى اظهارها والتعبير عنها !

وعن فيروز ، قال عاصي :

ـ « ما زال هناك أمل » .

ثم توجهت الى منصور ، فكانت لي معه جلسة هادئة فى ركن ابيض من اركان مسرح قطر الوطنى . انه رجل يبادرك بالحديث والطرفة او اللفتة الحلوة : بيتا للاخطل الصغير أو تعليقا سريعا على شيء امامه .

واول ما تبادر الى ذهني ، سؤال تقليدي لابد منه ، تلته اسئلة كان جواب الأخ الأصغر لعاصي عليها ، كاحاديث المسير ، بدون تكلف أو غموض .

● ربما هذه ليست أول زيارة تقومون بها للخليج ؟

ـ الى الخليج عامة .. كلا . قمنا بزيارة للكويت عام ٦٧ او ٦٨ . وقمنا عام ٧٨ بزيارة الشارقة بالأمارات العربية المتحدة . ونحن الآن هنا بالدوحة لأول مرة .

● هل انت راض عنها بشكل عـــام ؟

ـ نعم . لكن لو اتيح للفنان ، شاعرا كان أو موسيقيا أو رساما (هذا إذا كان يسكنه هاجس التغيير والنقد الذاتي) ،لو قيح له إعادة عمله لغير فيه ، وهذا لا يعني اننا غير راضين عن المسرحية ، ولكن الأفكار دائما تتدفق على الانسان .

● كيف تقيم المستمع الخليجي ؟

ـ من الجولات الثلاث التى تحدثنا عنها ـ الكويت والشارقة واليـــــوم الدوحة ـ تتبلور لنا فكرة وهى ان المستمع الخليجي مستمع صادق وعفوي . من هنا فهو طبيعي وليس معقدا . كما انه فهمنا (فهم مضامين المسرحية التى نرمي اليها) بعمق . ومن هنا ينشا التجاوب ويصل الفن الى غايته . المستمع الخليجى مستمع أصيل

● كم مضى على انطلاقة الفن الرحباني ، وما هى انتصاراتكم وانجازاتكم على المســـــتوى العربي ؟

ـ مسيرتنا الفنية بدأت منذ زمن طويل . شعرنا اننا بحاجة لكى نقول شيئا . لم نكن نقصد جديدا فى ذلك الوقت .. لكنه جاء هكذا ..

نحن كتبنا كثيرا ولحنّا كثيرا ، وتجاوب معنا المستمعون والمشاهدون فى كل مكان . هذه نعمة نشكر الله عليها ونتمنى دوامها . وحسبنا ان نعبر عن مشاعر الاخرين .. ان نعبر عن عواطفهم ونغني افراحهم واحزانهم لتكون رسالتنا صادقة . ورسالتنا هى قضية الانسان فى كل زمان ومكان .. الانسان المعذب المقهور فى هذا العالم . واننا نتوجه دائما الى شعوبنا ان تبقى شرقية محافظة على شرقيتها .. ونحن من هذه الناحية نخاف التطور الذى يتجه به الانسان الغربى ، لأنه سيعقد حياته ويتعسه ، سيجعله عبدا للآلة ، سيجعله مسحوقا ويسلبه كرامة الانسان . هذا راينا .

● هل يتطور فنكم ، وكيف ؟

ـ الفن يتطور من ضمن أسلوب الشخص . وكما ان الانسان لا يستطيع تغيير لون عينيه ، فانه يستطيع ان يغير اسلوبه . لذلك يتجدد الفنان من ضمن اسلوبه . والتجديد لا يظهر فجاة . يلزمه عدة اعمال .. عدة سنوات ليتبلور ويتضح . لان الفن نبالة .. لا ينمو كاعشاب برية بين يوم وآخر ..

من ضمن هذه الخطة نتجدد ونتطور ، بحيث انك لو رجعت الى اسلوبنا قبـل سنوات تجده الآن وقد تغير كثيراً .

● هل عندك تصور لما سيكون عليه الجيل الثاني من سلالتكم ؟



الفنانة رونزا .. اثبتت انها طاقة فنية موهوبة

ـ سلالتنا ، ان كنت تقصدها الوراثية فهي اولادنا . اما إذا كنت تقصدها فكريا فهي أولادنا الفنيين . كل انسان يحمل مشعل الحضارة ويتقدم به خطوة للأمام يكون منا . كل انسان يرفع راية الفكر وسعادة الانسان ، يكون قد نفذ جزءا مما نطمح إليه . من هنا الحلقات الحضارية فى العالم ، وليس فيها انفصال .. الحضارة تتواصل .

انا لا استطيع ان اتصور الا انه سيكون هناك تقدم ، وسينطلقون الى افاق جديدة . لكنى اريد ان اطمئنك قليلا .. أولادنا شخصيا .. اهتماماتهم كلهـا تتجه إلى الفن ، وهذا شيء يسعدنا . انا شخصيا كنت اطمح ان يحيا اولادى فى مستقبلهم حياة مسطحة .. ان يعانوا هموما عادية .. يشتغلون ثم يسهرون . ويفرحون بايامهم كاي انسان اخر . لكني لا أعرف من اين جاءهم القلق الداخلي فتوجهوا للفن ! .. هل سعيد انا ؟؟ اني سعيد ، لكنى اعرف انهم سيتعذبون .

● وهل الفن برأيك هو نتيجة معاناة وقلق ؟

ـ طبعا . انا لا أعرف كيف ياتي الفن الى الانسان ، ومن اين .. كيف يجعله صاحب القلق ؟ صديق القلق ؟ هل هو السؤال الميتافيزيقي الدائر فى اللاوعي ؟ هل الفن ، او كل شهرة ، او كل بروز فى المجتمع .. فى العالم هى نتيجة عقد شخصية ؟ هل هو خوف من الزوال يدفع الانسان كي يكتب اسمه على حيطان العالم ؟ لست ادرى ..

● ما رأيك بمقولة انه لكى يبقى العطاء الرحباني كبيرا .. وحتى يستمر صوت فيروز خالدا كما عرفناه .. من اجل ذلك ، لابد ان يعمل الاثنان معا ؟

ـ اتمنى دائما ان نعمل مع فيروز . اتمنى مع كل المخلصين ان تعود الامور الى طبيعتها بين عاصي وفيروز ، لان صوت فيروز متفرد ونادر .

● هل هناك امل بعودة فيروز ؟

ـ كنت ارجو ان يوجه هذا السؤال الى فيروز .

هنا انتهى الحديث مع منصور الرحباني . وبقي سؤال ...

أليست الأعمال العظيمة نتائج كبيرة لمحاولات صغيرة ؟

جميل العابد



- أرشد الوسائل للعودة إلى الإسلام • قادة الأمة الحقيقيون
- موقف المسلم في هذا العصر • ليس من الدعاة
- العلوم الإنسانية وصلتها بالثقافة الذاتية • محنة العربية
- المتاجرة بالخلاف جريمة عظمى • بين التطرف والاعتدال
- ونماذج كثيرة خاضها أو سيخوضها العاملون في الحقل الإسلامي

يطلب من وكلاء توزيع مجلة الأمة



المخرجة الايطالية « ليليانا كافانى »



رؤوف توفيق



« كلوديا كاردينالى » استفادوا من شهرة اسمها فقط

المخرجة المتوحشة

متعتها صدمة المتفرجين .. ومنطقها أنها تروي قصة .. وترفض أن يناقشها أحد

كيف تجرؤ امرأة أن تتغلب على مشاعرها ، وتكوينها كانثى .. لتفكر وتنفذ هذه المشاهد السينمائية المليئة بالدم والوحشية ؟!

كان هذا هو السؤال الذى تردد ـ بشكل او باخر ـ مع بداية العرض العالمى فى امريكا وأوربا لفيلم « الجلد » الذى اخرجته المخرجة الايطالية الشابة « ليليانا كافانى » ..

وهذه المخرجة تعتبر واحدة من ابرز مخرجى السينما الايطالية الشابة .. وقد استطاعت « ليليانا كافانى » أن تثبت وجودها داخل ايطاليا من خلال افلامها التليفزيونية الجريئة .. ثم شقت طريقها الى السينما واخرجت أول أفلامها السينمائية وهى لم تتجاوز التاسعة والعشرين من عمرها .. وفى خلال سنوات قليلة .. بالضبط سبعة أعوام .. حلق اسمها مدويا فى السينما العالمية من خلال فيلمها « بواب الليل » فقد اثار هذا الفيلم ضجة داخل ايطاليا ، وفى كل العواصم العالمية التى عرض بها ، لجراة بعض مشاهده ، والقسوة والألم التى يتركها فى نفوس المشاهدين !



الاطفال فى نابولى .. يتجمعون حول جندى يلفظ انفاسه الاخيرة



« شارلوت رامبلنج » بطلة فيلم بواب الليل

فى معسكرات التعذيب تحت الارهاب النازى .. لقطة من فيلم « بواب الليل»

وتكرر نفس الصدمة فى فيلمها الاخير « الجلد » الذى تضمن العديد من المشاهد القاسية العنيفة . للدرجة التى تجعل المشاهد يطلق صرخة الم وفزع مما يراه على الشاشة » !

وربما .. لهذا الأسلوب الوحشى ، صنعت المخرجة « ليليانا كافانى » اسمها وشهرتها .. فهى تعشق التاريخ ، وتعرف كيف تلتقط منه حادثا او فصلا .. لتعيد روايته بطريقتها الخاصة .. تعرى كل الأشياء ، وتسقط عنه كل المحظورات والمحرمات .. وتعمل سكينها الحاد فى تمزيق الاشكال الخارجية .. لتتلذذ بتقديم ابشع ما فى داخل الانسان .. وابشع ما يتعرض له الانسان ايضا !

● السينما فى رايها

وهى تصنع هذا بمقدرة فنية عالية .. ولاشك انها مخرجة موهوبة ، تعرف كيف تروى فيلمها باسلوب متماسك جذاب .. وتعرف ايضا كيف تبقى المشاهد على مقعده حتى نهاية الفيلم .. رغم ما قد يشعر به هذا المشاهد من فزع والم !

وهى تعترف بهذا .. ولا تنكره .. فهى عندما تتحدث عن اسلوبها السينمائى تقول !

« انا احكى قصصا فقط .. وليس شيئا اخر .. وهذا ما افضله فى السينما التى اراها .. ان اخذ منها الانطباع الاول ، ولا احاول ان اسال نفسى بعد ذلك ما الذى اراد المخرج ان يقوله .. فهذا لا يهمنى .. فالفيلم اذا كان فيلما حقيقيا .. فانت تراه ولا تناقشه » !

ثم تقول : « انا معجبة جدا بهؤلاء المخرجين الذين يعرفون كيف يحكون القصص ، ولا يحاولون ان يفعلوا شيئا اكثر من متعة روايتها .. مثل هيتشكوك .. فورد .. فيسكونتى .. فهم مرجعى فى هذا .. واذا اردت ان اتحدث عن الطريقة الجديدة فى رواية القصة على الشاشة ، بطريقة جميلة ومثيرة .. فان المخرج الامريكى الشاب « سكور سيس » يفوز بالمركز الأول » !

في احد المطاعم الايطالية الفاخرة .. حيث تاتى المفاجاة المؤلمة .. لقطة من فيلم « الجلد »



المخرجة المتوحشة

متعتها صدمة المتفرجين .. ومنطقها أنها تروي قصة .. وترفض أن يناقشها أحد

وعندما سالوها عما تريد ان تقـــولـه لجمهورها من خلال افلامها ؟

قالت : « ان افلامى تحكى قصصـــا .. ولا تحاول ان توسل رسائل .. ولا اعتقد ان الناس تظن بى أفكارا ايدلوجية .. فانا اكره السينما التى تقوم على الرموز ، او الربط بين الماضى والحاضر .. باختصار انا لا احب السينما العقائدية » .. !!

الهروب من الموقف

ورغم غرابة هذا الراى .. الا انه يحمل تناقضا واضحا .. لان تناول فترة من التاريخ لتروى من خلالها قصة .. يعنى بالضرورة ان يكون لك موقف مما حدث فى تلك الفترة .. وهذا الموقف يتضح فى اسلوب رواية القصة .. سواء اكان يحمل الاعجاب او الادانة .. والموقف فى النهاية موقف فكرى !

والذين يؤرخون للتاريخ حتى لمجرد تسجيل الاحداث .. لا يبراون من شبهة الراى .

والذين يحكون القصص .. حتى فى طريقة روايتهم يسجلون رايهم .. ويحاولون ابلاغ رسالة ما إلى قرائهم او مستمعيهم ، او مشاهديهم !

ولهذا من الغريب ان تقول المخرجـــة الايطالية « ليليان كافانى » انها مجرد راوية لقصص ولا تريد أن تقول رسائل لمشاهديها .. ولا تحب ان يناقش احد افلامها بعــــد مشاهدتها .. او هكذا تتمنى . !

ربما كان هذا الراى الذى اعلنته .. اسلوبا من الدعاية لافلامها .. وربما كان ايضا دليلا على شخصيتها .. ورغبتها فى احداث « الصدمة » عند جمهورها . !!

اهالى مدينة نابولى .. يحاولون بيع اى شىء لجنود الحلفاء .. مقابل بضعة نقود .. او حتى علبة سجائر !





« ماستروياني » وجنود الحلفاء .. وهم يسجلون بكاميراتهم فرحة تحرير نابولي ..

ولكن مما لاشك فيه .. أن هذا الرأي يعكس حدتها .. وصرامتها .. وايضـــا غرابتها !!

● فيلم « بواب الليل »

فى هذا الفيلم .. تختـــــار المخرجـــة موضوعها عن نازية ما بعد الحرب .. من خلال علاقة غريبة بين امراة ورجل .. كانت هى احدى ضحايا النازى (تلعب الـــدور شارلوت رامبلنج) .. وكان هو احد ضباط النازى (يلعب الدور ديرك بورجارد) .. وانتهت الحرب بكل بشاعتها .. ومرت سنوات كثيرة .. ويتكرر اللقاء بين هذه المراة وهذا الرجل ..

يحدث اللقاء فى احد فنادق « فيينا » عام ٥٧ .. حيث تذهب هى بصحبة زوجها للدخول فى غرفتهما فى الفندق .. لتفاجا بأن الحارس الليلى فى الفندق هو نفسه ذلك الضابط النازى .. وتتجدد الذكريات .. ذكريات التعذيب .. وذكريات الحب المغموس بالدم .. والرغبة المجنونة !

ونكتشف ان هذا الحارس الليلى ، ما زال يشترك مع مجموعة من الضباط السابقين فى الجيش النازى والذين يعيشون حلم عودة النازية ليسيطروا من جديد !! إنهم يتعاملون فيما بينهم بالتحية النازية ويهتفون لهتلر .. ويعملون فى الخفاء .. كل له وظيفته العادية .. ولكنهم فى اجتماعاتهم السرية يظهرون على حقيقتهم ..

وفى احدى تلك الاجتماعات السرية .. يراجعون حساباتهم القديمة .. ليتضح أن كل ضحاياهم من الايطاليين قد ماتوا - الا هذه المرأة ، التى تعتبر الآن الشاهدة الوحيدة الباقية على قيد الحياة .. والتى تستطيع أن تكشف - اذا نطقت - بكل الفظائع التى ارتكبوها فى معتقلات النازى .. ولهذا يصدرون أمرهم بقتلها .. ويكلفون الحارس الليلى بالفندق ، بالقيام بهذه المهمة !!

ولكن الحارس يحبها .. ويتولى الدفاع عنها ، وحمايتها من زملائه .. فهى الوحيدة التى فهمته .. وهو ايضا بالنسبة لها مروضها ، مهما حاولت الاختفاء عنه ، الا انها تعود إليه !

هرب هو من عمله .. وهربت هى من زوجها .. وقررا الاختباء فى منزله !

وفى هذا المنزل نشهد فصلا من الحب المريض .. الشديد الغرابة .. فقد اغلق هو ابواب المنزل بالاقفال ، واغلق النوافذ وأسدل الستائر السميكة .. وتحول المنزل الى قلعة محصنة لا يتسرب منها أى ضوء ولا يدخله ايضا أى ضوء .. واكتفيا بخزين علب الطعام المحفوظ .. ويقضيان حياة متوترة وعنيفة .. يربطها بالسلاسل .. وهى تزحف على ركبتها .. يضربها .. ثم يحنو عليها .. يحاول أن يمزق رقبتها بقطع الزجاج المهشم .. فتدفعه لان يسير بقدميه فوق الزجاج حتى تدمى قدماه .. ويتالم .. ومع صرخة الالم يبدأ الحب !!

وتستمر بينهما هذه العلاقة الغريبة .. حتى ينفد الطعام من المنزل .. ويتهـــاوى جسداهما من شدة الأعياء .. ويتقاتلان كالحيوانات من اجل فتات قطعة خبز جافة .. ولا يبقى غير حل واحد .. هو مغامرة الخروج من المنزل !

وما أن يخرجا .. حتى تتعقبهما سيارة زملائه النازيين .. ويصوبون مسدساتهم الكاتمة للصوت .. وتنطلق رصاصـــتان .. واحدة له .. وواحدة لها .. ويسقطان على الأرض جثتين .. وسط الضباب .. وينتهى الفيلم !

والحصيلة النهائية .. مجموعـــة من المشاهد الشديدة القسوة والايلام .. حيث يتحول الانسان الى كتلة من الغرائز المتوحشة .. وربما كان هـــذا ما قصدته المخرجة للتعبير عن النازية .. !

ولكن عندما تطلب منا الا نناقش افلامها .. ونكتفى فقط بالمشاهدة .. نعترف بأنها حققت مستوى عاليا من الاتقان الفنى فى كل عناصر الفيلم .. وحققت ايضا « صدمة » المشاهد !!

واذا ادركنا ان فيلم « بواب الليل » قد تم اخراجه عام ٧٤ .. أى قبل انتشار موجة العنف والدم فى السينما العالمية .. فعلينا ان نتصور ماذا قدمت هذه المخرجة فى فيلمها الأخير « الجلد » .

● « الجلد » .. ومعنى الكلمة

الفيلم رحلة داخل نابولى عام ٤٣ .. والحرب العالمية انتهت .. ولكن السلام لم يستقر بعد .. إنها فترة ما بعد الحرب بكل ما فيها من انقاض مبان .. وانقاض بشر !!

ومدينة نابولى .. تزخر بقوات الحلفاء من جميع انحاء العالم وقد تم تحريرها كأول مدينة أوربية تتحرر .. وخرج أهالى نابولى يحاولون ان يعيشوا الحياة من جديد ، وان يضحكوا مرة اخرى .. ولا يملكون غير اجسادهم !

ومن هنا جاء عنوان الفيلم : « الجلد » .. وهو نفس عنوان الكتـــاب الذى الفه « سيرزيو مالابارت » حيث سجل فيه تجربته كضابط فى الجيش الايطالى ، قام بالاتصال بقوات الحلفاء اثناء تحرير نابولى .

وعنوان « الجلد » تشرحه المخرجـــة « ليليان » بقولها : « ان امتنا هى جلدنا .. فالشىء الوحيد الذى ينتهك ويهان ويلوث ،



المخرجة المتوحشة

متعتها صدمة المتفرجين .. ومنطقها أنها تروي قصة .. وترفض أن يناقشها أحد

كلوديا كاردينالي .. وماستروياني .. والارستقراطية الايطالية فى فيلم الجلد

هو جلد الابرياء البشرى هو صرخة يجب ان نسمعها .. والذى يتجاهل هذه الصرخة ، شخص غير واقعى » !

● التفاصيل الصارخة

وفيلم « الجلد » يقـــدم بانوراما هائلة ، مشغولة بعشرات من التفاصيل الانسانية الصارخة .. التى تصدمك وتهزك فى كل دقيقة من مدة عرض الفيلم .. حيث تتلذذ المخرجة باستعراض هذا الفقر المريع الذى خرج به اهالى نابولى من الحرب .. وحيث لم يعد لديهم شىء ياكلون منه .. غير ان يبيعوا اجساد بناتهم واطفالهم لجنود الحلفاء .. فى مشاهد لا يمكن تصور ان السينما تجرؤ على تقديمها !

ولكن ها هى المخرجة الايطالية تتعمد صدمة المشاهد من لقطة إلى اخرى .. فهذا جندى امريكى ينفجر به لغم وتتدلى احشاؤه ، فيمسك بها ، فى محاولة للحياة .. والكاميرا تتلذذ بهذا المشهد حتى يلفظ الجندى انفاسه الاخيرة وسط جموع الاطفال الذين التفوا حوله !

ثم هذا المطعم الايطالى الذى يخدع زبائنه فيقدم لهم اطباقا من لحوم جثث الموتى . !! فنجد هذا القائد الامريكى يفاجأ بأن ما ياكله هو كف ادمى .. فالعظام المتبقية من السهل اعادة تشكيلها لتوضح انها عظام الاصابع !!

وهذه الوليمة لبعض قادة الحلفاء فى احد المطاعم الفاخرة .. حيث يقف مجموعة من الجرسونات فى ثيابهم المزركشة يرفعون اغطية الطبق الفضى .. لنكتشف المفاجاة المرعبة .. ان داخل الطبق طفلا صغيرا محشوا ومحمرا !!

جو بالغ العنف والقسوة والســخرية .. وتمتزج المأساة بالكوميديا السوداء ، وتلهث بين الرعب والفزع وابتسامة قد تشق طريقها وسط الاحداث .. والايقاع سريع .. حيث يسيطر عليك هذا الاحساس ، بان المخرجة تريد ان تقدم كل تفاصيل مأساة مدينة خربتها الحرب .. ولكن اهلها لرغبتهم الشديدة فى الحياة والمرح .. فهم مستعدون ان يبيعوا للحلفاء اى شىء .. وان يحصلوا منهم على كل شىء !!

وفى احد مشاهد الفيلم يدخل بعض الجنود بدبابتهم الى احد الشوارع الجانبية .. ويخرج الجنود لقضاء مهمة .. ويتركون الدبابة فى الشارع .. وفجأة يظهر الاطفال من بين شقوق المنازل ، ويتسلقون الدبابة ، ويبدأون فى فك اجزائها بخبرة من تمرس على هذا العمل طويلا .. كلهم يعملون فى نفس الوقت ، وبسرعة شديدة .. وفى دقائق تختفى الدبابة .. ويعود الجنود فلا يجدونها !! .. لقد تحولت الدبابة إلى اجزاء صغيرة حـــملها الاطفال وهربوا بها !!

وتأتى نهاية الفيلم اكثر رعبا .. لتجسد معنى الثمن الذى دفعه اهالى نابولى فى هذه المحنـــة .

فعلى الشاشة .. طابور الدبابات الأمريكية وهى تخرج من مدينة نابولى بعد انتهاء مهمتها .. ورجل إيطالى يحمل طفله ويهلل فرحا بالدور الامريكى فى الحرب .. والطفل يمسك بالعلم الامريكى ويهتف .. وفجأة نرى الدبابة وهى تسحق تحت عجلاتها الضخمة هذا الاب .. بينما الطفل يتسلل من بين جنزير العجلات ليخرج سليما .. وتتحرك الدبابة لنرى بقايا الاب عظاما مهروسة .. وبركة دماء تتناثر بداخلها الاشلاء !!

وتتمهل الكاميرا لتستعرض تفاصيل هذا الحادث المرعب .. وتتجمد كمتفرج على مقعدك من شدة الفزع والالم .. ولابد ان تسال عن سر هذه السادية ؟ .. ولكنها « ليليان كافانى » ومتعتها الغريبة فى إحداث الصدمة عند المتفرج !!

● ابطال الفيلم

والشخصيات الرئيسية التى يتحرك من خلالها موضوع فيلم « الجلد » هى شخصية



جنود الحلفاء يملاون شوارع نابولى .. واطفال المدينة يسحبون الاحذية !



« بيرت لانكستر » فى دور القائد الامريكى

الضابط الايطالى « مالابارت » مؤلف الكتاب والذى يقدمه الفيلم من خلال الممثل الايطالى (مارشيللو ما ستروياني) وهو يقوم بدور الاتصال بين جيش التحرير الايطالى وقوات الحلفاء .. وقد ربطت الصداقة بينه وبين الجنرال الأمريكى (يقوم بالدور بيرت لانكستر) الذى يسعى ليكون النجم الاعظم بين الجنرالات على مسرح الحرب فى اوروبا . وكل هدفه ان يصل الى روما وان يحررها قبل ان يصلها اى جنرال اخر .

وهناك ايضا هذا الضابط الامريكى الشاب (يلعب الدور كينى مارشال) الذى اسندت إليه مهمة التعاون مع الضابط الايطالى لانقاذ الأسرى الالمان الذين احتجزهم احد الايطاليين ويريد تسليمهم بالميزان (!!) .. ووجهة نظره انه اطعم الاسرى وخدمهم .. ولهذا يريد ان يحصل على ثمن كل كيلوجرام من وزنهم .. « وإلا صنع من اجسادهم .. شوربة عظيمة » !!

ولعبت الممثلة الايطاليـــــة « كلوديـا كاردينالى » دورا قصيرا لااهمية له ..

● ضجة حول مؤلف

وقصة الفيلم الأصلية التى كتبها الضابط الايطالى « مالابارت » فى كتابه « الجلد » اثارت ضجة عند صدورها منذ ثلاثين عاما .. حتى قيل إن اهالى نابولى ، خرجوا ضده . واطلقوا عليه لقب « الارهابى صانع فقاعات الصابون » ! وطالبوا باعدامه ..

وقد اختلفت الاراء بعد ذلك فى تقييم هذا الضابط وما رواه عن نابولى .. ولكن المخرجة « ليليانا كافانى » بررت اختيارها لهذا الكتاب وتحويله إلى فيلم .. فقالت :

« انا لا اعرف شيئا عن مالابارت .. واثناء صنع الفيلم لم اكن اريد ان اعرف عنه شيئا .. يكفينى الكتاب .. وعندما قرات الكتاب لاول مرة عام ٥٧ وكان ذلك فى رحلة قطار الى بلدتى كابرى .. التهمت الصفحات دفعة واحدة .. ولحظتها رايت الفيلم .. فيلم من مجموعة لوحات .. وهذا ما ارجو ان اكون قد حققته .. لقد اردت ان اسجل لحظة خاصة فى تاريخ امتنا .. لم اسال نفسى ماذا كان قبل هذه اللحظة .. او ماذا بعدها .. ؟! وقد تحدثت عن (الجلد) مع بعض المثقفين من اهالى نابولى ، والذين قرأوا الكتاب في وقتها .. الكتاب صدمة فعلا .. لان نابولى تحت الاحتلال باعت الشىء الوحيد الذى تملكه للبيع ، من اجل ان تاكل .. وخصوصا لو تذكرنا فى السنوات القليلة السابقة ، وفى افضل الحالات ، كان اساتذة الجامعة والمثقفون والعلماء يبيعون انفسهم للفاشية من اجل لقب او وظيفة » !!

وتقول ايضا المخرجة : « فيلم الجلد .. قريب جدا من فيلم « بواب الليل » .. انها الحقيقة كما اراها فى لحظات الخوف والوحشية » ..

● ● ●

وهكذا تبرر هذه المخرجة الايطالية افلامها .. ولكن هل وحشية الحياة تعنى بالضرورة ان يكون الفن متوحشا ؟!

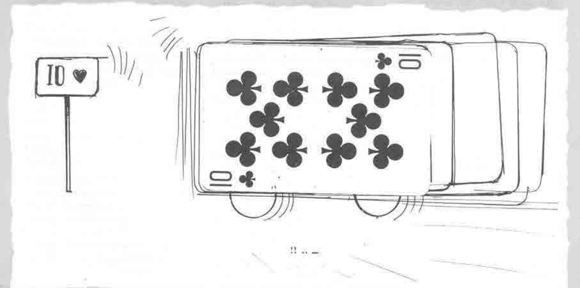
رءوف توفيـــق


ضحكات الشهر
صلاح الليثي


كوتشينه ..
من العصر الحجرى !!


سبع ـ
.. تتجوزينى يا سبعة !!


ـ .. مبروك جالك ولد !! ..


10
ـ .. !!

بدون تعليق !

ـ تتعالى على ايه

... ما كلنا .. واحد !!







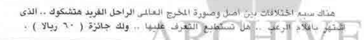
مجموعة مسابقات بالرسوم بريشة :

أصل وصورة





هناك سبع اختلافات بين اصل وصورة المخرج العالمى الراحل الفريد هتشكوك .. الذى اشتهر بافلام الرعب .. هل تستطيع التعرف عليها .. ولك جائزة (٦٠ ريالا) .



لعبة الظلال



هل يمكنك مساعدة هذا اللاعب فى العثور على ظله الصحيح بين هذه الظلال ؟ .. حاول وارسل الينا والجائزة (٦٠ ريالا) .

هاتـــ أجمل تعليقـــ :



● هل تستطيع ان تجد تعليقا خفيف الظل على هذا الرسم الكاريكاتيري ؟ .. حاول وارسله الينا لتفوز بجائزة (٦٠ ريالا) .

لأقوياء الملاحظة فقط



● امامك رسوم لستة اشياء متداخلة ، هل تستطيع التعرف عليها ... ؟ اذا عرفت ارسل الحل الينا ولك جائزة .. (٦٠ ريالا) .



يخلقـــ من الشـــبه أربعين









● الصور الست المنشورة تحت صورة الفنانة عفاف راضى لست فتيات يشبهنها .. لكن واحدة فقط منهن تشبهها تماما .. وفى البقية اختلافات بسيطة .. هل بمكنك التعرف على شبيهتها ولك جائزة (٦٠ ريالا) .

لوحـــة لم تتـــم



هذه اللوحة لموسيقار عالمى كبير ، حاول اكمالها لتحصل على جائزة اذا عرفت صاحبها والجـــائزة (٦٠ ريالا) .

أنا والليل

شعر: جليلة رضا



ايها الليل الذى رافق فى الكون حياتى
انت قد علمْتنى الإيغالَ فى أعْمَاق ذاتى
كمْ وكمْ وسَّدتُ رأسى صدرَكَ الثرَّ الحنانْ
واحتكمْنا فى تجافينا إلى طيْفِ الزمانْ
ثم سِرْنا فى وفاقٍ .. فوق دربِ الذكرياتِ

● ●

لم تكن ياليلُ روحاً .. كنتَ أرواحاً عديده
كنت تحوى الدفءَ فى صدرك حيناً .. والبروده
ربما بالأمس اقبلْتَ حزيناً وغَضُوبا
ربما غادرتَ طيفى مسرعَ الخطو طروباً
او تناءيتَ بطيئا .. كالسلحفاةِ العتيده ..

● ●

غير انى كنتُ فى حِضْنك اقسو واثورْ
امُّ الساعاتِ ان ترتدَّ حينًا .. أو تسيرْ
كان بى بعض الخلايا اللاهثاتِ المستفيقه
ترفضُ الواقعَ .. تابى ان ترى فيكَ الحقيقه
كان بى غابةُ أرز .. كان بى شلالُ .. نور !

● ●

لم تعدْ ياليل تحتجُّ كما كنَّا زمانا
قد الفناك ظلاما وارتضيناك هَوَانا
نحن قد مُتْنا مرارا حينما عشنا طويلا
وعرفنا كيف لا نطلبُ امراً مستحيلا
كلما ازددنا سنينا .. قل مقدار مُنانا

● ●

إننى اغفرُ ياليلُ دُجَاكَ المنتظرْ
اغفرُ الوحْشَةَ والخوفَ وصمْتى والسَّهرْ
طالما تَمْنَحُ قلبى عالَماً حراً شفيفاً
طالما ترسل بالأفكارِ للعقلِ ضيوفاً
طالما لى فيك خِلٌّ .. مخلصٌ يُدْعى .. القمرْ

● ●

هاتها كفك تمحو هذه الحُمّى السقيمه
لم تزل محرابَ آمالى وأسرارى القديمة
انت منى ، أيها الأرملُ فى ثوب الحدادِ
فاطْرد الأشباحَ عنّى .. وتوغل فى فؤادى
وتذكر اننا ياليلُ .. أبناءُ عُمُومَه ..